

۱۰ فروش



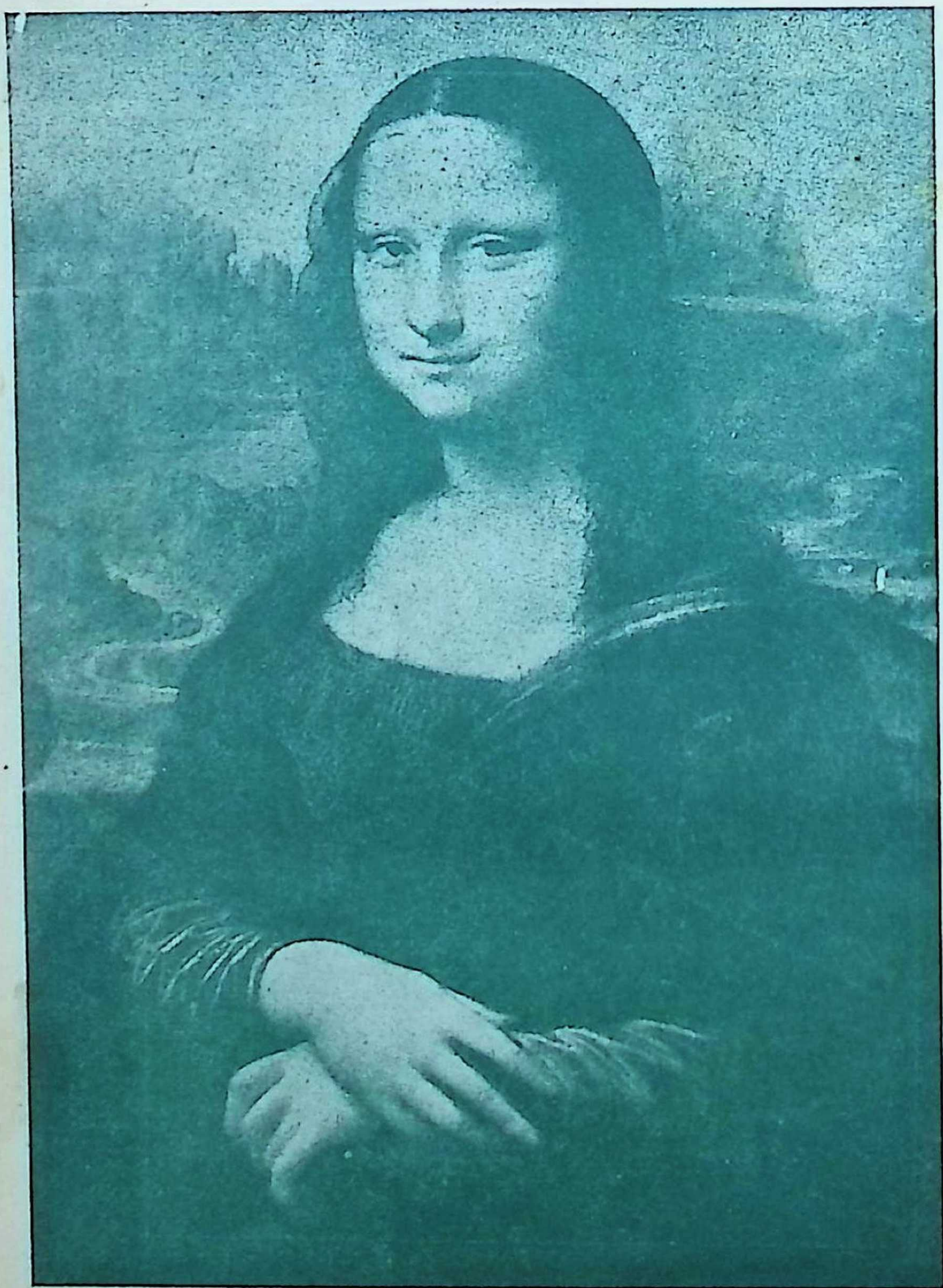
کتابی



حلمی براد

وکتب آخری

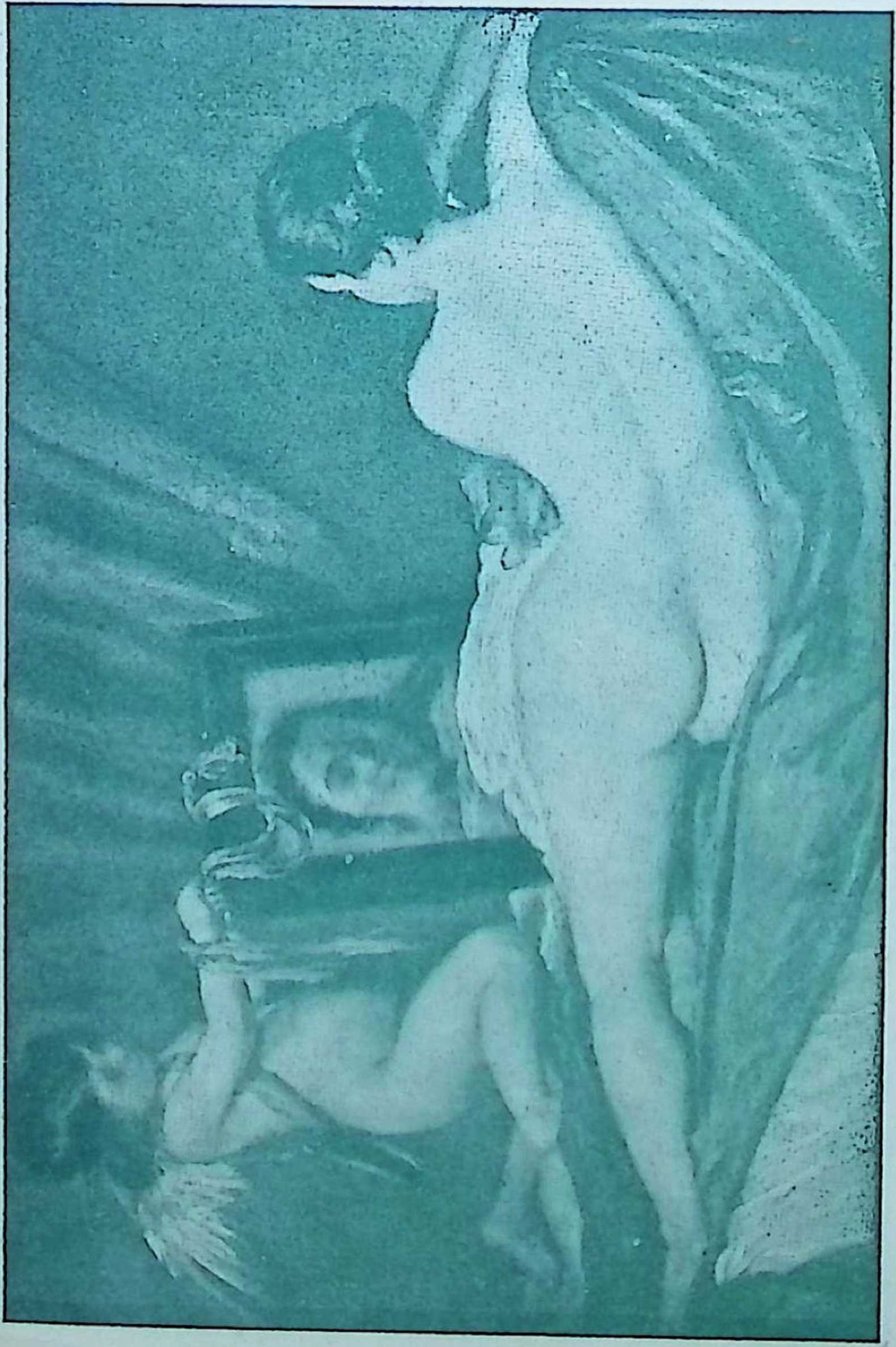
شعاع



مونا ليزا (جيوكوندا) اللوحة الخالدة لليوناردو دافنشي

فينوس .. وابنها كيوبيد !

للمسام الاسباني الخالد «فيلا سكوير»



كنايت

كتاب شهري لتلخيص الكتب العالمية
يصدر أول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب



مصباح الفتر عند الاغريق

الكتاب الثامن والعشرون (السنة الثالثة) : يونيه ١٩٥٤
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل
الادارة : عمارة الجندول ، ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة
تليفون ٥٩٥٥٦ و ٦٥٦٠٨

عزيزى القارئ

♦ فى الكتاب القيم العميق الذى نشره الرئيس جمال عبد الناصر اخيرا بعنوان « فلسفة الثورة » ، فقرة هامة (فى صفحة ٦١) قال فيها الرئيس : « .. ولست أدري لماذا اذكر دائما عندما اصل الى هذه المرحلة من افكارى ، وانا جالس وحدى فى غرفتى شارد مع الافكار ، قصة مشهورة للشاعر الايطالى الكبير « لويديجى بيراندللو » اسمها (ست شخصيات تبحث عن ممثلين) .. ان ظروف التاريخ مليئة بالابطال الذين صنعوا لانفسهم ادوار بطوبه مجيده قاموا بها فى سروف حاسمة على مسرحه . وان ظروف التاريخ ايضا مليئة بادوار البطولة المجيدة التى لم تجد بعد الابطال الذين يقومون بها على مسرحه ، ولست أدري لماذا يخيل الى دائما ان فى هذه المنطقة التى نعيش فيها دورا هائما على وجهه يبحث عن البطل الذى يقوم به . ثم لست أدري لماذا يخيل الى ان هذا الدور الذى ارهقه التجوال فى المنطقة الواسعة الممتدة فى كل مكان حولنا ، قد استقر به المطاف متعبا منهوك القوى على حدود بلادنا يشير اليها ان نتحرك ، وان ننهض بالدور ونرتدى ملابسنا ، فان احدا غيرنا لا يستطيع القيام به .. »

والقصة الايطالية التى يشير اليها الرئيس - و « كتابى » ينتهز هذه الفرصة فيحى فى سيادته سعة اطلاعه وسعة افقه - هى مسرحية غاية فى العمق ، وغاية فى الطرافة فى الوقت نفسه ، ومن ثم رأيت من حقك على ان اتيح لك فرصة الالام بها ، اشباعا لشوقك الادبى الذى لا بد راودك وانت تقرا اشارة الرئيس اليها ، وتحقيقا لرسالة كتابى الذى آليت على نفسى ان يضطلع بها ، وهى ان يكون لك بمثابة الدليل الثقافى الامين فى سياحتك الفكرية فى رياض الآداب العالمية وربوعها .. لذلك قدمت لك المسرحية المذكورة فى مكان آخر من هذا العدد ، جنبا الى جنب مع مجموعة الكتب التى انتقيتها لك هذا الشهر ، والتى تنتقل بذهنك وانت جالس فى عقر دارك من روما القديمة ، مع شاعرها الخالد « أوفيد » .. الى لندن ومصر فى أواخر القرن التاسع عشر ، مع السياسى والمؤرخ الانجليزى المنصف « بلنت » - الذى ألهمه الله ان يفضح خفايا سياسة بلاده الاستعمارية البغيضة .. ثم نتابع رحلتنا الى باريس القرن العشرين ، فى صحبة الروائية الفرنسية المعاصرة « كوليت » .. ومنها الى ايطاليا الحديثه مع « بيراندللو » .. فالى مجتمعات مصر والشرق فى رفقة الكاتب الثائر خالد محمد خالد .. الخ .. الخ وفى انتظار عودتك من تجوالك مع كل هؤلاء ، أتمنى لك رحلة سعيدة .. والله ولى التوفيق

حلمى مراد

كنايف

اعداد نفدت

كتابى الاول : « خطايا الحب » وكتب اخرى ، وكتابى الثانى : « قلب عذراء » وكتابى الثالث : « الهاربة من الجنة » وكتابى الرابع : « حواء الجديدة » وكتابى الخامس : « احبب نوتردام » وكتابى السادس : « جريمة حب » .

اعداد توجد نسخ منها بالادارة

كتابى السابع « عشيق نابليون » ، والثامن « مذكرات كيوبيد » ، والتاسع « صنم تحطم » ، والعاشر « حديقة الله » ، والحادى عشر « عندما تحقد المراق » ، والثانى عشر « لعبة الحب والموت » ، والثالث عشر « توبة خاطئة » ، والرابع عشر « ايها الربيع ترفق » ، والخامس عشر « الشيطان على الارض » ، والسادس عشر « اليدى هاملتون » ، والسابع عشر « الارملة المرحلة » ، والثامن عشر « حياة جورج صاندا » ، والتاسع عشر « حياة سارة برنار » ، والعشرون « رباعيات عمر الغيام » ، والحادى والعشرون « حياة بيتروفن » ، والثانى والعشرون « حياة موسولينى » ، والثالث والعشرون « كوخ العم توم » ، والرابع والعشرون « الزوج والعشيق » ، والخامس والعشرون « البوهيمية » ، والسادس والعشرون « فتاة لها ماض » ، والسابع والعشرون « ترويض النمرة ! » ، وتطلب من صاحب كتابى ١٤ شارع فؤاد الاول بالقاهرة (مصارف الجندول) ، ولئن كل عدد ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ما عدا الاعداد ١٣ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، وثمن كل منها بالبريد المسجل ١٢ قرشا ، والعدد العشرون وثمنه عشرون قرشا (تحديدا للطلبات نظرا لوشك نفاده وعدم امكان اعادة طبعه)

◆ ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان بالذن بريد عادى ، وفى الخارج بحوالة بريدية نقدية من طريق مكاتب البريد MONEY ORDER او بشيك على احد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية او اذونات البريد الخارجية . وتحرر الاذونات والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا .

الاشتراكات

◆ ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : فى مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة ٠٠ وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ اعداد) ٦٥ قرشا . فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والاردن ٠٠ الخ) ترسل القيمة بشيك او بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER وتحتسب القيمة بما يوازي ١٣٠ قرشا (عن سنة) و ٧٠ قرشا (عن نصف سنة) - او تدفع قيمة الاشتراك الى مكاتب شركة فرج الله للمطبوعات فى بيروت وفى بغداد (بشارع السنك ، بغداد)



قصة مصرية: بقلم محمد الدين خليل

سیدی :

قد تعجب اذ يطالعك خاتم البريد على غلاف هذه الرسالة باسم « الغربانيات » .. فما أظنه قد خطر لك يوما أن ثمة بلدة تحمل هذا الاسم ، وترقد بين أحضان الصحراء المترامية غربى الاسكندرية .. وما أظنك الا ستعجب حين تعلم أن فى هذه البلدة الصحراوية المنعزلة ، تعيش فتاة مثقفة لا تقل فى شىء عن أولئك اللاتي اعتدت أن تتخذ منهن بطلات لقصصك .. فتاة من خريجات ال « دام دوسيون » بالاسكندرية .

آه ! .. أكاد أرى علامات الدهشة ترتسم على جبينك اذ تصل الى هذه النقطة من رسالتي ، ولكنى أرجو أن تدخر كل انفعال من هذا القبيل الى نهاية الرسالة ..

كنت الابنة الوحيدة لاب شركسى الاصل ، وأم فرنسية تعرف اليها أثناء دراسته فى فرنسا ، فتزوج منها رغم ما كان يوقن منه ، من أن هذا الزواج لن يخلف غير القطيعة والشقاق بينه وبين أهله ..

وفعلا وجد القطيعة فى ارتقابه .. قطيعة متعنتة جعلته يعتزل أسرته عزلة تامة ، ويقتطع نصيبه من ميراث أبيه عن نصيب اخوته فيستقل به ..

وتصادف فى تلك الاثناء أن أفلست شركة كانت قد قامت ابان حكم الخديو عباس حلمى ، فسيطرت على مساحة من أراضى الصحراء الغربية - لقاء أسهم وامتيازات للخديو - وراحت تجتذب أولئك الذين زين لهم حب الخديو للصحراء ونجاحه فى استغلال أراضيتها أن يقتدوا به .. فمنهم من حلا لهم أن يقيموا منازل فى جوف الصحراء ، يترددون عليها فى عطلات

نهاية الاسبوع وبعض شهور الصيف حيث الجو يهزأ بما يزعمه علماء الجغرافيا من أن جو الصحراء « حار جاف صيفا » .. كما اعتادوا أن يلقنونا في المدارس !

ومنهم من عمدوا الى زراعة البساتين ، فاذا التربة تستجيب منشقة عن أشجار الفواكه - من كروم وتين ونخيل - كأنها ألسنة تبرز ساخرة من أولئك العلماء الذين يقضون العمر يرددون كالببغاوات نظريات - لا يحاولون تحرى صحتها - عن أن « الصحراء أرض قاحلة مجدبة لا تثمر » !

على أن الخديو لم يكد يهوى عن عرشه ، حتى أحاطت النوائب بالشركة اذ انهار ما كانت تستند اليه من نفوذ .. ولم يطل عمر « حسين كامل » ، ثم خلفه من بعده « فؤاد » الذى كان مفلسا محروما ، فلم يكد زمام السلطان يؤول اليه ، حتى مضى يجمع فى جشع .. وكانت الشركة من ضحايا نهمه فلم تلبث أن افلست ، بينما كانت اراضى « الخاصة الملكية » تزدهر !

ولست أدري ما الذى أوحى الى أبى أن يستغل ثروته فى شراء الاراضى المتخلفة بعد تصفية الشركة .. وحل محلها فى دور المالك الاقطاعى حقا .. فقسم الاراضى وراح يتحكم فى البدو الذين أقبلوا يبتاعونها منه بالتقسيط ، أو يتولون زراعتها على أن يشاطرهم محصولها !

ولست أخجل يا سيدى اذ أعترف لك اننى كنت أشمئز من أساليب والدى التى كان يتبعها فى معاملة هؤلاء الاهالى وفى السطو على حقوقهم .. أجل ، لا تعجب .. فقد كانت فى نفسى ناحية من الطيبة لم تدنسها العنجهية الشركسية التى خالطت دمي منذ مولدى ، والتى خلقت فى نفسى كبرياء طائشة كانت توحى الى بأننى أرفع وأسمى من البدو ، بل ومن المصريين العاديين ، لاننى أجمع بين العنصرين الشركسى والفرنسى ..



◆ **نهايته ! ..** فى هذه البلدة التى تحمل رسالتى خاتم بريدها .. فى « الغربانيات » ، أنشأ والدى « فيلا » أنيقة أحاطها بحديقة أنيقة ، وأعدّها لاقامتنا عندما كانت المدرسة تسرحنى فى الصيف ، حيث كان الجو ألطف وأنقى من جو الاسكندرية و « بلاجاتها » ، وحيث كان والدى يشرف على جمع محصول الشعير الذى يتم نضجه فى أوائل الصيف .. وكنت مدللة الى أقصى حد ، لا سيما بعد وفاة أمى .. فكان أبى لا يألو جهدا فى ارضائى ، حتى انه ابتاع لى جوادا صغيرا « بونى » اعتدت أن أمتطيه مرتدية بنطلونا (شورت) وقميصا « سبور » ، ثم أجوس خلال المزارع المترامية حول « اقطاعيتنا ! » ، أشاهد البدو وهم يجمعون المحصول أو يرعون الاغنام أو يملأون الدلاء من الآبار ..

وأخذ برعم كيانى يتفتح فى تلك الاثناء عن زهرة شبابى ، وانتقلت الى تلك المرحلة التى تراود كل فتاة فيها الاحلام الوردية الزاهية .. فبدأت أحن الى فارس تصورته فى أحلام المراهقة أبيض البشرة ، أشقر الشعر ، أزرق العينين ، سمهري العود ، أحد اثنين : اما تركيا ، أو فرنسيا .. وقد غفلت فى سذاجة الاحلام عن أن الدين والتقاليد تحول دون زواجى من فرنسى !

وبدأت مشاعرى تتبلور فى تلك الاثناء ، فعرفت الوحدة والوحشة ، لا سيما بعد وفاة أمى .. وبعد أن تخرجت فى « الدام دوسيون » .. ولما كان أبى قد اعتاد أن يقضى معظم أيامه فى الصحراء يشرف على أعماله وشئوننه ، فاننى لم ألبث أن ألححت عليه فى أن أكون دواما بجانبه ، وأن نقيم فى « الفيلا » الصحراوية بالغربانيات ..



وبدأت اقامتى فى الصحراء راضية مطمئنة ، وقد ارتحت للعزلة الهادئة الناعمة ، واستطبت زمالة « دى موسييه » و « جورج صاند » و « مارسيل بريفو » . . واستعذبت الاجواء الخيالية التى كانت تتيحها لى المجلات القصصية المصرية التى بدأت فى ذلك الحين - منذ خمس عشرة سنة - تغزو أسواق الادب المصرى ، وتحطم الجمود القديم الذى ران على ذلك الادب . .

غير اننى لم ألبث أن أحسست بالملل يتسلل الى نفسى ، فأخذت ألوذ بالخيال الذى اكتنزه ذهنى مما قرأت ، والذى أذكته فى أعماقى أحلام الانوثة المبكرة . . ومن هذا الخيال خلقت جوا هائلا أعيش فيه . . فأخذت ألجأ الى « البونى » الصغير أمتطيه وأنطلق به - كأمريكيات البرارى اللائى كنت أقرأ عنهن فى القصص - فأجوس خلال مزارعنا ، وأزور خيام البدو وكأننى أكتشف مغارات من قبل التاريخ . . وكثيرا ما كان يرافقنى التابع الذى وضعه والدى فى خدمتى - فى زيه الصحراوى وبندقيته على كتفه - فأخال نفسى احدى أميرات البادية فى « ألف ليلة وليلة » ، أو فى بعض الروايات التى وضعها كتاب فرنسيون عن مراکش والجزائر . .

- ٢ -

◆ ولدت لى الحياة على هذه الوتيرة ، فاستسلمت لامواجهها تحملنى مترفقة الى شاطئ مجهول لم يستطع خيالى يوما ان يبلغه ، اذ كان كلما اقترب منه ازداد المجهول بعدا ونأيا . . ولم يك ثمة ما يضايقنى سوى شئ واحد . . كنت اشعر أن ثمة فراغا فى حياتى . . كان ثمة شئ ينقصنى دون ان أدري كنهه أو اتعرف على ماهيته ! . . . كان بنفى ظمأ ، وكان جهلى بما يطفىء هذا الظمأ يبعثنى على الشعور بأننى اسيرة حيرة مستبدة ، تطورت الى ثورة متمردة راحت تعمل فى أعماقى ، فيزداد ضغط الأبخرة المتصاعدة منها على جدران قلبى الحائر المعنى . .

وكنت قد بلغت اذ ذاك السابعة عشرة ، وقد سبق نموى ركب العمر ،
فاذا بى ابدو فى رشاقة وانوثة ابنة الخامسة والعشرين .. ولعل هذا
كان من نتائج الحياة المترفة التى نشأت فى احضانها ، ومن اثار الرياضة
والجو الصحراوى ..

وفجأة ، حدث التطور الذى غير كل حياتى .. تطور لم يكن ليخطر لى
على بال ، ولا تمثله خيالى يوما ..

ففى ذات مساء ، كنت اجلس مع « دادة فاطمة » وقد ضايقتنى ان تألبت
عناصر الطبيعة فحالت بينى وبين نزهة ليلية كانت نفسى تهفو اليها .. فقد
كان القمر فى تلك الليلة بدرا ، وكانت اشعته تنساب على رمال الصحراء ،
فتحيلها الى خليط من الذهب والفضة ، تحيط به هالة من رواء فاتن ..
وراق لى ان اخرج ، ولكنى لم اكذ اعد عدتى ، حتى انقلب الجو فجأة
- كعادته فى شتاء الصحراء - واذا بريح باردة تهب مشبعة برائحة الماء ،
دليلا على تساقط المطر فى بعض جهات قريبة ، ونذيرا باتجاه السحب الى
ناحيتنا ..

واضطرت الى البقاء فى البيت .. واشتد هبوب الريح ، فأغلقتنا النوافذ،
وانكمشنا كأهل قلعة حاصرها العدو فعزلها عن العالم .. وزاد من حنقى
ان كنا ننتظر عودة ابنى من الاسكندرية فى ذلك المساء ، فاذا بقطار المساء
يفد من المدينة وابى ليس بين ركابه !

وحاولت ان اتلهى عن ضيقى بالقراءة ، ولكن زئير الريح ووقع المطر
كانا يشغلاننى عن ان اركز ذهنى فى ما حاولت ان اقرا .. وفجأة ، سمعت
صوتا غريبا وسط لحن الطبيعة الشائرة .. وما لبثت ان تبينت انه ازير
محرك سيارة .. ثم انبعث دوى « كلاكس » مرتفع ، تبعه صوت باب البيت
يفتح ..

وقفزت من مكانى وقد ظننت ان والدى آثر العودة بالسيارة .. واسرعت
الى خارج العرفة .. وعلى ضوء مصباح الغاز القوى « الكلوب » - الذى كنا
نستعمله فى الاضاءة فى الصحراء ، لم ار والدى ، وانما رايت شابا فى
معطف « ووتر بروف » انيق ، وقد بدا شعره متناثرا فى فوضى بثتها الريح
السافية .. بينما قبعت عيناه خلف « نظارة » ذات لون ازرق خفيف ..



◆ ولم ار فى مظهره ما يدل على انه من أولئك المدنيين الذين اعتدت
ان اراهم فى البادية او فى بلدة « الحمام » ، حيث المركز وحيث اكبر أسواق
الصحراء التى يرتادها التجار والموظفين من أبناء المدن ..
وحيانى الشاب باحترام ، قائلا فى لهجة نمت عن ثقافة :



— باردون يامدموازيل .. كنت قادما من القاهرة بسيارتى فى طريقى الى بلدة الحمام ، ولكن الظلام والمطر وانقطاعى عن الصحراء منذ سبع سنوات ، اجتمعت على ان تضلنى عن الطريق .. ونظرت اليه مأخوذة، وهو ينطلق فى حديثه ببساطة وارب ألفة ، وكانما امره يهمنى : « واذا رأيت الضوء فى نوافذكى ، تذكرت « فيلا » مراد بك شوقى — التى عرفتھا فى صفرى .. مذ كنت فى الجامعة ، وكنت اقضى الصيف فى الحمام ، حيث مركز تجارة والدى — لذلك لجأت اليكم ، عسى ان تسمحوا لاحد اتباعكم بأن يصحبنى ليرشدنى الى الطريق .. »

وكنت اصفى اليه وانا ذاهلة .. لم اكن قد سمعت حديث اهل المدن من زمن ، فما بالك والمتكلم كان شابا .. وشابا تبدو اناقته غريبة فى الصحراء الثائرة .. ثم صوته .. كانت فى صوته نبرة رقيقة اثارت فى نفسى اعجابا خفيا !

وارسلت معه احد الرجال ، رغم ان مسعود — تابعى — نبهنى الى ان الشاب لم يكن سوى « يسرى » نجل الشيخ فتح الله غريب ، الذى كان من كبار تجار الصحراء الغربية ، والذى كان اجرا غريم ناوا والذى وتصدى لايقاف طغيانه على حقوق الاهالى البدو !



ونسيت الحادث مع توالى الايام ، فلم تبق منه سوى ذكرى ، نسج حولها عنكبوت الاهمال غلالة فى ركن بعيد فى اغوار ذاكرتى .. فلم يعد يتبدى لى — فى بعض الاوقات التى كان يحلو لى ان انبش خلالها ذكرياتى — سوى صورة باهتة مهتزة للشاب فى معطفه « الووتر بروف » وشعره المشعث ، وحديثه الهادىء السليم ذى النبرة الحلوة .. ومع ذلك فان هذه الصورة غير الواضحة استطاعت ان تعكس على صورة فارس احلامى — الذى كنت ارسمه فى خيالى — بعض خطوط غيرت من تصميمها الاصلى .. حتى كان ذات يوم ، قصدت فيه الى سوق بلدة الحمام للنزهة والفرجة والتسرية .. واذا بى اصادف الشاب مرة اخرى ..

وارتبتك اذ تقدم لتحيتى حين رآنى ، وراح يلح فى دعوتى الى بيت اسيرته .. وكان الموقف غريبا امام البدو الذين كانوا يحتشدون فى السوق .. كانت جراءة لا تقرها تقاليدهم ، ان يتقدم شاب لتحية فتاة ، على مرأى من القوم دون خجل او استحياء .. وكان الادعى للدهشة والاستنكار ان اباه المحبوب لدى الناس لطيبته وحرصه على مصالحهم ، كان غريما لأبى الذى لا يستطيع ان انكر انه كان بغيضا لديهم لظلمه وقسوته فى تقاضى حقوقه ، وايقاعهم فى شرك القانون لتجريدتهم من املاكهم التافهة عند عجزهم عن سداد أى دين له او أى قسط من اثمان الأراضى التى كانوا يشتمرونها منه ! على أننى - ورغم هذه الظروف - وجدتنى انساق الى اجابة الدعوة، بينما كان تابعى « مسعود » لا ينفك يهمس فى اذنى يحذرنى من غضب والذى ان علم اننى قبلت ضيافة ابن غريمه ! .. وكأنما كانت الاقدار تصر على ان تدفع « يسرى » الى طريق حياتى .. اذ التقيت فى دار اسرته باخته ، فاذا بها فتاة فى مثل سننى ، وفى مثل ثقافتى ، وان لم تدرس فى نفس المعهد الذى تعلمت فيه ..

وكان لزاما ان ادعو « سناء » مع اخيها « يسرى » لتناول الشاي فى دارنا ، بعد أيام ، ردا لكرمهما ..

ولن أطيل عليك ، فقد بدأت اتزاور وسناء بعد ان عاد اخوها الى عمله فى القاهرة .. وتوطدت بينى وبينها صداقة، سارع فى توطيدها تقارب السن وتناسق الثقافة وشعورنا بأننا كنا كقريبين من وطن واحد تلاقيا فى غربة كانت تمضهما ..

وكان من الطبيعى ان تعن لى فرص لقاء يسرى او سماع انبائه ، فبدأت اشعر نحوه باهتمام غريب .. واخذت افطن الى ان صورته التى كانت مهمة فى اعماق ذاكرتى قد نشطت - بدفع قوة خفية - فنفضت عنها غبار الاهمال وراحت تزداد وضوحا وترددا على خيالى واحلامى ..

= ٣ =

◆ وجاء « يسرى » الى الصحراء فى الصيف التالى .. ولم اك أدري نبأ مقدمه .. ولكننى كنت اجوس على صهوة جوادى ذات اصيل بين حقول الشعير ، حين رايت شابا يقبل على جواد اشهب ، كفارس من فرسان العرب أيام الحروب الصليبية .. وكان يسرى ! .. وتصافحنا .. ودعوته الى تناول الشاي ، ولكنه اعتذر اذ اشفق ان نحرم من مناظر الغروب الرائعة فى الصحراء ..



وعجبت لهذا الذوق الشاعرى لديه
.. وخطر بنا جوادانا وقد أسرنى
منه حديثه الساحر عن القاهرة
والاسكندرية ، وعن غرامه بالصحراء
وجمالها وروعها .. وبدأ لى كشاعر
ينظم قصيدة غزل .. فى البادية !

وتكررت لقاءاتى مع يسرى فى نزهات
كنا ننطلق فيها على جوادينا فى الخلاء
المترامى .. الى أن كانت ذات ليلة تغيب
فيها أبى فى الاسكندرية ، وخرجت فى
أحدى نزهاتى الليلية ، وإذا بى أفاجا
بيسرى عند كتيب من الرمال بعيدا عن
« الفيلا » .. وراعنى أن رأيت له للمرة
الاولى قد تخلى عن زيه المدنى ، وارتدى

ثياب شباب البدو ، فترأى فيها كامير من أمراء الصحراء ، خرج يضرب
فى الخلاء بحثا عن فلول من رعيته ، خرجت تسوق أغنامها الى المرعى ولم
تعد فى نهاية النهار الى « النجع » ..

وسرنا وئيدا ، وأنا لا أدرى ما الذى اعترانى فجعل قلبى يرسل دقاته
متتابعة فى وجيب قوى .. وكنا صامتين طيلة الوقت .. ثم التفت نحوه ،
وكان القمر قد شرع يرقى فى السماء ، مرسلا اشعته على الرمال ..
وخرج يسرى فجأة عن صمته ليتساءل : « الا يشير هذا المنظر شيئا فى
نفسك يا مدموازيل سعاد ؟ »

وكان المنظر شاعريا خلايا اثار فى نفسى احساس غريبة عجزت عن التعبير
عنها فأثرت الصمت ، بينما استطرد « يسرى » قائلا : « انه يشير فى صدورى
عاطفة .. كنت اجاهد لاختفائها ، ولكنى اجسها الليلة طاغية متمردة على كل
مقاومة .. »

وبقيت ساكنة ، موجسة .. مأخوذة .. كان صوته قريباً ، حالاً ، ينبعث
من اعماقه ..

ولن اطيل عليك مرة أخرى ، فأنت أدري بالمحاولات التى تسبق البوح
بالهوى .. اجل ، فى تلك الليلة صارحنى يسرى بحبه ..

وفى غفلة من مسعود - تابعى - ضمنى يسرى .. ونعمت بأول قبلة
عرفتها من غير أبى وأمى .. و « دادة فاطمة » ! .. كانت قبلة لا عهد لى

بمثليها .. كانت رسالة عاطفية حملتها اجنحة خيالية من نور حلقت بها
عاليا كي تلقى بها عند اعتاب .. روى !



♦ وتبدلت الحياة في ناظري بعد تلك الليلة ، وزال عني ما كان يغشاني
من ملل .. كنت كحائرة اهتدت اخيرا الى موطن حيرتها ..
بل ان كل شيء في كياني تغير .. اصبح الحب يسيطر على في شعوري
نحو كل شيء ، وكل شخص .. حتى أولئك البدو الذين كنت اراهم اقل من
عنصري الخليط .. الشركسي الفرنسي ! .. اصبحت ارى الحب في كل
شيء .. حتى في رمال الصحراء .. الرمال المتلاصقة ، المتزاحمة ، كان
يخيل الي انها جموع من العشاق تضام كل اثنين فيها وتعانقا في قبلة ابدية ..
اجل ، كنت اخالها .. رمالا عاشقة !

وتوالت الايام حتى اكملت اسبوعين كانا من أسعد فترات حياتي .. ثم
انقضت اجازة « يسرى » فعاد الى القاهرة ، وبدأت اعرف اللوعة والاسى لأول
مرة بعد وفاة أمي .. بيد ان خطابات يسرى كانت تمحو الشجون عن قلبي
وتسرى عني ..

وكأنما اراد القدر ان يترفق بنا ، فاذا بفتاى ينقل الى الاسكندرية .. ولم
اتردد في ان اعود الى الحياة بمنزلنا السكندري ، الذي كنت لا اقيم فيه
الا فترات وجيزة ..



♦ وصارت لنا لقاءات عذبة ، حبيبة ، ما زلت احس نشوتها تسرى في
نفسي المهدمة .. او بالاحرى ، انقاض نفسي . ورحنا ننهل من مورد الحب
الصافي ، لاهيين عن العالم ، لا نكاد نفكر في ان احقاده وشروبه قد تعدو
يوما على هنائنا وغرامنا ..

ولكن هذا خاطر راود ذهن يسرى ذات يوم ، فيما كنا عائدين من نزهتنا
الحبيبة في سيارته .. اذ اعتدنا في بعض الايام ان نزور بلدة على اعتاب
الصحراء ، اجتذب جمالها وهدوؤها الاجانب وابناء الطبقة الراقية في
الاسكندرية فاتخذوها قبلة لهم في عطلات نهاية الاسبوع .. تلك هي
« ايكنجى مريوط » .. اظنك سمعت عنها !! .. كنا نجد متعة في التردد
عليها ، فقد كان بنا ابدا حنين الى الصحراء ، والى رمالها العاشقة .. حيث
ولد حبنا !

بدا يسرى في ذلك اليوم واجما ونحن في طريقنا عائدين الى الاسكندرية ..
وحاولت ان اعرف ما كان بمضه ، ولكنه حاول بدوره ان يكتم عني شجاءه ..
حتى اذا التحت ، حدث طويلا في عيني ، ثم سألني : « اما خطر لك يوما

يا سوسو ان تفكرى فيما يكون من امرنا لو رفض أبوك أو أبى أن يسمحا لنا بالزواج ؟ »

ووجمت للسؤال .. كان كحجر ألقى فى بحيرة هنائنا فاضطرب سطحها بعنف .. ووجدتنى أصبح بعد هنيهة: « محال .. بابا لا يمكن أن يرفض .. وإذا رفض .. إذا رفض .. فأنا على استعداد لأن احطم القيود .. واضحى بكل شيء »

وتأملنى يسرى طويلا فى اشفاق واعجاب وحب .. بيد انه لم ينبس ببنت شفة ، وانما ضمنى اليه فى عنف ، ووجد ، وكأنه يخشى أن تنتزعنى منه يد خفية .. لعلها يد القدر ..



♦ وتلاحقت الفصول ، حتى اكتملت عامين فى عمر هوانا .. وحن الصيف .. ورحلت الى « الغربانيات » ، اذ اعتاد يسرى ان يذهب الى الحمام فى عطلات نهاية الاسبوع ، فكنا نتلاقى فى احضان الصحراء الحنون .. وازدادت لقاءاتنا عندما حصل يسرى على عطلته السنوية ..

ولكن .. ولكن عينى لم تخفقا فى ان تلمح سحابة قاتمة كانت تبدو على جبين يسرى ، ولو أننى لاحظت انه كان يحاول جاهدا أن يبدها بابتسامته الجميلة .. وتولانى قلق محموم ، جعلنى أتلهف على معرفة ما كان يكتم من اسى .. وكنت فى أول كل لقاء الح عليه بالسؤال ، ولكنه كان ينكر ، ثم يعمد الى اصطناع المرح ، ويسعى الى ان يشغلنى عن السؤال ..

ولم يكن قد بقى من عطلته سوى اسبوع ، حين فاجانى بمفاجأة هزتنى فى عنف : كنا نجلس على رمال كثيب فى الخلاء .. وظل يسرى مطرقا برهة طويلة ، ثم رفع عينيه فى تودة وراح يحرق فى عينى .. وكانت نظراته تفيض بأسى وحيرة غامضين .. واخيرا قال : « اتذكرين يا سعاد سؤالا وجهته اليك مرة ونحن عائدان من ايكنجى مربوط الى الاسكندرية ؟ »

وانقبض قلبى ، وسألته فى لهفة : « أى سؤال ؟ »

— ماذا يكون من امرنا لو رفض أبى أو أبوك أن يبارك زواجنا ؟

— آه .. واذكر اننى قلت يومذاك اننى لن اتردد فى التمرد على أبى ..

ولكن ، فيم سؤالك اليوم ؟

فنكس رأسه ، حتى اذا رفع بصره ثانية ، كانت ثمة دموع حائرة تترقرق بين اهدابه .. وجزعت .. واحسست بيد خفية تعصر قلبى .. يد ذات برودة جليدية .. وصحت : « يسرى .. ماذا وراء سؤالك .. قل .. صارحنى ! »

— لشد ما اخشى يا سوسو ..

وترنحت كالسكرى ، وما انا بالسكرى ولكنها قسوة الخوف الذى استبد

بى .. وقلت فى صوت مختنق : « يسرى .. قل لى كل شىء .. هل رفض ابوك ؟ »

وسكت برهة لا يكاد يدرى كيف يتكلم ، ثم قال : « لا .. بابا لم يرفض ، ولكن هناك ظروفنا .. ظروفنا قاسية احاول ان اكافحها — ما حضرت فى عطلتى »

وامام الحاحى ، بدأ يتكلم وهو ينتزع كل كلمة انتزاعا ، فيختلج وجهه بالالم .. كان ابوه قد اصيب بنكبة مالية تصدعت لها تجارته واعماله ، مما اضطره الى الاستدانة من زوج اخته .. ولكن الضربات توالى عليه ، فلا هو استطاع ان يسد الدين ، ولا تجارته استعادت مكانتها القديمة .. بل ان الاحوال استفحلت واشتد تدهورها ، حتى اشرف على الافلاس .. وهنا راح قريبه يلوح له بصفقة جديدة .. يدفع عنه دينه ويمده برأس مال جديد ، مقابل شرط واحد .. شرط قاس ، فيه اجحاف وعنت و .. خسة ! .. وكان يسرى هو محور هذا الشرط .. كان الرجل على استعداد لان يقدم هذا الذى عرضه ، لو ان يسرى تزوج من ابنته !



♦ وكان الوضع قاسيا .. وشعرت بالصدمة تضعض كيانى .. واحسست بقلبي وكأنما استحال الى كتلة من الرصاص الثقيل عجز صدرى عن احتمالها ، فانحنى تحت ثقلها ظهري .. ومضى يسرى يتحدث .. عبثا سعى الى التحايل على هذا الوضع .. وعبثا حاول ان يجد لوالده مخرجا .. وراح يفكر ويسعى ويحاول .. ولكن المناول كانت تسد اينما اتجه .. وكأنما احس الدائن بحيرة الأب وابنه ، فشاء ان يزيد من ضغطه عليهما ، وشرع ينذر بأن ظروفه قد تضطره الى ان يطالب بما له من ديون .. وكان معنى ذلك ان تحل بالشيخ فتح الله الطامة الكبرى .. فهو ولا بد عاجز عن تقديم المال .. ومن ثم فلا مفر من اعلان افلاسه .. وانهيار سمعته ومكانته .. واسرته !

وكان مفتاح الموقف كله فى يد .. يسرى .. وجن جنونى فى بداية الامر .. واطاشت الصدمة بحجاي .. وانقضى يومان لم التق فيهما بيسرى .. فلما لم يأت فى اليوم الثالث ، تعمدت ان ابلغ فى نزهتى « الحمام » فأخرج على دار اسرته ، بحجة زيارة اخته ..

وبدأ جو البيت مكفهرًا ، تتسلط عليه نذر عاصفة عاتية تحطم ، وتقوض .. وتنسف نسفا !

وفكرت فى ان احمل والدى على ان يساعد الشيخ فتح الله ، ولكننى سرعان ما تخليت عن الفكرة .. كان العداء بينهما أقوى من ان يمكن تجاوزه .. وكانت ظروف ابى — من ناحية اخرى — تتجه اتجاها لا يبشر ..

- ٤ -

♦ **وحان** موعد رحيل يسرى ، فتلاقينا فى الليلة التى سبقتة .. وكان لقاء مظلما ، كئيبا .. حتى اذا حان لنا أن نفترق ، قال يسرى : « سعاد .. قد يكون هذا آخر لقاء لنا » وكان حبى قد بدأ فى ذلك اليوم يسـمو بى عن أكرار الصدمة ، ويرسل ضوءا صافيا على المشكلة .. وكنت أشفق على يسرى أكثر مما أشفق على نفسى .. ومع ذلك فقد بدت كلماته كالصواعق ، فصرخت جزعة .. بينما عاد يقول : « اننى حزين يا سعاد .. وحائر ، فلست أدري مصيرا لحبنا الذى تتلاعب به أنواء الحوادث .. لقد بكى أبى هذا الصباح بين يدى .. انه يشعر بأننى مظلوم فى هذا الوضع القاسى .. ولكنه يدرك أيضا ان فى يدى مفتاح الموقف .. ولم يحاول أن يوحى لى بشئ ، مع ذلك .. »

وهنا كان حبى ، قد بلغ أوج سـموه ، فخيل لى أن نورا وهاجا قد انبثق منه لىضى لى طريقا لم أتردد فى أن أنهجها ، فصحت وأنا أكافح كى أحتفظ برباطة جأشى ، بينما كان قلبى يتفطر : « يسرى .. ان أباك يستحق أن تضحى من أجله .. وأنا مستعدة لان أضحى معك .. فكر فيما يحدث لو أنه تحطم تحت قبضة الوحش .. فكر فى أمك وأختك .. اننى لن أقبل أن تكون لك يد فى الزج بهم الى مصير تعس .. فلنضح يا يسرى بغرامنا »

فصاح وكأنما كان قلبه ينتحب : « محال .. لا يمكن أن أسعد .. ما ذنبى ؟ .. وما ذنبك ؟ .. وما ذنب هوانا ؟ » ودفن وجهه بين راحتيه ، وجسمه يهتز تحت ثورة عنيفة .. واغرورقت عيناى بدموع تكسرت على حافتى جفنى .. وانحنيت على يسرى وقد اجتاحت عطف أنسدانى نفسى وفجيعتى فى حبى ، وقلت : « يسرى .. أو أنت أضعف منى ؟ .. لا .. »

وراح الحب الطاهر المبرأ من أى غرض ، يحطم آخر قلاع
الانانية ، فرحت أهون على يسرى المصاب ، وكأنما هو مصابه
وحده لا مصابى .. وصاح المسكين : « أمجنونة أنت يا سوسو
.. ألا تدركين ماذا يعنى اقتراحك بالنسبة لك .. ان آلامى
لا تهمنى ، ولكننى أشفق عليك »

وفى جهد جبار ، تصنعت البرود لأقول : « على أنا .. لا ..
سأفعل ما يفعله الناس .. سأجتهد أن أنسى ! »

ثم .. فارقتنى قواى ، فانهرت بين أحضانها باكية .. وراح
يضمنى فى عنف أوحته لوعة الاسى المشبوب .. وعاد الحب
السامى يبت فى روحى جلدا ، فتمالكت نفسى وقلت : « دع
عنك كل اعتبار يا يسرى ، فأنا أوقن من أنك نبيل .. ولكن هذا
النبيل لا يجب أن يختلط بالانانية .. ان سعادة أهلك فى يدك
.. وان غرامنا لأسمى من أن يعنى بالجسد .. ولن يقتل الفراق
حبنا ، بل انه سيبقى فى قلبينا .. الى الابد »

وتراخت عزيهتى .. فراح صوتى ينبعث فى همس مرددا :
« الى الابد ! »

وعدنا نتعانق فى وجد طاغ ، وغبنا عن العالم ..
وانتبهنا على لسعة من رطوبة جو الليل الذى كان قد خلع
ستاره على الرمال العاشقة .. وحانت لحظة الوداع .. وانبعث
صوت يسرى وقد أرهقه الاسى : « حاولى أن تنسينى يا سوسو
.. سأبقى عمري على حبك ، ولكننى أتمنى لو تنسين حبنى »
وحلت لحظة الفراق ، وكلانا لا يستطيع أن ينتقل من موقفه
.. وصاح أخيرا فى قنوط : « انصرفى أنت أولا يا سوسو ..
ارحمينى من الشعور بأنك لا تزالين فى مكانك تراقبيننى اذ
أنصرف »

ولكننى لم أكن أقوى على الحراك .. فقلت والدموع تنحدر
من عينى : « بل اذهب أنت أولا .. دعنى أطمئن وأتزود منك

بالنظرة الاخيرة .. النظرة التى ستبقى لى ذكرها الى الابد !
وطال وقوفنا .. حتى أرسل لنا القدر « مسعود » تابعى
يدعونى الى البيت ..

- ٥ -

♦ ومرت أعوام ثلاثة ، عشت فيها منظوية على نفسى ..
حتى صحرائى الحبيبة لم أعد أحب أن أخلو اليها ، اذ كانت
رمالها العاشقة تبدو لى فى تعانقها كما لو كانت شامتة
تتشفى ..

ولم أعد أرى يسرى ، أو أزور أخته ، أو أسأل عن أنبائه ،
فقد شئت أن أغيب عن حياته كى لا أثير ذكريات تسبب له
حسرة ..

الى أن كان الامس .. والامس فقط ..
لست أدري ما الذى جعلنى أحن الى زيارة الكتيب الذى كنا
نلتقى عنده .. وفيما كنت أقرب منه ، لاحت لى سيارة ، والى
جانبها طفل فى حوالى الثانية من عمره ..
وازددت اقترابا ، ثم توقفت فجأة ، اذ رأيت شخصين قد
افترشا الرمال خلف السيارة .. رجل وامرأة ! .. أما المرأة ،
فقد انهمكت فى التطريز وهى ترفع بصرها بين الفينة والفينة
الى زميلها .. وأما الرجل ، فكان يشخص ببصره نحو الكتيب
الرملى وهو مستغرق فى التفكير ..

وتبينت أنه .. يسرى ! .. ووقفت أرقبه ، وقد استيقظ فى
قلبى ألم جبار عات .. لكم حلمت بنفسى فى مكان المرأة الجالسة
الى جوار يسرى ! .. وما أقسى أن انهار هذا الحلم على الرمال
.. الرمال العاشقة التى خيل الى أن كل ذرتين منها تزددان
التصاقا وهما تنظران فى شماتة وتشفى .. فاستدرت عائدة
نحو البيت ، وأنا أدفع الرمال بمقلام حداثى .. أفرق بيتها !

هنري القاري ..

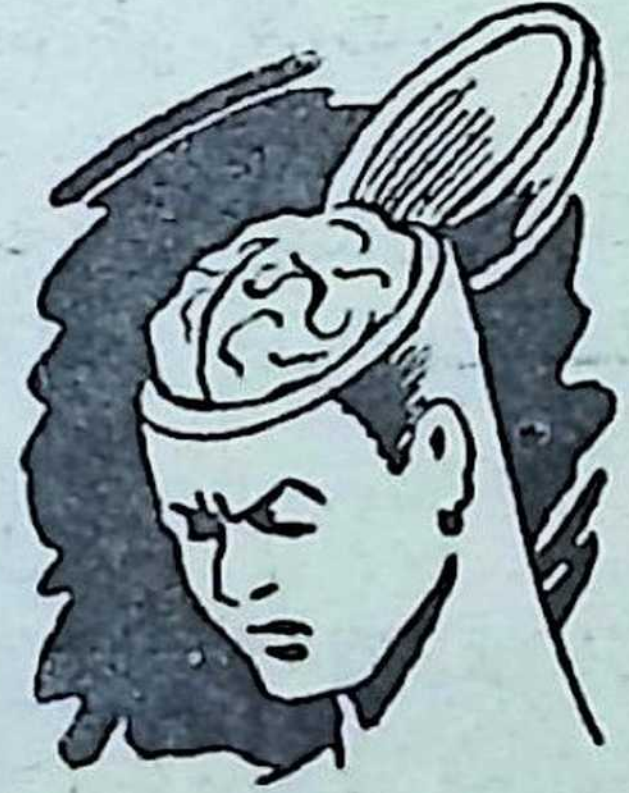
في هذا الباب قدمت لك في الاعداد
الماضية من كتابي ، الكتب الاتية على
التوالي : « كيف تصارح اولادك وبناتك
بالحقائق الجنسية » ثم « طريق السعادة
الزوجية » و « مركب النقص » و « حواء
الجديدة » ثم « كيف تقهر الحجل » و « كيف
تقهر القلق وتستمتع بالحياة » ..

ثم قدمت لك بعد ذلك من « فنون
الحياة » التي شرحها المفكر العالمي « اندريه
موروا » : فن الحب ، فن الزواج ، فن
الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ،
فن الزعامة ، فن السعادة ، فن التفكير ،
واخيرا فن الاستمتاع بالشخوخة ..

ثم انتقلت بك منذ العدد (١٦) من
صحبة اندريه موروا الممتعة الى صحبة
مفكر عالمي آخر هو الفيلسوف الانجليزي
المعاصر « برتراند رسل » في كتابه
المشهور « غزو السعادة »

وبعد قدمت لك كتاب فرويد
المشهور « التحليل النفسي » ، يليه
« كيف تضاعف من نجاحك في الحياة » ،
ثم « الجنس الاخر » ، و « عش حياة
ايجابية » ، و « ابواب الحب المفلقة »
واليوم اقدم لك فيما يلي هذا الكتاب
القديم في فن الحب للشاعر الروماني
« اوفيد » .

حواقر الحياة



النفوس ،

والجنس ..

والمجتمع ..

للمفكر الروماني الخالد
أوفيد



هذا الكتاب .. ومؤلفه

♦ ترى هل تغير الحب ، وتغير البشر ، خلال الألفى عام - أو العشرين

قرنا - الماضية ؟

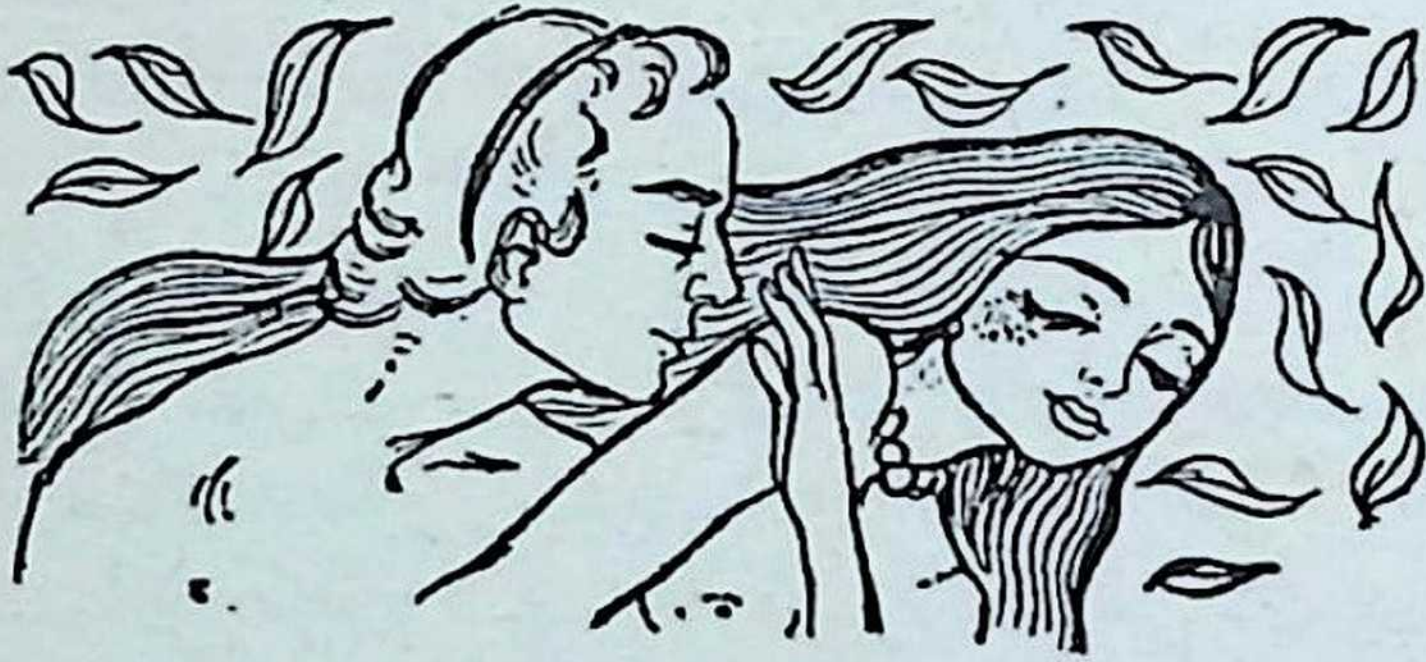
واذا كان ثمة تغير قد وقع ، فهل كانت له صلة بنشوء الأديان ، وظهور المسيحية والإسلام ، من حيث تهذيب حواشيه وتقليم عاطفته .. أم أن العوطف والفرائز طبائع متأصلة لا تتغير فيها ولا تبدل .. ولو ضئيل ؟
في عدد سابق من «كتابي» قدمت لك (فن الحب) كما يراه الكاتب المعاصر « أندريه موروا » .. واليوم أقدم لك (فن الحب) كما أفاض فيه الشاعر الروماني القديم « أوفيد » في ديوانه الذي أطلق عليه هذا العنوان ، وهو أحب مؤلفاته وأروعها على مر العصور - حتى لقد ترجم ترجمة نثرية إلى جميع لغات العالم الحية (عدا العربية !) ، والترجمة التي نقل عنها اليوم هي أدقها وأحدثها ، فقد صدرت في سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، واضطلع بها الأديب الإنجليزي « رونالد سيث »

ويقول المترجم في مقدمة الكتاب « ان البشر - رجالا ونساء - لم يتغيروا البتة ، سواء فيما يتعلق بأخلاقهم أو سلوكهم ، (فيما عدا العصر الفكتوري النفس) .. فنحن نستطيع أن نرى أنفسنا في أشخاص من يتحدث عنهم أوفيد .. والتشابه القوي بيننا وبينهم لا سبيل إلى تجاهله ! »
والكتاب حافل بالدعابة المنطوية على سخرية لاذعة ، وهو مرآة صادقة للمجتمع الروماني منذ ألفى عام .. والنصائح التي ساقها « أوفيد » فيه تعطيه الحق في أن يحمل لقب « الاستاذ في نظرية فن الحب » ، فضلا عن استاذيته غير المنكورة في ممارسة هذا الفن ونطبيقه ، وفصلا عن موهبته الخارقة كعالم نفسي قدير ، من قبل أن يوجد علم النفس !

ونحن إذ نقدم كتابه اليوم ، إنما نقطف أنضر وروده ، تاركين أشواكه .. فمن « أوفيد » ملء بالاشواك ، إذ كان العصر الذي عاش فيه عصر انحلال خلقى ، نداعت فيه معاني الشرف والحشمة وتربع فيه الحب الآثم على أطلال الحب السامي النبيل ..

بقي أن تعرف عن المؤلف أنه ولد سنة ٤٣ قبل الميلاد ، وكان اسمه « بابليوس أوفيداس ناسو » - ثم عرف حين اشتهر باسم أوفيد - وقد عين في فترة من حياته قاضيا ، ثم رئيسا لقضاة روما . وكان صديقا حميما للإمبراطور « أوغسطس » ، إلى أن نفى في سنة ٩ بعد الميلاد - لسبب ما يزال مجهولا - إلى مدينة (ترمي) بقرب مصب نهر الدانوب على شواطئ البحر الأسود ، وهناك مات بعد ٨ أعوام . في سنة ١٧ .. بعد أن انحف الشعر الروماني بانتاج غزير بلغ نحو ٢٢٠٠٠ بيتا !

الجزء الاول



♦ اذا كان بينكم - معشر الرومان - من لا يعرف فن الحب فليقرأ أشعارى ، وليتعلم - أثناء القراءة - كيف يمكن أن يحب .. فان « فينوس » مكنتنى من زمام ابنها الصغير « كيوبيد » ، فأنا قائد عجلة الحب وربان سفينته !

والحب ليس بطبيعته سلس العريكة ، سهل الترويض ، بل انه كثيرا ما يتمرد ، حتى على .. بيد أنى سوف أمسك بزمامه وان غيب سهمه فى قلبى وراح يهز مشعله المتأجج فوقى .. وكلما اشتدت سهامه حدة ، ونيرانه قسوة ، ازدادت تصميميما على أن أثار لجراحي ..

وما قبست الفن الذى ألقنه لكم عن أحد .. وانما اهتديت اليه بالتجربة ، فأطيعوا الشاعر الذى يعرف موضوعه معرفة الخبير المجرب .. ألا فتعلم أيها الراغب فى الانضواء تحت لواء « فينوس » أن عليك أولا أن تبحث عن تلك التى تحبها .. وثانى مهامك أن تحمل المرأة التى تعجب بها على أن تستسلم لك .. وثالثا ، عليك أن تفعل ذلك بطريقة تجعل هذا الحب يدوم ويبقى ..

هذه خطتى .. وهذه هى الرحلة التى ستنتقل فيها عربتى .. وهذا هو الهدف الذى ينبغى أن تبلغه ..

الجمال في روما ألوان !

♦ وان الوقت الحاضر - وأنت بعد خلو من أية ارتباطات -
 لهو أنسب الاوقات لاختيار تلك التى تقول لها : « أنت الوحيدة
 التى تعرف كيف تبعث فى نفسى السرور » .. ولكن هذه لن
 تطير اليك على أجنحة الريح ، بل ان على عينيك أن تبحثا عن
 الجمال الذى يستهويك .. ان الصائد يعرف أين ينبغي أن
 ينصب الفخاخ للغزال ، ويعرف فى أى الوديان يقيم الوعل
 البرى .. وصائد الطيور يعرف أى الادغال أفضل لشبাকে ..
 وصائد الاسماك يعرف أين يجد أكبر عدد من الاسماك ..
 وكذلك أنت أيها الباحث عن هدف للحب الدائم ، تعرف أى
 الاماكن يكثر تردد الحسان عليها .. ولن يضطرك هذا الى
 الانطلاق فى البحار ، أو القيام برحلات بعيدة ، فان روما تتيح
 لك من النساء من يحملن جمالهن وعددهن على الاقرار بأنهن
 تضم كل ما تعتبره الدنيا جميلا .. فاذا شئت جمالا يتفتح
 كالبرعم فى زهر المراهقة، فستجد طوع تأملك فتاة غريرة لا قبل
 لها حقا بالتجربة .. وان كنت تؤثر جمالا أكثر تشكلا
 ونضوجا ، فسوف تحظى بألف شابة ، ولن تشغل بأكثر من
 مشكلة اختيار واحدة من بينهن ! .. ولكن، ربما كانت تستهويك
 سن أكثر خبرة وادراكا ؟ .. اذن ، فصدقنى اذا قلت لك انك
 ستجد صاحبات هذه السن أوفر عددا !

وعندما تدخل الشمس فى برج الاسد ، عليك أن تمشى
 الهوينى فى الحدائق والاماكن العامة والمعالم العريقة .. ولا
 تنسى ساحات الاحتفالات والاسواق والمعابد .. ولكن المسارح
 قبل سواها هى خير المواقع التى تلقى فيها شباكك ، وهى
 أغنى الاماكن بالفرص المواتية .. فهناك تجد من الجمال
 ما يغويك : تجد جمالا تستطيع أن تغرر به وتعبث .. وجمالا
 لن يثير سوى نزوة عابرة فيك .. وأخيرا ، جمالا تشتهى أن
 يكون لك الى الابد ..

وتتهافت النساء عادة فى أجلى زينتهن على الأماكن التى
يزدحم فيها الناس .. يفدن ليكن موضع مشاهدة أكثر منهن
متفرجات .. وهناك ، ينبذ الحياء العذرى لأول مرة .. هناك ،
لا حاجة بك الى تفادى لغة الأصابع كى تعبر عن أفكارك
المستترة .. أو تأويل أفكار حسنائك اذا ما راقبت اشاراتها ..
كيف تستميل فانتك ؟

فاذا وقع اختيارك على واحدة فاجلس بجانبها .. واقتررب
حتى تلتصق بها قدر المستطاع ، فليس ثمة ما يمنعك ، اذ أن
ضيق المكان قمين بأن يضطرك الى أن تلتصق بها ، وبأن
يضطرها - لسعادتك - الى أن تتقبل هذا الالتصاق ..
ثم ، اختر موضوعا يفتح باب الكلام بينك وبينها ، مبتدئا
بالملاحظات المعتادة فى مثل هذه الظروف .. فاذا كنتما فى
ميدان السباق مثلا ، فسلها عن أسماء أصحاب الجياد التى
نزلت الى الحلبة ، وتحمس لما تتحمس هى له منها ..
واذا حدث - وكثيرا ما يحدث - ان حطت ذرة من غبار على
صدر محبوبتك ، فأزلها بأصبعك فى خفة .. وحتى اذا لم تكن
هناك ذرة ، فلا ضمير فى أن تؤدى أصبعك المهمة .. اذ يجب
أن تستغل كل شئ حجة لتوثيق ما بينكما ..

هل ترى ذيل ثوبها يجر جر التراب ؟ .. اذن فارفعه كى
لا يتسخ ، فلعلها تدعك تلمح ساقها ، جزاء لك على كرمك ..
وهكذا تكسب بالتوافه والسفاسف ودها .. وكم من عشاق
نجحوا فى الفوز بعشيقة لمجرد مبادرتهم الى تسوية الوسادة
التي تستند اليها ، أو استجلاب الهواء حولها بمروحة ، أو
وضع تكأة تريح عليها قدمها الرشيقه !؟

والحفلات والمآدب تيسر بدورها أسباب التقرب الى
النساء ، ولن تكون نشوة الخمر هى النشوة الوحيدة فيها ..
فهناك ، كثيرا ما يرى ملاك الحب بوجنتين متضرجتين ، وقد حمل
بين ذراعيه الواهنتين كؤوس النبيذ الضخمة .. وما أن يغمس

كيوبيد جناحيه فى النبيذ حتى يتثاقل ويظل فى مقعده بلا حراك .. بيد أنه سرعان ما ينفض جناحيه المبللين ، واذ ذاك .. ويل لمن تمس القطرات الملهبة فؤاده !

اختر محبوبتك فى وضج النهار !

◆ ان الخمر تلين القلوب وتجعلها سهلة الاكتواء .. ويتلاشى الحذر اذ يجرفه السيل الدافق .. ثم تنطلق الضحكات ، فيستجمع الفقير جراته ويعتقد أنه غنى .. وتغيب الاحزان والهموم ، وتشرق الاسارير ، وينبسط القلب وقد طفت الصراحة - وما كان اندرها من قبل - على ما كان فيه من خبث .. وما أكثر ما اقتنصت الفتيات قلوبنا حول الموائد ! .. فان المرأة والخمر نار تنبعث من جوف نار ! .. ومن ثم فحذار من أن تركز الى وهج المشاعل ، فان الليل والخمر أسوأ ناصحين تركز الى مشورتها فى الحكم على الجمال .. وما أقدر الظلام على اخفاء العيوب والنقائص - فليس فى الظلام امرأة قبيحة ! - وكما انك تفحص الاجبار الكريمة والثياب الغالية ، فى ضياء النهار .. كذلك يجب أن لا تفحص جمال الوجه والجسد الا فى وضج النهار !

وانه لايسر على أن أحصى رمال الشاطئ من أن أعدد كل تلك الاماكن التى تصلح لاقتناص الحسان .. فتعال القنك الفنون التى تأسر بها فانتك .. ولتصفوا الى أيها العشاق ، مهما كانت الاوطان التى وفدت منها :

يجب أن توقنوا أولا من أنه لم تخلق بعد المرأة التى يستحيل الانتصار عليها ، فاذا ايقن الواحد منكم بذلك ، فسوف يكون الفازى الفاتح المظفر .. وليس عليه سوى أن يلقي شباكه ! .. فالمرأة لن تقوى على صد الحنان الرفيق الذى يوجهه اليها عاشق شاب ، الا اذا كف الربيع عن الانصات لشدو الطيور ، والصيف عن الاصفاء لازيز الجراد ، والا اذا انقلب الوضع فأصبح الفزال هو الذى يطارد كلب الصيد ! .. الخ .. ولتثق ان المرأة التى تبدو لك راغبة عن الاستسلام ، انما تتمنى فى قرارة نفسها أن تستسلم .. فالحب المستتر المكتوم لا يقل استهواء للمرأة عنه للرجل .. ولكن الرجل لا يحسن اخفاء وجهه ، أما المرأة فتحذق كتمان رغبتها .. ولو ان الرجال كفوا عن أن يكونوا الساعين الى القربى ، لرأينا النساء يتداعين عند أقدامنا ضارعات .. فان رغبة المرأة أشد ضراما من وقدة الرجل .. أو لم تحدثنا الاساطير عن « باسيفه » ملكة كريته ، وكيف هجرت



زوجها « مينوس » لتهيم وراء ملك
البقر .. وراء العجل الذى كان فى
بياض الحليب ، لا يشوب بياضه سوى
علامة سوداء صغيرة فى جبينه بين
قرنيه ؟

ثم منذ الذى لم يمقت « ميديا »
التي قتلت أطفالها من أجل حبها ؟ ..
ولن تتسع لنا الصفحات لو أوردنا آلاف
الأمثلة التي من هذا القبيل ، وكلها
تظهر مبلغ ما فى حب المرأة من جموح
وطيش .. فهو أعتى من شهواتنا
وأكثر اثما ! .. لذلك يجب أن تتجلد
وتتشجع اذ تزج بنفسك فى المعركة ،
وليقر فى روعك انك ولا بد منتصر ،
وانك لن تكاد تجد بين ألف امرأة واحدة
تصدق ، فان الفتاة تحب من يطلب ودها ،
سواء منحته اياه أو ضنت به عليه ..

وحتى لو صدتك امرأة فلن يضيرك الصدود ! .. ولكن ما الذى يدعونا الى
توقع الصد ؟ .. ان المرء لا يرفض مغريات لذة جديدة عليه .. وان ارضاء
الغير ليدخل علينا من السرور أضعاف ما يدخله ارضاؤنا لانفسنا !

« الطابور الخامس » فى الحب !

♦ **وَأول ما ينبغى عليك عمله ، هو أن توثق الود بينك وبين خادمة المرأة**
التي تريد أن تخطب حبها .. فهي التي ستعينك على ولوج الدار ! .. ولكن
عليك ان تستبين أولا ما اذا كانت موضع ثقة مولاتها ، وشريكها فيما تقارف
فى السر من لهو ومسرة ؟! .. فاذا فرغت من هذه المرحلة فلا تضن بوعود ،
ولا تتورع عن توسل ، ولا تقف عند شيء فى سبيل اكتساب الوسيطة المذكورة
الى صفك .. واذ ذاك سيفقدو فوزك سهلا ، فان كل شيء يتوقف على
استعدادها لمعاونتك .. ولكن أفسح لها من الوقت ما تشاء ، فهذا اجراء
ينصح به العليمون ! .. مكنها من ان تنتهز اللحظة التي تكون فيها سيدتها فى
حالة انشراح وسرور ، متأهبة للغواية .. فتلك هي اللحظة التي يبدو لها
فيها كل شيء باسماء فى وجهها ، وتومض فيها البهجة فى عينيها كسنايل
الحنطة الذهبية فى الحقل الخصيب ! .. والقلب حين يكون سعيدا ، خلوا

من الأسى، يكون مهيباً بطبيعته للحب .. وهذه هى الآونة التى تنزلق فيها فى رفق الى مغاور الاسرار ..

كذلك تستطيع أن تتخير اللحظة التى تشكو فيها حسناؤك من اتفه اساءة أصابتها من غريم لك ينافسك فى السعى الى قلبها .. ويحسن أن تتصرف اذ ذاك تصرفاً يبديك بطلا شهماً فى نظرها . وستكون الخادم خير عون لك فى هذا : فقد تنتهز فرصة انفرادها مع سيدتها وهى منصرفة الى زينتها فى الصباح ، فتثير غضبها على ذلك الغريم ، ثم تنتهد فى أسى وتقول فى خفوت : « ومع ذلك ، فما أراك تجرؤين على أن تعاملى هذا العاق بما ينبغى أن يعامل به ! » .. وهكذا تمهد للحديث عنك .. وتسوق كل اغراء لاجتذابها اليك .. وتقسم لها أغلظ الايمان انك تذوب وجداً بها .. واذ ذاك ، يجمل بك أن تسارع الى استغلال الفرصة قبل أن تنقلب الريح ويهدأ الفضب .. فان غضب المرأة هش كالزجاج ، ولا يدوم طويلاً !

ولعلك تسأل نفسك : « أليس من الخير ان العبد على عواطف الخادم اولا ؟ » .. وقد يكون هذا صحيحاً ، ولكنه محفوف بالخطر .. فقد يسول هذا للخادم ان تحتفظ بك لنفسها ! .. لذلك يحسن العزوف عن الطريق غير المضمونة .. وانا شخصياً لا أحب القفز فوق المهاوى والصخور الشائكة .. ومع ذلك ، فاذا فتنتك الخادم وهى تحمل خطابات الهوى اليك او منك ، فاحرص اولا على السعى الى نيل سيدتها ، فان الخادم لن تلبث ان تقفوا اثر المخدومة .. ولكن لا تبدأ بالخادم ، بل ابداً بالسيدة !

على اننى اريدك ، اذا كنت تؤمن بالفن الذى القنك اياه ، ان لا تقدم على المفامرة قبل ان تكون متاهباً للمضى فيها الى غايتها .. وثق ان الخادم اذا ما الفت نفسها قد اوغلت فى المؤامرة ، فلن تجسر على التراجع والتخلي عنك .. فان الطائر اذا ما قص جناحاه عجز عن التحليق بعيداً .. والدب البرى يتخبط فى الشباك على غير جدوى .. وكذلك الخادم حين تلقى نفسها مندمجة فى معاونتك على خطيئتك فانها لن تقوى على الفدر بك ، وبذلك تعرف انت عن طريقها كل ما تفعل عشيقتك وكل ما تقول ! .. ولكن عليك قبل كل شيء آخر ان تكون حريصاً .. فلو انك احسنت كتمان اتصالك بالخادم ، فلن يبدو لك اى غموض فى اى تصرف من تصرفات فاتنتك !

الوقت المناسب !

♦ ومن الخطأ أن تظن أن الفلاح وحده هو المضطر الى تعرف الجو ليتخير وقت البذر .. او ان الملاح وحده هو المضطر الى تتبع احوال الريح حرصاً على سلامة سفينته .. بل انك انت ايضا مضطر الى تبين الفرصة المناسبة لبلوغ غايتك ، فليس كل وقت مناسباً للتقرب الى اية حسناء :

فمثلا خليك بك أن تتفادى عيد ميلادها ، وان تتجنب المناسبات التى تضطر فيها إلى تقديم الهدايا .. فان المرأة بارعة دائما فى انتهاج السبل للفوز بمال العاشق المدله .. وقد تكون جالسا معها فاذا ببائع يتقدم عارضا سلعة ، وعند ذاك ستعتمد هى الى احراجك بأن تسالك ذوقك فى السلعة ، ثم تميل فتمنحك قبلة، وتقول انها تتمنى لو استطاعت الفوز بها اليوم، فقد لا تجدها بمثل هذا السعر البخس فى الغد! .. ولن يكون لتعلقك عندئذ بأنك نسيت نقودك فى البيت قيمة، اذ يكفى ان تكتب للبائع وريقة بالثمن .. وستندم اذ ذاك على انك تعلمت الكتابة يوما !

وكم من مرة ستعتمد ان تحدثك عما تتمنى أن يقدم اليها فى عيد ميلادها؟ .. ثم ، كم من مرة ستبدى لك الحزن على شىء وهمى أضاعته ، كحجر نفيس أو قرط ، وتمضى تحدثك عن الخسارة وهى دامعة العينين ؟ ! نعم ، فهكذا النساء .. ولو اننى أوتيت عشرة أفواه ، وعشرة السن ، فلن تكفى للحديث عن حيلهن والاعبيهن !

السلاح السرى !

♦ ولكنك تستطيع أن تستعيز عن تقديم الهدايا بتقديم الوعود .. فان الوعود لا تكلف شيئا .. وكل امرئ غنى بالوعود .. أما اذا منحت عشيقتك شيئا ، فلا تأمل فى أن تحصل منها على مقابل ، اذ أنها لن تخسر شيئا اذا أغضبتك ما دامت قد أفادت من كرمك .. لذلك تظاهر دائما بأنك على وشك أن تمنح ، ولكن لا تتجاوز ذلك أبدا الى المنح !

ان أهم وأصعب الخطوات هى أن تكتسب ود محبوبتك ، وأن تفوز بالخطوة لديها دون أن تضطر لتقديم هدايا لها .. فان الطمع فيما ترتقبه منك ، والرغبة فى أن لا يضيع عليها ما أنفقته لك ، يجعلانها تحرص على أن لا ترفض لك طلبا ..

فابدأ اذن بخطاب تكتبه فى أرق أسلوب ، بحيث تجعلها تهتم بتعرف مشاعرها نحوك ، وبذلك تفتح باب قلبها لك ..! ألا خذوا بنصيحتي يا شباب الرومان ، وادرسوا الادب ، لا لتدافعوا به عن المتهم المذعور فحسب ، ولا لتؤثروا ببلاغتكم على القضاة الصارمين فقط ، وانما لتستهووا به الحسان أيضا !

ولكن عليكم أن تحرصوا على اخفاء ما أوتيتهم من وسائل الاغراء فى البداية ، فلا تبادروا بعرض بلاغتكم ، ولا بانزهو بما تكتبون .. وليكن الأسلوب فى البداية طبيعيا ، واللغة سهلة ، سلسة ، ولكنها من التأثير بحيث تجعل المرأة تخال انها تسمع صوتك وهى تقرأ رسالتك ..! اما اذا ردت الرسالة دون أن تفضها ، فلا تيأس من انها ستقرأها يوما ، واداب على محاولتك ..

واما اذا قرأت رسالتك ولم تجب ، فواصل الكتابة - في هذه الحالة ايضا - بطريقة تجعلها لا تمل قراءة عبارات الهوى .. اذ ما دامت لديها الرغبة في قراءتها ، فانها لن تلبث ان تستجيب وتجيب !
ولربما تلقيت في بادىء الامر ردا جافا تمالك فيه ان تكف عن ملاحقتها ! ولكن ثق انها اذ تطلب ذلك ، تستشعر الجزع من ان تصدع بالامر ، وترجو لو انك عصيتها وتابعت الكتابة اليها .. فامض في ذلك ، ولن تلبث ان تبلغ منك !

كن رجلا في تصرفاتك .. ومظهرك !

◆ وعندما يقدر لك ان تلتقى بحبيبتك ، فاقرب منها وكأنك لا تصدق ان قد أتيح لك ان تلقاها ، وشرح لها مابك في لهجة مبهمة .. فاذا سارت في حديقة على غير هدى ، فسر معها .. واسبقها أحيانا ، ثم ابطئ حتى تتقدمك واتبعها .. ولا تتردد في ان تبتعد بها عن الناس .. ومهما كانت الاحوال ، فلا تفلت فرصة ذهابها الى المسرح ، فاذا ذاك ستكون في ابهى زينتها ، وستجلى روعة جمالها .. هناك ستكون كتفاها العاريتان متعة لبصرك .. وهناك ستستطيع ان تتأملها وان تبدى لها اعجابك دون ما حرج .. وان تحدث اليها بالعين والاشارة .. واحرص على ان تصفق للممثلة التى تقوم بدور فتاة شابة .. وكن اكثر تصفيقا للممثل الذى يضطلع بدور الفنى العاشق .. وقف اذا وقفت ، واجلس طالما ظلت جالسة .. ووطن العزم على ان تنفق وقتك وفقا لاهوائها !

ولا تفتن في تنسيق شعرك ، فان البساطة الخالية من الاصطناع هي خير زينة تلائم الرجل .. وكن نظيفا .. ولا تخش ان تلوح الشمس بشرتك بالسمره اذا مارست التمارين الرياضية في الهواء الطلق .. ولا ترفع صوتك وتحتد في كلامك .. ولا تترك قدميك تفوصان في حذاءين واسعين .. ولا تدع شعرك دون تهذيب ولحيتك دون حلاقة .. واحرص دائما على ان تكون اظافرك مقصوصة ، ولا تهمل شعر انفك بحيث يطل من طاقتها .. وفوق كل شيء ، لا تدع انفاسك ذات رائحة تفسد على من حولك الجو .. ولكن لا تسرف في « التواليت » ، فليس هذا من شيمة الرجال ..

واذا كانت عشيقتك متزوجة فاحرص على ان ترضى زوجها ، فليس انفع لخطئك من صداقته ..

واذا ضمتك ومحبوبتك مائدة في احدى الولائم ، فدع بصرك يلتقى ببصرها ، ليشهدا ما في قلبك من ضرام .. حتى اذا نهض الضيوف ، فانتهاز الفرصة كي تقترب من حسنائك ، واستفل الجلبة والازدحام ، لتمد

اصابعك فتمسها .. وهذه هى اللحظة المناسبة للحديث ، فدع عنك الخجل والحياء والتردد .. ولا تنتظر منى ان اعلمك البلاغة ، فليس عليك سوى أن تشرع فى الكلام ، وستجد البلاغة تواتيك دون أن تشعر ! .. ويجب أن تؤدى دور العاشق على أتمه ، فليعبر حديثك عن جواك ولوعتك ، ولا تغفل وسيلة لاجتذاب محبوبتك واغرائها .. وليس من العسير أن تجعلها تصدقك ، فان قلوب النساء رقيقة رقيقة .. وما أكثر من شرعوا فى «تمثيل» الهوى فاذا بهم يقعون حقا فى حبائله ، وينتقلون من التصنع الى الواقع !

فترققن ايتها الفوانى باولئك الذين يبدون لكن الحب ، فان هذا الحب لن يلبث ان يصبح صادقا ! .. وانت باطرائك حسن محبوبتك والتفزل فيها ، لا تلبث أيها العاشق ان تتسلل الى فؤادها .. فلا تحجم عن اطراء ملامحها ، وشعرها ، واصابعها الرقيقة ، وقدميها الدقيقتين .. فان أكثر النساء عفة تستجيب لما يسكبها المرء من اطراء لحسنها ! .. ولا تكن ضنيانا بوعودك فان هذه الوعود طعم يجتذب النساء .. واستشهد بجميع الالهة على صدق اخلاصك ..

هل أكثر النساء خائنات ؟

♦ واذا كنت حكيما عاقلا ، فاكثف من «الفتيات» بالمداعبة .. ولا حرج عليك من التقرب اليهن اذا ما كنت مدفوعا بالنية الصادقة والاخلاص .. ولا تخدع سوى المخادعات .. فان الاغلبية من النساء غير مخلصات ، وخليق بهن ان يقعن فى الفخاخ التى نصبها لنا ! .. والمرأة الفادرة جديرة بان تذوق الكأس التى مزجت بنفسها مرارتها !

وكثيرا ما تكون الدموع عظيمة النفع فى الحب ، فهى تلين الصخر .. فلا بأس من ان تعتمد ان تراك محبوبتك والدموع تغسل وجنتيك .. فاذا أعياك البكاء ، فبلل جفونك بيديك !

واين العاشق المدرب الذى لا يعرف ما للقبيلات من اثار معززة لناعم القول ؟ .. فاذا أبت عشيقتك ان تقبلها ، فقبلها على الرغم منها .. لسوف تبادرك بالمقاومة ، ولكنها خلال المقاومة تهفو الى الاستسلام .. وكل ما ينبغى ان تراعيه هو ان لا تدمى شفيتها بقسوة وجدك ، فتضطرها الى الشكوى من خشونتك ! ..

واذا لم تنل بعد القبلية كل ما تهوى فانت جدير بان تفقد كل شيء .. حتى اللحظة التى نلتها ! .. واعلم أن من العنف ما يرضى المرأة .. فان

الحياء قد يمنع المرأة من أن تعرض نفسها .. ولكنها تسعد بالاستسلام
إذا ما أخذت عنوة ..

أما إذا لم تستجب المرأة لمحاولاتك الأولى بغير الازدراء ، فلا تضيع وقتك ،
وتقهقر متراجعا .. فمن النساء من يؤثرن أن يؤخذن بالحيلة ، ويكرهن
أن يؤخذن في عجلة ..

ودع الحب يتسلل تحت ستار الصداقة ، فكم من حسناء مستعصية رأيتها
تؤخذ بهذه الحيلة ، فإذا الصديق ينقلب حبيبا ..

وختيق بالعاشق أن يبدو شاحبا ، فإن الحبيبة إذا ما خدعت بشحوبه ،
عنيت في حنان بحبه .. ومن طبيعة هموم الحب وهواجسه ، أن تجعل
صاحبه نحिला ، فلا تخش من أن تلجأ الى استشارة اشفاق محبوبتك
في سبيل الفوز بها !

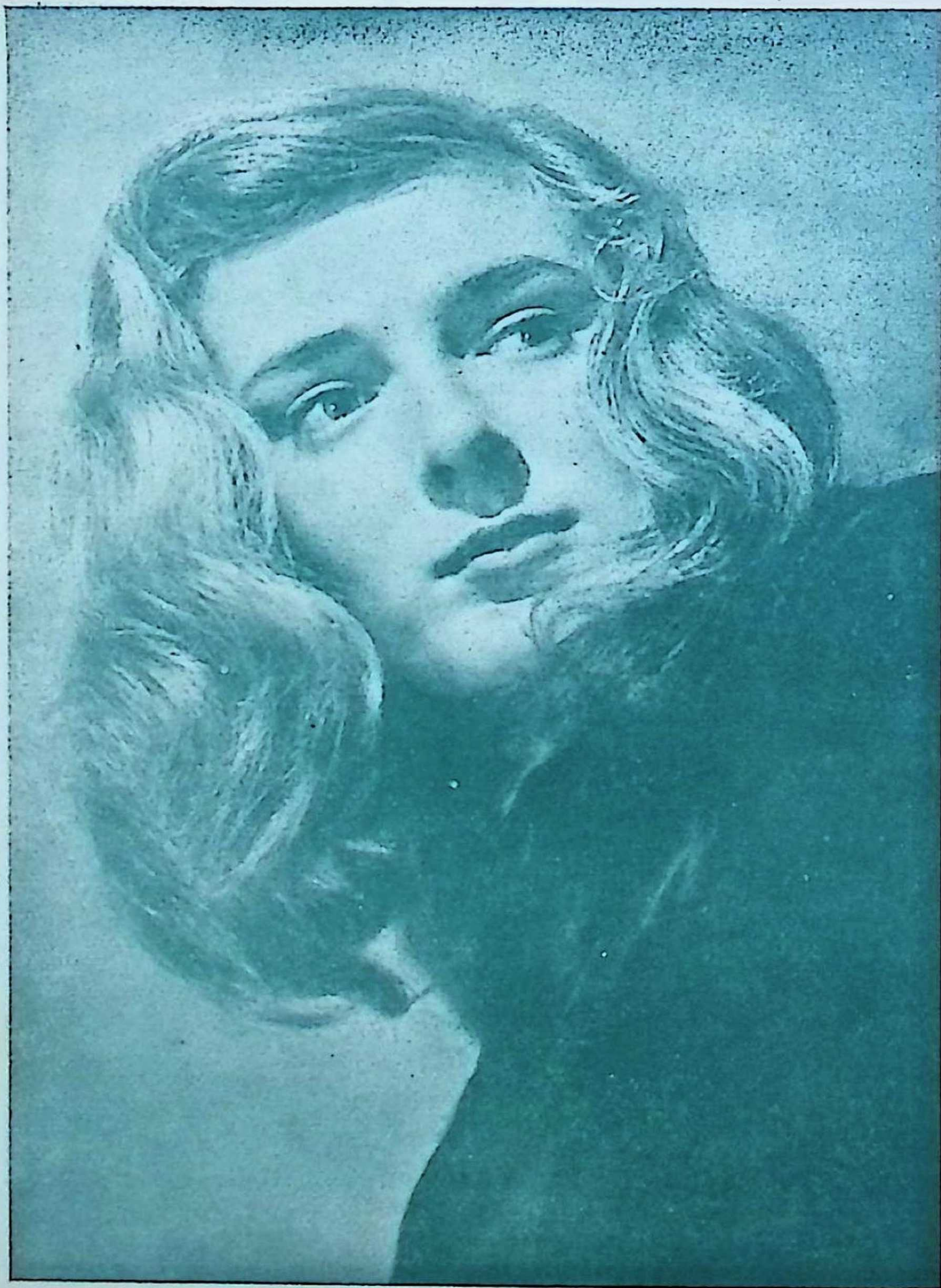
احذر منافسة صديقك !

والصداقة والاخلاص في أيامنا كلمتان جوفوان فارغتان .. فلا تطلع
صديقك على مفاتن محبوبتك، إذ انه إذا آمن بها انقلب الى غريم يزاحمك ! ..
ان للجريمة لسحرا .. وكل مخلوق لا يفكر في غير لذته .. وألذ المتع
هى تلك التى لا ينالها المرء الا على حساب سعادة سواه .. ومن ثم فانه عاشق
لا ينبغي ان يحذر عدوه ، بقدر ما يعمل
على ان يقي نفسه اخطار اولئك
الذين يخالهم اوفى لاصدقاء !

والان ، حان لى ان اسكت .. ولكنى
احب ان اقول ان النساء جميعا لسن
على شاكلة واحدة وطبع واحد .. وان
تعدد طباعهن ليفرق بينهن ، فما
يستوى واحدة قد لا يفلح مع اخرى
.. والتربة المتشابهة قد لا تنبت نباتا
متشابها .. فتعلم كيف نكيف فتونك
تبعا لشخصية فانتك وسنها ..

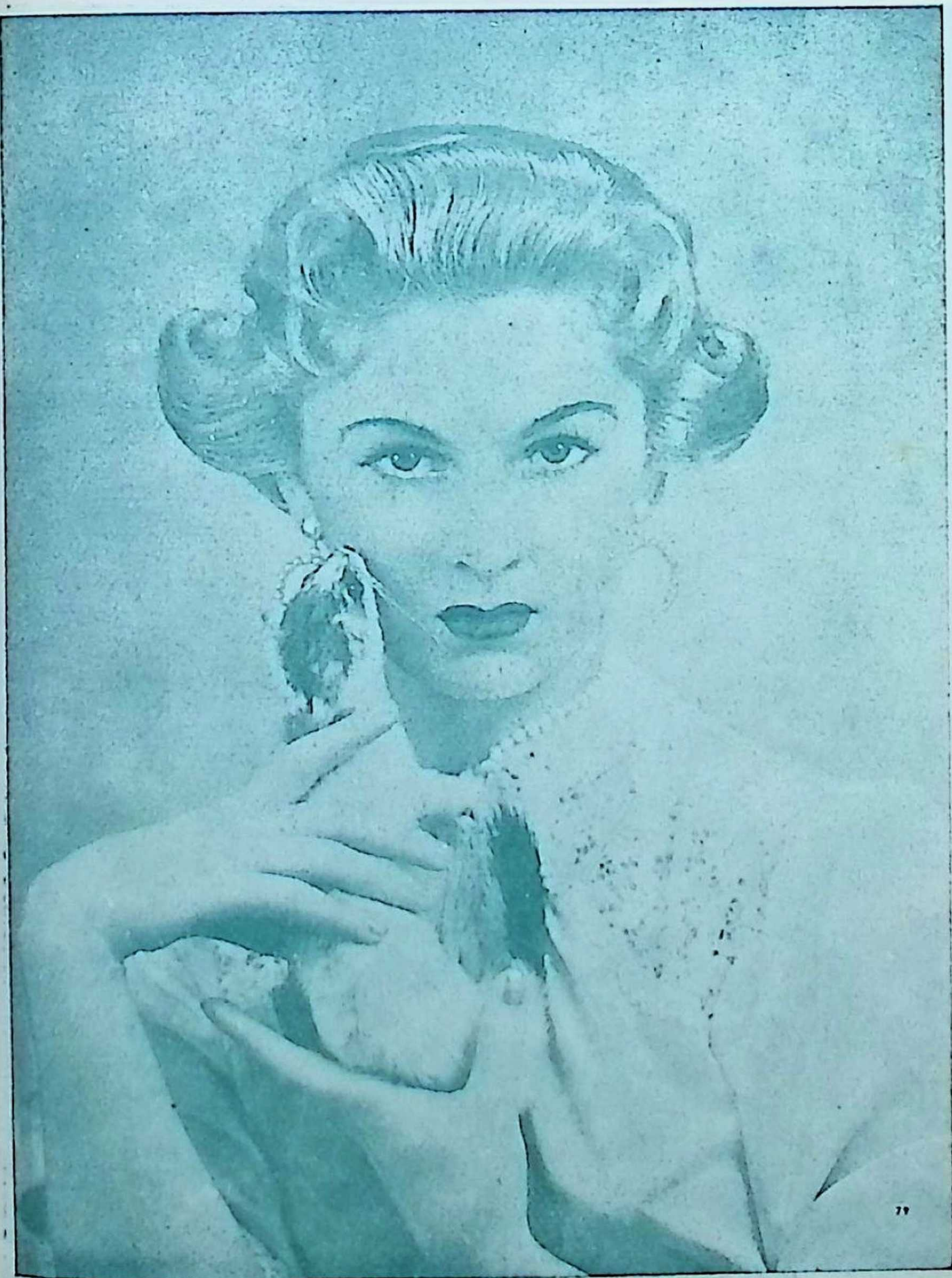
أما وقد أدت جزءا من مهمتى ..
فلاق مرساة مركبى الان كى استجم
قليلا ..





لوحة فوتوغرافية للفنان « فنسنت م. هيل »

طموح ..



حيوان محفوظ !

الجزء الثانى



◆ فيم العجلة أيها الشاب ، ان مركبك لا تزال فى وسط المحيط ،
والميناء التى نرشدك اليها لا تزال بعيدة ! .. وانى لمقبل الآن على مشروع
عظيم .. سأفنى بسر الفن الذى يجعل الحب - هذا الطفل القلق الهائم
فى العالم الواسع - يستقر .. انه رشيقي ، خفيف ، وقد أوتى جناحين ،
فكيف يمكن امساكه عن الطيران ؟

من اكبر الأخطاء الأخذ بفنون السحرة .. فلا أعشاب « ميديا » ولا أغاني
« مارسى » بقادرة على أن تخلق الحب ! .. وجمال الوجه ، ورشاقة القوام ،
لا يكفيان لاستبقاء حب الحسنة لك ، ولا يحولان دون أن تفاجأ بها يوما
تهجرك وتغدر بك .. وانما ينبغى أن تجمع الى جمال الجسد حسن العقل
والفكر ..

ذلك لان الجمال فان ، وهو لا يكف عن التضاؤل على مر السنين ..
فالنرجس والبنفسج لا يظلان على ازدهارهما مدى العمر .. والوردة اذا
ذبلت وهوت عن عودها لم تخلف غير الشوك .. وكذلك أنت أيها الشاب
المليح ، لن يلبث شعرك أن يبيض ، وتحفر الانجعدات أخاديد فى وجهك ..
وانى تبقى على حسنك ، يجب أن تدعم شخصيتك لتبقى على الايام ، فهى
الشيء الوحيد الذى يظل يرافقنا حتى النهاية ، ومن ثم فاحرص على أن
تحقق الفنون الجميلة ، وان تتقن لغتين من اللغات ..

ولا ينبغى - كائنا من كنت - ان تولى مفاتن جمالك الخادعة ثقة كبيرة ..
بل اجعلها عناصر ثانوية تضاف الى ما لجسمك من ميزات وما لشخصيتك

فن الحب

من خلق .. واعلم ان اللطف والرفقة هما اللذان يكسبان القلوب ، قبل أى شيء آخر .. فنحن نكره الصقر الذى يقضى حياته فى عراق ، واللذب الذى يظل دائما متأهبا للانقضاض على القطعان الوداعة .. فليكن الانسان عن نصب الفخاخ للعصافير ، وليعيش الحمام آمنا فى الابراج التى ابتناها له الانسان .. ولينبذ البشر المشاجرات والمعارك التى يستحيل فيها اللسان الى سيف بتار ، فما يفرق بين الازواج وزوجاتهم ، ولا بين الزوجات وازواجهن سوى المشاجرات ..

كذلك أنت أيها الشاب لا ينبغي لك أن تسمع حبيبتك سوى كلمات الهوى .. فالحب هو القانون الذى يجمع بينكما .. لذلك لا تسعى اليها الا برقيق العناق وعذب اللام ، حتى يكون مقدمك اليها مبعث سعادة وانسراح ..

الفنى يستطيع أن « يشترى » الحب !

♦ ولست ألقن فن الحب لمن يملك المال ، فان القادر على العطاء لا يحتاج الى دروسى ، اذ ان ماله أقوى من فنى .. انما أنا شاعر الفقير ، لأننى كفقير عرفت الهوى وعانيته حتى خبرته .. وانى لأجزى حبيبتي بدل الهدايا كلمات رقيقة .. ومن ثم فعلى الفقير أن يكون فى غزله حذرا ، فلا يسخر ، ولا ينساق وراء الغضب .. بل عليه أن يتحمل ما لا يتحمل العاشق الغنى .. فلتدخر يا صاحبى الحرب للعدو ، وكن على وئام مع حبيبتك .. داعبها فى رفق ، ولا تبد لها سوى كل ما يثير حبها .. فانك اذا ثنيت غصنا فى رفق وجدته ينثنى ، اما اذا عنفت فى ثنيه فانه ينكسر .. ولو انك سبحت مع التيار عبرت المجرى ، اما اذا كافحت ضده فلن تصل قط الى الشاطئ الآخر .. ان الصبر يقلب النمر والاسود .. وبالندرج يتقبل الثور القيد الذى يشده الى المحراث !

ولست ادعوك الى ما لا طاقة لك به .. فماذا لو تساهلت اذا دأبت حبيبتك على صدك ؟ .. انك بالحلم والصبر تنتصر . فلتروض نفسك على ان تفعل كل ما تسألك اياه .. انتقد ما تسمعها تنتقده ، وامتدح ما تراها تمتدحه .. ردد ما تقوله ، واستنكر ما تستنكره .. اضحك اذا ضحكت ، وابك اذا بكى .. وباختصار ، البس لكل حال ما تلبسه حبيبتك .. حتى فى اللعب ينبغي عليك ان تفعل ما يرضيها .. وان تنهزم لتسمح لها بالغبلة عليك !

واذا أمضتها الشمس فارفع المظلة فوق رأسها .. وافسح لها الطريق اذا ما الفت نفسها فى زحام .. واذا انبأتك محبوبتك بأنها سوف تلتاكَ فى المسرح ، فاحرص على ان تكون هناك قبل الموعد المحدد ، وان لا تبرح

المكان الا بعد ان تبرحه .. فان طلبت اليك ان تكون فى مكان آخر ،
 فدع كل شىء واسرع الى هناك ، ولا تسمح لشىء بأن يعوقك .. وان عادت
 الى الدار فى المساء ونادت تستدعى أحد عبيدها ، فبادر الى مساعدتها ..
 هب أنك فى الريف وكتبت تدعوك ، فاذكر ان الحب يكره التلكؤ ، فان
 لم تستطع ان تجد عربة ، فخف الى تلبية الدعوة ماشيا ، لا يعوقك جو ،
 ولا يصدك ان يكسو الجليد الطريقى !.. ان الحب شبيه بالحرب ، فويل
 لذى القلب الضعيف .. ولن يقوى الجبناء على مطالب الحب هذه ، من
 رحيل بالليل فى عنفوان الشتاء ، ووسط المتاعب والصعاب ..
 وان لم تجد سبيلا الى محبوبتك ، كان كان بابها موصدا لا قبل لك
 باجتيازه ، فتسلق الجدار واهبط من السقف غير محجم عن انتهاج هذه
 الطريق الخطرة .. أو ادخل من احدى النوافذ مهما كانت مرتفعة عن
 الارض .. فان الحبيبة ستفتن اذا ما علمت أنك خضت المكاره من أجلها ،
 وسترى فى ذلك دليلا أكيدا على حبك ..

المعدة أقرب طريق الى .. القلب !

ولقد تضطر أحيانا الى احتمال المطر الذى تسكبه عليك السماء ، أو ان
 تنام على الارض وانت ترتجف لفرط البرد ، فلا تحجم عن أن تبدى لمحبوبتك
 مدى استعدادك للتضحية من أجلها .. ولا تتردد فى أن تكسب ود الخدم ،
 مهما اختلفت مراتبهم .. ما الذى تخسره لو حييت كلا منهم باسمه ؟ لا تخرج
 أيها العاشق الطموح عن أن تصافح أيديهم المصفدة بأغلال العمل .. بل
 خليك بك أن تمنح الوصيف ما يتمنى من منح ، فانها لن تكبدك كثيرا ..
 ولا تغفل أن تقدم الهدايا لوصيفة محبوبتك !

صدقنى .. افعل كل ما تستطيع لتتجنب الى الخدم والعبيد ، كبيرهم
 وصغيرهم على حد سواء .. ولست أدعوك الى أن تقدم لحبيبتك الهدايا
 الغالية ، بل تستطيع أن تكتفى بأشياء بسيطة ، ما دمت تحسن اختيارها ،
 وتتحين الفرص المناسبة لتقديمها .. فمثلا عندما يبسط الريف يديه
 بخيراته ، وتنحنى أغصان الشجر مثقلة بالفواكه الناضجة ، ابعث الى
 الحبيبة بسلة ملأى بهذه الخيرات ، وازعم انها من الريف ، رغم أنك
 انما ابتعتها من سوق المدينة !

وهل انصحك بأن تبعث لها اشعارا رقيقة ؟ .. ان الاشعار لم تعد
 - للأسف - موضع تقدير واعجاب ، وقد يصح أن تقدم لمحبوبتك قصائد
 تتفنى فيها بميزاتها ، ولكنها ستؤثر بلا شك الهدايا المادية الملموسة -
 فاننا فى عصر الذهب ، وبالذهب تستطيع أن تبلغ أعظم حظوة ! - على أن
 هناك مع ذلك نفرا قليلا من النساء أوتين ذكاء وفكرا ، ولكنهن قلة تناثرن فى

الارض .. أما الباقيات فلا يعرفن
شيئا ، وان احبين ان يتظاهرن
بالمعرفة ! .. ومع ذلك ، فلا تضن على
هؤلاء بالشعر .. واذا كنت تجيد
الانقاء ، ففي وسعك ان تجعل لشعرك
وقعا في نفس فانتك !

واذا شئت ان تقدم على عمل تخاله
نافعا ، فاحرص على ان تدبره بحيث
يبدو انك انما تفعله اكراما لمحبوبتك
.. واذا رايت ان تعتق عبدا ، فأوعز
اليه ان يتوسل اليها كي تسالك عتقه ا
.. وان أردت ان تعفى عبدا من عقوبة
قاسية ، فدبر الفرصة التي تتيح لها
ان تشفع له عندك .. ولن تخسر بهذا
شيئا ، ولكنها ستخال ان لها عليك
نفوذا وسلطانا ، وهو شعور يدخل على
قلوب النساء هناء لا مثيل له ..



ابعث اليها بسلة من الفاكهة ..

واذا كنت راغبا حقا في ان تحتفظ بحب حبيبتك ، فاوح اليها بانك
مفتون بمحاسنها .. امتدح كل ما ترتدى .. فان تزينت بحلى من ذهب ،
فقل لها ان بريق حسنها يطفى على بريق الذهب .. وان جاءتك في ثوب
يكشف عن بعض جسمها ، فاهتف بها : « انك تشعلين النار في كياني »
.. ثم سلها في استحياء ان تحتاط ضد البرد ! .. اطر رشاقتها حين
ترقص ، وصوتها حين تغنى ، وابد اسفك اذا ما كفت عن هذا او ذاك ..
ومثل هذا التصنع نافع طالما اتقنت التستر عليه .. اما اذا كان مكشوفاً ،
فلن يؤدي الا الى القضاء على ما بينكما من ثقة .. الى الابد !

اذا مرضت محبوبتك ..

◆ وعندما يجنح العام الى الخريف ، ويتقلب الجو ، فاذا هو في
لحظة بارد ، وفي اللحظة التالية حار لافح ، فارقب حبيبتك بانتباه ، حتى
اذا أثرت عليها تقلبات الجو فالزمته الفراش ، حانت الفرصة كي تبدي
وفاءك وتعلقك بها .. فأبذر لتجنى فيما بعد خير حصاد .. ولا تخجل من
ان تبكى الى جوار فراشها ، ولا تدع التقزز يصدك عن تقبيلها ، وليرطب
الدمع شفيتك اذ ذاك ..

ان الحب يولد ضعيفا ، ولكن الممارسة تقويه فتعلم كيف تغذيه كي يشتد عوده .. واحرص على ان تالف حبيبك وجودك ، فليس أقوى من الالفة القائمة على التعود .. اعنى ان لا تسمع حبيبك صوتا سوى صوتك ، وان تكون امام عينيها ليل نهار .. حتى اذا استوثقت من انها قد اعتادت وجودك، فبادر الى الغياب ، ليثير بعدك شجونها .. فان الارض اذا حرثت وقلبت تربتها ، لا تلبث حين تلقى اليها البذور فيما بعد ان تنبت خير نبات .. ولكن .. لا تطل الغياب ، فان الزمن يطفىء الشوق والحنين .. والحبيب الذى يطول غيابه عن العين لا يلبث ان ينسى ويفسح المجال لسواه !

الشك يحيى الغرام !

♦ ولا تمنحن امرأة من الهدايا ما تستطيع ان تتعرف عليه امرأة أخرى .. فلست افرض عليك ان تقصر حبك على امرأة واحدة ، ولكن احرص على ستر هذه « الاختلاسات » العاطفية ، وعلى تغيير مواعيد وأماكن لقاءاتك ، حتى لا تفاجئك احدى الحبيبات فى مكان تعرف انك اعتدت التردد عليه ! ومع ذلك ، فلا تبادر الى الانكار لو افتضحت غرامياتك رغم تستر .. ولا تسرف - فى الوقت ذاته - فى التذلل أو التلطف والاعتذار أكثر مما تعودت ، لان هذا الاسراف دليل على شعور بالذنب .. وفى معارك الحب ، أبدل كل قواك ولا تدخر وسعا .. فبهذا وحده تستطيع ان تبرا من مغامراتك السالفة ..



ولقد نصحتك بأن تستر على خيانتك ، ولكنى أعود فأنصحك بأن تكف عن التستر ، وأن تنشر غزواتك فى الحب وتعلنها على الملأ .. ولا تبادر فتهمنى بعدم الثبات على المبدأ ، فان الزورق لا يتأثر بريح واحدة ، ومن ثم فعلى الربان ان يكون يقظا فيتخذ لكل ربح ما ينبغى من حيلة واستعداد .. وقد نصحتك بأن تعلن غرامياتك ، لان الحياء والتواضع والتستر لا

فن الحب

تفيد بعض العشاق ، بل ان حب نسائهم لا يذكو ويستعر الا على لفحات الفيرة .. والنار الصغيرة لا تلبث أن تخبو ما لم تغذا بالوقود !

وكذلك الحب .. فاذا بدأ القلب يفتر بين فيض الملل ، لم يعد بد من وخزه بسنان الفيرة .. ولتخلق لحبيبتك ما يثير قلقها بعض الشيء حتى تدب الحرارة في قلبها .. وكم هو سعيد ذاك الذى تن حبيبته متوجعة اذ ترى نفسها منبوذة .. ولقد تثور ، وتتهيج ، وتخدش وجهه ، وتشدد شعره .. وكفى بهذا دليلا على عودة الحب الى التوهج ، واذا ذاك ، بادر الى وضع حد لفيرتها حتى لا يثير السخط سخيمتها وحقدما .. بادر الى تطريق عنقها بذراعك ، وضم وجهها الى صدرك كي تغسله بدموعها .. جفف الدمع بقبلاتك ، واغمرها بلذاذات الهوى ، تهدأ ثائرتها ، وينطفئ غضبها !

وبنعمة ربك فحدث !

◆ عند هذا الحد من اناشيدى ، تجلى لى « أبولو » وأوتار قيثارته الذهبية تعزف تحت أنامله ، وقد أمسك فى يده غصنا من الغار ، وتوج رأسه باكليل آخر منه ، وقال وهو يرمقنى : « يا سيد فن الحب وأستاذه ، بادر باحضار تلاميذك الى معبدى ، حيث يقرأون الشعر الذى طبق الافاق : « اعرف نفسك يا ابن آدم » .. فالذى يعرف نفسه ، يتبع فى حبه نهج الحكمة .. وهو وحده الذى يستطيع أن يقيس ما يصبو اليه بمدى قدرته .. فاذا كانت الطبيعة قد وهبته وجها مليحا ، فليعرف كيف يفيد من ذلك .. واذا كان حديثه مما يطيب ، فلا ينبغى أن يلزم الصمت القبيح .. وان كان يحسن الفناء ، فليفن فى كثير من الاحيان .. اما الذى لا ينبغى عمله فهو أن يعمد ثرثار أو شاعر مجنون الى قطع جبل الحديث ليمضى فى القاء نثره أو شعره ! »

فشقوا أيها العشاق كل الثقة فى هذه الكلمات التى انبعثت من فم قدسى .. وكل من يمضى فى حبه بحكمة ، وفقا لفنى ، لا بد له من الظفر وبلوغ الهدف .. على أن الرياح لا تواتى الملاح دائما ، فلا ينبغى أن يتوقع سوى القليل من المسرات ، والكثير من الشجون .. والمحن القاسية !

والآن أيها العشاق ، سأحدث عن أمور هامة ، فأعبروني أسماعكم .. ان الموضوع لجد خطير ، ولكن ما قيمة الشجاعة اذا لم يوجد الخطر ؟ .. ان الهدف الذى يرمى اليه فنى ليس بالسهل المنال :

اذا اعترضك مزاحم أو غريم ، فتول أمره دون ما شكوى ، يكن نجاحك مؤكدا .. دع عشيقتك تبدى له من الاشارات ما شاءت ، ولا تحاول أن توقفها عن الكتابة اليه ان فعلت ذلك .. ودعها تروح وتغدو كيفما طاب لها ،



فكم من زوج يعامل زوجته الشرعية
بمثل هذا التسامح .. فما بالك
بالعشيقة ؟

والحق أننى لم أقو شخصيا على أن
أبلغ هذه الدرجة من الكمال ، لأننى
لم أبلغ الكمال فى فنى .. فان الذى
يدع سواه من الناس يتصلون بحبيبته
لهو أوسع منى حيلة وأكثر دهاء ..
ولا يجب أن تشعر حبيبتك بأنك على
علم بأمرها ، بل دعها تخفى خياناتها ،
والا عودتها - بانتزاع الاعترافات
منها - أن تنزل عن حيائها ، وحفرتها
على أن تجرد أسلحة خداعها .. وثق أن
الحبيبين اللذين يؤخذان على غرة ، لا

يزدادان الا تشبثا بحبهما ، واصرادا على الذنب الذى افتضح .. فلا تكمن
متربصا بمزاحمك ، ولا تحاول أن تتجسس على رسائل الهوى ، بل دع ذلك
لسواك ممن له حق الولاية عليها ..

ولقد حذرتكم من الثرثرة فيما يمس معبد الهوى .. ان كل ما يجرى
بينك وبين حبيبتك لا يجب أن يتسلل خارج لقاءاتكما ، والا فقد سحره
وغموضه .. ومع ذلك ، فما أجزانا الآن على اعلان مفامراتنا الغرامية ..
وليت الامر يقتصر على هذا ، بل ان بعض الرجال يبتكرون من القصص ما
يجدر بهم ان ينفوه ، حتى ولو كان قد حدث حقا .. وانك لتخال ، اذ
تنصت اليهم ، أن ليس من امرأة تقوى على مقاومة اغرائهم ! .. فانبد هؤلاء ،
ولنحرص جميعا على أن يكون التحفظ رائدنا اذ نتكلم عن غرامياتنا الصادقة ،
وان نبقى متعنا الخاصة مخبأة تحت ستار لا يمكن التسلل خلاله اليها ..

الكلمات اللبقة بلسم يداوى العيوب !

◆ والزم من يصلح كل شيء ، حتى معايب الجسد ، فلا تلم حبيبتك
على أخطائها ، أو تعيرها بما قد يكون فى جمالها من نقص ، بل عود نفسك
على قبول ما لا يعجبك فيها ، فان التعود كفيل بأن يعمى العين عن أى عيب ..
والحب لا يحفل بشيء .. ولا تنس أن من الكلمات ما يخفى العيوب .. فان
كانت حبيبتك سوداء ، فتغزل فى السمرة .. وان كان يعينها حول ،
فتحدث عن حور فينوس ! .. ولو كانت من النحول بحيث لا تصمد للنسمة

العابرة ، فصفها بالرشاقة .. وهكذا فلتسدل على أى عيب ستارا من معسول القول .. ولا تسلبها أبدا عن عمرها !

والآن بلغت نهاية مهمتى ، فمجدوا يا عشاق شاعركم ، وتغنوا بمدىحى ، ليظل اسمى مدويا فى الكون كله .. ولعل كل عاشق ، نال النصر بالسلاح الذى صقلته له ، ينقش على لوحة أمجاده : « لقد كان أوفيد استاذى »

الجزء الثالث



◆ ولكن ، مهلا .. فان الجنس اللطيف يسألنى بدوره دروسا ، وانى لادخر لكن يا غانيات ، ما يلى :

اقبلن على المعمة بنفس الاسلحة .. فليس من الصواب ان اعرضكن لغزوات الرجال الذين احسنت تسليحهم ، دون ان امدكن بأسباب الدفاع .. ولقد يهتف قائل منا معشر الرجال : « ولكن ، كيف تمد الافعى بمزيد من السم ؟ » .. الا كفوا معشر الرجال عن اتهام النساء جميعا بجرم فثة قليلة منهن .. وكيف تحمل واحدة وزر اخرى ؟

ان الفضيلة عند المرأة تقاس بمسلكها وتصرفاتها وما لها من اعتبار لدى الغير .. فهل من عجب بعد ذلك فى انها تولى صداقتها لبنات جنسها ؟ .. ولكن ، لست لهؤلاء الجليلات القن فنى ، انما اقدمه للساعات وراء الهوى .. سأعلم النساء كيف يصرن محبوبات ..

ان النساء لا يعرفن كيف يقاومن لدعات سهام الحب وقسوتها .. فانه ليبدو لى ان هذه السهام تفوص فى قلوبهن الى ابعد مما تبلغ فى قاوب الرجال ، ومن ثم فكثيرا ما يكون الرجل غير مخلص ، اما المرأة فيندر ان تكون عديمة الوفاء ..

وسأبين لكن - أيتها التعيسات - لماذا تفقدن رجالكن ! انكن تفتقدن الفن الذى يذكى وقدة الفرام .. الا فاصفين أيتها الحسان لدروسى ، بينما أستلهم فينوس الوحي .. وان فضولكن ليدفعكن الى سماعى :

فكرن لحظة فى الشيخوخة التى لا تلبث ان تفد سراعا ، فان هذا التفكير يعصمكن من أن تضيعن لحظة دون الانصات لى .. فلتتمتع كل فتاة بزمناها طالما كانت فى ربيع العمر ، فان السنين تتسرب كالماء .. خذى أقصى ما تستطيعين من الشباب ، فانه سريع الانصرام .. وكل يوم أقل بهاء من سابقه .. ولن يلبث ان ياتى وقت تهرمين فيه انت يامن تعتدين اليوم بشبابك وتبذرين الخطابين ، فلا تلبثين أن تجدى نفسك مهجورة ، تعانيين الرجفة فى ليل الشتاء .. وليس من شىء يقوى على أن يرد الينا ما يسلبنا الزمن من ميزات .. فاقطفى الوردة التى اذا تركتها انزوت وهوت ذابلة ..

وما الذى تخسرنه أيتها الفانيات لو ان أحباءكن أقدمن على خيانتكن ؟ .. ان الحسناء منكن لا يجب ان تحفل بهذا أكثر مما ينبغى ، ما دامت تحتفظ بمحاسنها ومفاتها .. افهل يفقد المشعل توهجه اذا وضع الى جوار مشعل آخر ؟

واهتمى بزينتك قبل أى شىء آخر ، فان الجمال نعمة من الالهة .. والوجه مهما كان بهاؤه لا يلبث ان يفقد رواءه اذا لم يلق ما ينبغى من عناية ..

ولكن ، حذار ، فان كثيرا من المفريات التى تصطنعونها لنا تؤتى اثرا عكسيا .. فلا تثقل دائما أذنك بالآلء ، ولا تثقل مشيتك بأساور الذهب .. بل ان البساطة مع الدوق ترضينا أكثر من أى شىء آخر ..

ولا تهمل قط شعرك ، فان فتنته تعتمد ، فى زيادتها او قلتها ، على براعة اليدين اللتين تعقصانه .. وهناك ألف نمط لتنسيقه ، فاخترى الشكل الذى يلائمك أكثر من سواه ، واستشيرى دوما مرآتك .. فالوجه المستدير البضاوى يتطلب ان تفرقى الشعر من منتصفه .. والوجه المستدير يناسبه تجميع الشعر فى منتصف الرأس بحيث تبقى الاذنان مكشوفتين .. والبعض يلائهن ان يرسلن الشعر على اكتافهن .. فى حين يليق بالبعض ان يجدلنه ويرفعن الجداول .. وقد يفتننا فى البعض أن يكون الشعر مجعدا - فى حين يسحرنا من بعض آخر ان يكون الشعر مستويا مبسوطا - وقد يحسن المرأة ان تعتمد شيئا من الهمال ، فان الفن يهفو الى تقليد السجية ..

الطبيعة تحابي النساء !

♦ وما أكثر استعداد الطبيعة لمعاونة مفاتنك أيتها النساء ! .. انها تمدرن بكثير من المنح التي تصلح ما يفسد الزمن .. في حين اننا ، معشر الرجال ، لا نستطيع أن نخفي فعل الزمن بنا .. وبينما يتساقط شعرنا كأوراق الشجر تعصف بها الريح السافية ، اذا النساء يصبغن شعورهن ، فيضيفن عليها ألوانا مستعارة تجعلها أشد فتنة مما كانت في الاصل .. وما أسهل على المرأة من أن تستعمل شعور سواها تبتاعها بالمال ، في غير ما خجل ولا حرج ..



وماذا أقول عن الثياب ؟ .. لست أحفل بالملابس الغالية ، وهناك ألوان عديدة لا تتكلف الكثير .. فلماذا ترتدين كل ما تملكين من ثروة .. ؟ حكمى الذوق فى الاختيار ، فاللون الواحد لا يمكن أن يلائم الجميع .. وانما يلائم الاسود ذات البشرة البيضاء ، ويلائم الابيض ذات البشرة السمراء .. وهكذا

ولقد هممت أن أنذركن أن لا تدعن رائحة تنبعث من الآباط ، ولا تتركن سيقانكن مكسوة بالشعر .. وما حاجتى الى أن انصحكن بأن لا تدعن الاهمال يسود بياض أسنانكن ، وبأن تغسلن أفواهكن كل صباح بالماء الدافئ ! .. ان عليكن أن تستعرن من البياض لونه ، ومن الورد حمرة .. كما يجب أن تعرفن كيف تصلحن بالقلم ما اعوج من حواجبك ، وأن تستعمن بالمعاجين على أن تغطين امارات السن .. ولا تخشين من أن تزدن عيونكن بريقا بتراب الزعفران ..

انشدن كل عون يا من لم تؤثرهن الطبيعة بمحاسنها ، ولكن حذار من أن تدع الواحدة حبيبها يراها بين الصناديق والعلب التي تحوى هذه المواد .. دعى الفن يزيد من جمالك دون أن يطلع احد على ذلك .. اذ منذ الذى لا يشمئز اذ يرى الدهن الذى تستعملينه لتكسبى وجهك نعومة ،

وقد ذاب وانحدر على نحره ؟ .. ان من الامور ما يروق لنا اذا ما عمل ، ولكنه يشير نفورنا اذا ما رأيناه أثناء عمله .. فهل لك ان تجعلينا نظنك مستفرقة فى النوم بينما تكونين عاكفة على زينتك ؟ .. فانك ستكونين أحظى بالاعجاب اذا ما ظهرت بعد ذلك .. تأملى الزينات التى تزركش المسرح .. لو أنك فحصتها عن قرب ، لرأيت أنها من الخشب المكسو بقشرة من ذهب ، ولكن النظارة لا يستطيعون أن يروها وهى تصنع .. وكذلك انت ، لا ينبغي أن تؤدى المفريات المصطنعة الا فى غياب الرجال !

الشعر زينة المرأة

على اننى لم أمنعك من ان تمشطى شعرك فى حضورنا ، فانى أحب ان أرى أواجه تترامى على كتفيك ، ولكن لا تسرفى ولا تكثرى من مس جدائل شعرك ..

لست أوجه حديثى هذا الى الفاتنات .. ان أغلب تلميذاتى يتالفن من حسناوات وقبيحات ، والاخيرات هن الاكثر عددا .. أما الحسان فليست بهن حاجة الى فنى ، اذ أنهن أوتين نعمة الجمال التى لا تدين بسلطانها الى فن !

قليلة هى الوجوه التى تخلو من بعض النمش والشوائب ، فاخفى هذه الشوائب بحرص وعناية ، واجتهدى ما استطعت فى ان تخفى نقص جسمك .. فاذا كنت قصيرة ، فالتجئى الى الجلوس ، حتى لا يظنك الناس جالسة وانت واقفة .. واذا كنت نحيلة ، فاخترى أقمشة ثيابك سمكة ، واطرحى على كتفيك عباءة واسعة .. أما اذا كنت شاحبة ، فاصبى خديك بشيء من الحمرة .. واخفى قدميك - اذا كانتا مشوهتين - فى حذاءين ابيضين .. واحيطى عنقك - اذا كان ممثلاً - بوشاح جميل .. وقللى من الاشارات حين تتكلمين ، اذا كانت أصابعك مكتنزة واطافرك مشوهة .. أما تلك التى لفمها رائحة كريهة ، فخير لها ان لا تتكلم وهى صائمة ، وان تجعل بينها وبين الرجل مسافة حين تتحدث .. وذات الاسنان المشوهة أو غير الناصعة ، يخلق بها ان تحترس عندما تضحك ..

ومن يصدق ان الجميلات يجب ان يتعلمن كيف يضحكن ، اذ ان هذا فن يزيدهن سحرا ؟ .. لا تفقرى فمك على سعته ، ودعى غمازتين تظهران فى وجنتيك ، ولتفطى شففتك السفلى اطراف أسنانك العليا .. وتفادى القهقهة العالية ، واجعل لضحكك نعومة ووفرى فيها من الأنوثة ، حتى يستمتع الرجل بها .. ومن النساء من اذا ضحكت لوت فمها بشكل بشع ، أو بدا ضحكها كالبيكاء ، أو خرقت الاذن بصوت قهقهتها !

أمثلة من أسلحة المرأة !

♦ وليس للفن حدود .. وكما ينبغي أن تتعلمي فن الضحك ، يجب أن تتعلمي فن البكاء .. تعلمي كيف تكونين مهيبة في بكائك ، وأن تبكي عندما يحلو لك البكاء .. وماذا أقول عن اللاتي يتلعثن في حديثهن ؟ .. أن عيوب النطق قد تغدو فتنة للرجال إذا أحسنت دراستها والتحسوط ازاءها ..

كذلك تعلمي كيف تسيرين كما تسير النساء .. ففي الرشاقة سحر لا يجب أن يستهان به .. وتستطيع أية امرأة أن تجذب حبيبها بمشيتها .. ومن النساء من تضبط حركات رديها بحيث تدع ثوبها يميل مع النسيمات، ومشيتها ذات جلال وجمال .. وترك الكتفين وأعلى الدراعين عارية من أكثر الأشياء ملاءمة لذات البشرة البيضاء ..

والصوت العذب من أقوى أسلحة الاغواء ، والاغنية الرقيقة تثير الفتنة .. لذلك ينبغي لكن معشر النساء أن تتعلمن الغناء .. ومنذا الذي يجهل ما للقيثارة من معجزات ، فتعلمي كيف تحركين أوتار قيثارتك ، فتتحرك معها أوتار قلب الرجل .. وهل ثمة أقوى على فتنة الرجل من أشعار « سافو » ؟ .. فاحفظي من الشعر أرقه ، ومن النثر أبدعه .. والقي الشعر بصوت جميل ، منقوم ، ناعم !

ومن يدور بخاطره أنني أتمنى أن تؤتي كل جميلة موهبة الرقص ؟ .. لكم أحب أن أرى ذراعيها تتحركان مع الموسيقى وهي تقدم لي الكأس .. وإذا كان يخجلني أن أمضي في الحديث، إلا أنني أحب من تلميسدتني أن تعرف كيف تلقى الزهر أثناء اللعب ، وأن تجيد لعب الشطرنج .. فتعلمي كثيرا من متباين الألعاب ، فالحب يأتي في سياق اللعب ..



♦ على أن أهم كل شيء أن تكوني قادرة على أن تسيطر على نفسك ، فإن المرء إذا ما انساق مع اللعب ، كثيرا ما يغفل عن أدق ما يتستر عليه من

عواطفه .. فاذا الغضب وحب الكسب يتسلطان ، ويؤديان الى الشقاق الذى لا يولد سوى أكثر دواعى الندم مرارة ..

واعزفى عن الرياضة العنيفة ، ولكن فى استطاعتك أن تنزهى سيرا على الاقدام ، فزورى الحدائق ، والمعابد ، ومواطن الآثار ، والمسارح والملاعب .. فان التى تخفى نفسها تظل مجهولة ، والمجهول دائما غير مرغوب .. وما قيمة الوجه الجميل اذا لم يره أحد ؟ .. انكن لتحسن صنعا يا عزيزاتى اذا اختلطتن بالجموع ، فأكثرن من الخروج ولو بدون غاية أو هدف واضح .. اذ لا بد للحسان من أن يخالطن الناس ، فقد يكون بينهم من يفتن بسحرهن ، ولتحرص الحسناء على أن تروق للجميع ، وعلى أن تبدى اهتماما بكل من تجتذبه مفاتها .. فالحظ يوزع الفرص فى كل مكان ، ومن ثم يجب أن يكون الشخص معدا فى يدك ، اذ لن يلبث السمك أن يفد عليه من حيث لا ترتقبين !

تحاشى الرجل المخنث !

ولكن ، تحاشى الرجل الذى يبالغ فى أناقة ملبسه ، وفى اظهار جماله ، وفى الخوف من أن يخل بتناسق شعره .. فان ما يحدثك به لا بد قد رددته آلاف المرات لسواك .. وما حب هذا الصنف سوى حب عابر لا يستقر .. وما الذى يستطيع أن يقدمه مثل هذا الرجل للنساء اذا كان يسف فى التخنث أكثر منهن ؟

ومن الرجال من يتسلطون على المرأة بحب زائف ، فلا تفتري بالشعر المعطر ، أو الثوب الانيق ، أو الخواتم الكثيرة التى تحلى الاصابع .. ومن هؤلاء من ذاع سوء سمعتهم ، ومن ثم فان اللائى يقعن فريسة لاغرائهم يستحقن نصيبهن من العار .. فتعلمن من الغير ان تتجنبن هذا الصنف من الرجال ..

وقاومى ايتها المرأة ما يبذله لك حبيبك من معسول الوعود ، ولا تقابلى هداياه الا بمآثر مناسبة .. واذا ما كتب لك الحبيب رسالة ، واسلمها لخدام بارعة كى تقدمها لك ، فاقرأها فى تأن وتمعن ، وزنى كل عبارة فيها محاولة أن تتعرفى ما اذا كان حبه زائفا أو كانت عباراته تنبعث من القلب ... ولا تستجيبى بسهولة لفزل العاشق الشاب ، كما أنه لا ينبغى أن ترفضيه فى جفاء ، بل تريشى بحيث تجعلينه موزعا بين الامل والخوف ، وبحيث ان كل ارجاء يزيد من امله ويقلل من خوفه .. ولتكن اجاباتك عن رسائله دقيقة ، تجمع بين البساطة والود ، وعباراتك مبعث

فن الحب



مسرة في النفس.. ولا تبغى برسائك
الا وصيفة أمينة ، أو عبدا أنبت أنه
جدير بالثقة .. واحذرى أن تكون
رسائك أسلحة لا تلبث أن تشهر
ضدك اذا لم تكن اليد التي تتلقاها
أمينة.. وكم يحسن أن تكتبى رسائك
كما لو كانت موجهة الى امرأة لا الى
رجل ..

ولكى تصونى رقة ملامحك ، تعلمى
كيف تسيطرين على فورة عواطفك ،
فان الغضب يذهب بنضارة الوجه ،
ويدفع فى العروق دماء قاتمة ، ويدكى
فى العينين بصيصا من النار .. ولو
أنك تأملت صورتك فى مرآة أثناء
الغضب لانكرت نفسك !

والكبرياء من الشيم الضارة ، فيجب أن تكون فى نظراتك ليونة آسرة..
فان الحب يبدأ بسهام ناعمة .. كما أننا - معشر الرجال - نكره الحزن
.. وليس يستهويننا أكثر من المرح والبشر ..

هدايا العاشق الفنى .. وهدايا الفقير !

ومهما كانت هدايا الفنى ، فأننا معشر الشعراء لا نملك ما نقدمه سوى
الشعر ، ولكننا نعرف الحب أكثر من سوانا .. اننا نعرف كيف نمجد الجمال
وكيف نخلق المسرة الباقية ، وكيف نسمو بالمشاعر بأشعارنا .. لا يستهويننا
الطموح ولا يزيفننا حب الثراء .. بل ان الحب يدكى فىنا أعتى النيران ،
فنحب بكل ثقة وكل اخلاص .. فترفقن أيتها العذارى بالشعراء !
واعرفن لكل رجل أسلوبه .. فليست أساليب كسب الشاب الذى فى
ربيع العمر ، بشبيهة بأساليب اكتساب الرجل الناضج .. واعملى للمزاحمة
كل حساب ، فلن تقوى على الاحتفاظ بحبيبك ما لم تكونى منفردة بالسيطرة
على قلبه .. اذ ان قوة الحب ، كسلطان الحكم ، لا تقبل التجزئة ولا ترضى
ان تكون موزعة ..

ولا يبعث الملل الى قاوب الأزواج سوى أنهم يرون زوجاتهم فى كل مكان ،
اينما شاءوا ، وكلما طاب لهم .. فلا تفتحن بابك دائما فى وجه الحبيب ،
بل صديه بين أن وآخر ، فان الصد يدكى الفرام ..
وكما نصحت الرجال أنصحكن : احذرن الصديقات ، فقد يستغلن ثقتكن
وما تدلين به من أسرار ، فى اجتذاب عشاقكن .. ولا تستيقنين فى خدمتك

خادمت جميلات ، والا استهوين رجالكن .. وابذلن ما فى وسعكن لاشعارنا
بانكن تحبيننا ، وليس أسهل من ذلك عليكن .. النظرات الحانية ، الزفرات
المتصاعدة ، الدموع المزوجة بالفيرة المصطنعة !

ولا تفقدى جلدك بمجرد معرفة ان ثمة غريمة تنافسك .. واذا دعيت
الى مأدبة ، فليكن وصولك بعيد الموعد ، ولا تكشفى كل مفاتنك بمجرد
وصولك .. واذكرى ان معرفة وسائل تناول الطعام فن ، فاهتمى بأن
تتقنيه ..

أيتها النساء ، اتركن المسرات تتغلغل فى كيانكن ، واشركن الرجال فى
مباهجكن .. اهمسن فى نعومة ، وتمتمن فى ليونة .. ومهما كنتن لا تشعرن
بالسرور ، فدعن شفاهكن تهمس كذبا بوصف ابتهاجكن .. ودعى عينيك
وحركاتك تخدعنا .. ولتذكى تهدجات صوتك، ولهثات انفاسك، وقدة الهوى
فى قلوبنا ..

والآن ياتلميذاتى الحسان ، افعلن كما فعل احباؤكن الشبان .. انقشن
على لوحة امجادكن : « كان أوفيد استاذنا ومعلمنا ! »

ترقب .. قريبا

الكتاب الرابع من سلسلة :

مطبوعات كتابى

ومتى يصدر ؟

ما هو ؟

عزيزى القارئ ...

قدمت لك فى هذا الباب فى اعداد
سابقة من (كتابى) الكتب الشائقة
التالية :

♦ آراء جريئة فى الحياة
للفيلسوف الانجليزى المعاصر
« جود »

♦ آراء جريئة فى السياسة :
لبرنارد شو

♦ كيف نجحوا فى الحياة :
لدبل كارنيجى

♦ الحياة فى موسكو : هارولد
ليكوك

♦ مراهق : البرتو مورافيا

♦ آلهة ومقابر وعلماء : سيرام

♦ الالمان ، شعبا وعباقره :

اميل لودفيج

♦ مستقبل زوجك فى يدك :

مسز ديل كارنيجى

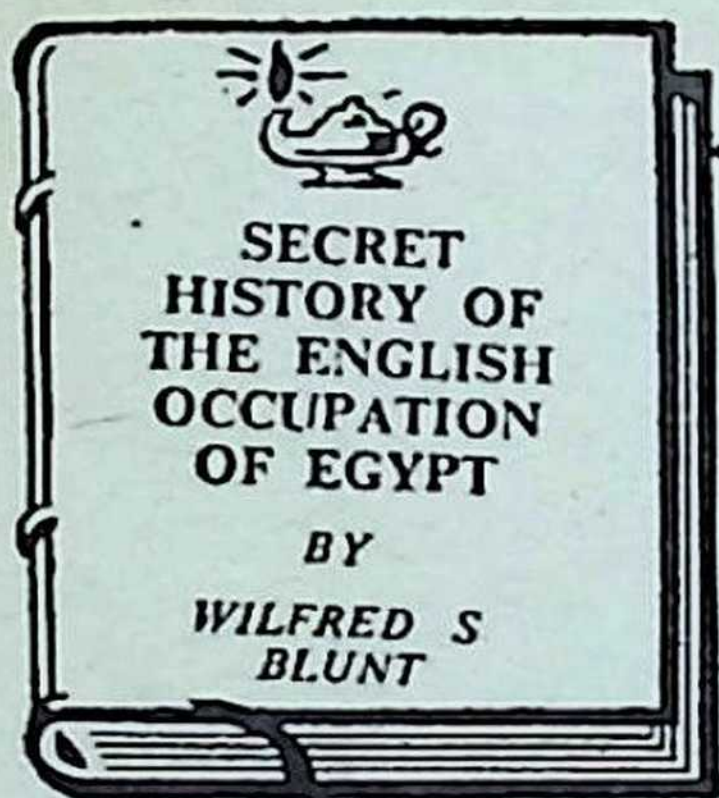
واليوم أقدم لك فيما يلى هذا الكتاب
الذى الهم الله السياسى والمؤرخ
الانجليزى المنصف «ويلفريد بلنت» ان
يكتبه ليفضح مخازى السياسة
الاستعمارية البريطانية ومبلغ جنايتها
على مصر والشرق

ولى الاعداد القادمة ازمع ان اقدم
لك فى هذا الباب مزيدا من الكتب
المتعة ..

اقرأ معى :



كتاب
الشهر



ويلفريد بلنت
التاريخ السري
للاحتلال الإنجليزي
لمصر



لكي لا ننسى !

◆ في سنة ١٨٩٥ كتب المؤرخ الانجليزى « ويلفريد سكاون بلنت » فى مقدمة الطبعة الاولى من هذا الكتاب ، السطور التالية :

« ان اصدق وقائع التاريخ ليست دائما ممثلة فى الوثائق الرسمية..
ولسوف يجد المصريون - اذا ما قدر لهم ان ينهضوا ثانية كشعب يحكم نفسه بنفسه - ان الشهادة التى سجلها شخص عرفوا فيه صديقا وفيه عن الدبلوماسية الفامضة ، لهى شهادة قيمة لا تقدر بمال !

« وليس من المجدى ان ندع الحقيقة تكافح وحدها استنادا الى قوتها ، فى سبيل محق الباطل.. بل ان التاريخ ملء بالاكاذيب التى ظلت دون ان يماط عنها اللثام ، وبالعقوق الذى وصمت به الشعوب ابناء كانوا من خيرة ابنائها .. »

.. واليوم وقد قدر للمصريين ان ينهضوا ثانية ، ويحكموا انفسهم بانفسهم .. ويبعثوا ماضيهم المجيد بالعمل والكفاح من اجل تطهير الارض التى يقفون عليها من الفساد الذى بذر الاستعمار بذوره ليعوق تقدمها وتحررها من نيره البغيض ..
واليوم ، وقد اخذت مصر تسير بخطى واسعة نحو تحقيق اهدافها ، ونحو بناء وطن جديد ينتج خيراته لابنائها ، ولا تلوث ارضه قدم جندي مستعمر ..

اليوم يسرنى ان اضع تحت انظار كل مصرى ، وكل عربى ، هذا الكتاب التاريخى الخطير الذى يفضح مخازى الاستعمار البريطانى كما كتبها وشهد بها « شاهد من اهلها » هو المؤرخ الانجليزى المنصف « ويلفريد بلنت » .. ونظرا لاهمية الكتاب وخطورة الاسرار التى يكشف عنها ، فقد رابت ان اقدمه لك مفصلا ، على ثلاثة اجزاء .. فيما يلى الجزء الاول منها :

ذكریات مصریة

الفصل الاول : مصر تحت حكم اسماعیل

♦ كانت زیارتی الاولى لمصر فی شتاء سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦ ، حیث قضیت شهورا طیبة کسائح ینشد متعة السفر والترحال .. کنت اذ ذاک فی الخامسة والثلاثین من عمری، وقد کسبت معرفة بكثير من الناس والاشیاء ، بسبب کونی بدات حیاتی مبکرا عن أقرانی ، فقد کنت أنتمی لاسرة من ملاک الاراضی المحافظین فی جنوب انجلترا ، ومن ثم لم اکد أبلغ الثامنة عشرة حتی عینت فی السلك الدیپلوماسی کملحق ، وظللت اثنتی عشرة سنة أتنقل بین المفوضیات والسفارات فی العواصم الاوروبیة وكانت السیاسة الخارجیة الانجلیزیة فی تلك السنوات التي أعقبت حرب القرم ، سیاسة مسالمة ، لا یشوبها عدااء ، ولا تخالطها تلك المخادعات التي اکسبت انجلترا سمعة فی الحیل الدیپلوماسیة علی حساب شرفها وامانتها . وكنا معشر الملحقین وصفار السكرتیرین فی السلك الدیپلوماسی نلقن فی جلاء تام ان لیس لنا أن نزع بانفسنا فی المسائل السیاسیة التي تشغل بلاطات الملوك الذين كنا نوفد اليهم .. ولم اکد أتزوج فی سنة ١٨٦٩ حتی توفي أخی الاکبر ، فخلفته فی وراثه ضیاع الاسرة فی « سکس » ، ومن ثم اعتزلت الخدمة الحکومیة غیر آسف .. وان كانت علاقتی السابقة بوزارة الخارجیة قد أمدتني بمعرفة عملیة بالکیفیة التي تدار بها السیاسة الخارجیة وبأولئك السالین كانوا یسیرونها ، والالین کنت علی صداقة مع کثیر منهم - کاللورد کری (الالی ظل سنوات یدیر السیاسة الثابتة لوزارة الخارجیة) والسر هنری درموند وولف ، والسر فرانک لاسیلز ، والسر ادوارد مالیت ، واللورد دفرن ، واللورد فیفیان ، والسر ریفرز ویلسون .. وكلهم ممن غدوا فیما بعد وثیقی الصلة بتطور التاریخ المصری ..

ومن المعتقدات الشائعة لدى أولئك الذین لم یؤتوا خبرة شخصیة بالدیپلوماسیة ، ان الاحداث الجسام فی تاریخ العالم تأتي نتیجة تصمیم وخطط سیاسیة مرسومة ، ولیست - كما هی فی أغلب الاحوال - ولیدة حوادث لم تكن مرتقبة ، ونتیجة قوة او ضعف الموظفین الذین یعالجون هذه الحوادث .. بل وقد تكون أحيانا نتیجة نزوات شخصیة !

واذ رأیت صحتی تمیل الی الانحراف فی سنة ١٨٧٣ ، فکرت فی ان اتجنب أواخر الربیع فی انجلترا، وقمت مع زوجتی بأولی رحلاتنا المشتركة الی بلدان الشرق ، عن طریق بلغراد ، فحوض الدانوب ، فالقسطنطینیة .. وكانت الامبراطوریة العثمانیة اذ ذاک فی فترة هدوء نسبی .. وما ان

وفى شتاء العام التالى حتى كنا فى الجزائر ، حيث قضينا بضعة شهور رأينا فيها شعبا شرقيا يعانى ربقة عنف دولة غربية .. اذ لم تكد فرنسا تشتبك فى حرب مع المانيا ، حتى هبت ثورة عربية فى الجزائر ، وكان ان تعرض الاهالى لاقسى ألوان العنف .. ومع كل ما كنت أدين به من حب لفرنسا ، وجدتنى فى الجزائر أتجه بعواطفى كلها نحو العرب .. وبذلك تلقيت أول درس سياسى !

زيارتى الاولى لمصر

وفى شتاء ١٨٧٥ - ١٨٧٦ زرت مصر لأول مرة .. وأحب قبل أن أمضى فى الحديث أن أذكر أن زوجتى « ليدى آن بلنت » - التى رافقتنى فى أسفارى - كانت حفيدة الشاعر الوطنى العظيم « لورد بيرون » ، فورثت عنه حبه للحرية فى الشرق ..

ولم يخامرنا - فى زيارتنا الأولى لمصر - سوى ما يخامر كل محب للأسفار وهو يسعى الى بلاد الشرق .. وحين هبطنا السويس فى الايام الأولى من عام ١٨٧٦ ، استقبلنا أبناء الكارثة التى أصابت الجيش المصرى فى الحبشة ، وفقد فيها حياته لورينج باشا - الضابط الأمريكى الذى كان مع الجيش - وعدة آلاف من الجنود وصف الضباط .. فوضع النحاس بذلك حدا لامل اسماعيل فى اقامة امبراطورية تشمل وادى النيل بأسره ! واستأجرنا ابلا حملتنا الى القاهرة .. وفى خلال الايام الاربعة التى قضيناها فى الطريق مع الجمالين البدو ، تلقينا أول دروسنا العملية فى اللغة العربية ..

ودخلنا القاهرة فى صباح اليوم الخامس ، فاستقبلنا عند العباسية ازيز رصاص جنود الخديو وهم يتدربون ، فما خطر لنا اننا قد نهتم يوما باعمال هؤلاء الجنود كجيش محارب ، وانهم قد يستاثرون بعواطفنا يوما وهم فى حرب ضد أبناء بلادنا .. اذ كنت حتى ذاك الحين اؤمن بالقصيدة السائدة بين الانجليز فى ان انجلترا مبعوثة العناية الالهية الى الشرق ، وان حروبنا هناك ما شنت الا لاسباب تنطوى على الخير ..

وعبر «كوبرى قصر النيل» انحدرنا الى الجيزة فرأينا الاهرامات ، ثم واصلنا السير فبلغنا قرية «الطلبية» مع غروب الشمس ، وهناك هبطنا لأول مرة على التربة السوداء التى منحها النيل مصر .. وتلقانا اهالى الطلبية بكرمهم الريفى البالغ .. وكان للصدقة التى اولونا اياها اثر فى تيسير اتصالنا بالفلاحين فى المناطق المجاورة ..

كان الفلاحون فى ذلك الوقت فى فقر مدقع ، اذ كانوا يجتازون اول الاعوام الثلاثة الاخيرة فى حكم الخديو اسماعيل .. وكان اسماعيل صديق

- المفتش الطاغية - فى اوج جبروته ، يجمع الاموال لسد فوائد حملة سندات ديون الخديو من الاوربيين ، ويترك الفلاحين يتضورون جوعا ! .. وكان من النادر ان تجد فلاحا فى الحقول يتوج رأسه بعمامة ، او يرتدى من الكساء اكثر من الجلابب .. كما كانت مراكز المديرىات فى أيام الاسواق تكتظ بالنسوة يبعن ثيابهن وحليهن للمرابين اليونانيين ، لان محصلى الضرائب كانوا يجوزون القرى وسياطهم فى ايديهم !

واستمعنا الى قصصهم فشاركناهم السخط على حكومة كانت تدفعهم الى العوز والاملاق .. وكان الفلاحون يتكلمون فى صراحة تامة ، اذ كان الانجليز اذ ذاك يبدون لاهالى البلدان الاسلامية أبعد الناس عن الأغراض السياسية التى كانت تراود الشعوب الاوروبية الأخرى .. وكانت ثمة شائعات فى القرى من احتمال تدخل احدى الدول الاوربية .. وكانت هذه الشائعات ترشح انجلترا .. وفى حالة الجوع والتسول التى كان الفلاح يعانى منها وهو يرى أمواله تسلب ، ولا يتلقى جزاء سوى الضرب ، بدت انجلترا محوطة بهالة من الخير والود والثناء والبعد عن الغرض والقدرة على اصلاح الاخطاء ! .. ولم يراود القوم اى ريب فى الانانية التجارية الهائلة التى كانت تقودنا - كأمة - الى كثير من الاعتداءات على الشعوب الضعيفة فى العالم .. وكنت انا الآخر اومن بانجلترا فى ذلك الحين ، واعتقد فى الفكرة الشائعة عن حكمها العادل فى الشرق ، فلم اكن ارجو للمصريين سوى ان يشاركوا الهند - التى لم اكن قد زرتها بعد - نعمة التمتع بحمايتنا !

وقد كتبت اذ ذاك فى مذكراتى : « ان المصريين شعب طيب ، امين .. لا تعصب عنصري لديهم ، ولا تعصب دينى تقريبا .. ولقد عوملوا اسوأ المعاملة اجيالا عديدة ، فلم يفقدوا ذلك طيبة قلوبهم .. ومع ما يرزحون تحته من ظلم فظيع ، الا أننا لم نسمع منهم كلمة تدمر او تمرد .. »

هكذا كان رأى الاول فى مصر فى اوائل سنة ١٨٧٦ ، وهى آراء غير صحيحة ، اذ لم اكن قد فطنت الى بدء نمو الافكار السياسية فى المدن ولا فهمت مدى الاثر المالى الاوروبى فى المحن التى كان الفلاحون يعانونها .. على اننى ما لبثت ان عرفت من صديق كان احدى اعضاء بعثة «مستر كيف» المالية ، بعض الحقائق عن الشؤون المالية ..

كان الخديو اسماعيل قد بدأ حكمه فى اوقات كانت مصر تنعم فيها بالرخاء ، وقد تحرر فلاحوها من ربقة الشراكسة ، حتى لقد كانت فى نهاية حكم سعيد اننى ولايات الامبراطورية العثمانية ، ومن ارقى الولايات الزراعية فى الشرق باسره .. وكان اسماعيل قبل أن يتولى الحكم فى سنة ١٨٦٠ من كبار ملاك الاراضى ، وكان يدير ضياعه الواسعة فى صعيد مصر على أحدث الاساليب الراقية .. اما ارتقاء الحكم فكان

مفاجأة له ، اذ انه لم يكن الوريث الذى يلى سعيد مباشرة . ولعل هذه المفاجأة غير المنتظرة هى التى قادت الى البذخ والاسراف ، اذ الفى نفسه الحاكم المطلق ، ووجد تحت يديه ثروة طائلة ، لم ينظر اليها كوديعة من الشعب فى عنقه ، بل عمل أولا على زيادة ثروته الخاصة ، واشباع ملاذه ! وكان يحيط نفسه بحاشية من المرائين ، من وطنيين واوربيين ، راحوا يمنونه بجعله من أعظم المالىين ، وأعظم عواهل الشرق اطلاقا ، فنى ذكاه ومهارته وانساق فى تيارهم ..

وكان اول ما لجأ اليه من هذا القبيل ان رفع العوائد التى كانت الدولة تتقاضاها على الارض ، من اربعين قرشا الى مائة وستين .. ثم اوحى اليه المتملقون بان الاراضى فى عهد جده - محمد على - كانت ملكا للوالى ، فسعى الى العودة الى هذا الوضع ، بوسائل من الضغط الادارى ومن ائثال كاهل الملاك بالضرائب ، حتى يضطروهم الى ان يبيعوا اراضيهم له ! .. ومع انه كان موفقا فى ادارة ضياعه قبل الحكم ، الا ان اتساع املاكه الى الدرجة الهائلة التى صار اليها ، كبده كثيرا من الخسائر .. فقد كان اعوانه يسرقونه بكل الوسائل .. وهكذا بدأت متاعبه المالية .. وضاعف منها غزو اعالى النيل ومحاولة فتح الحبشة مما اضطره الى الاستدانة ..

الكارثة التى جلبها اسماعيل بحماقته

ولقد قدر ماتكبده مصر خلال حكمه باربعمائة مليون من الجنيهات الاسترلينية .. ثم كان تدخلنا المالى نتيجة طيشه وحماقته ، اذ لم يكن لدى انجلترا وقتئذ - على ما اعلم - اية حوافز سياسية .. بل انه طلب الى الحكومة الانجليزية ان تمده بالمعونة المالية بوساطة الكواونيل ستوتن فى خريف سنة ١٨٧٥ .. وكانت انجلترا - بصداقتها الطويلة مع تركيا - موضع ثقة لدى الشرق الاسلامى ، كما ان مسالة قناة السويس كانت قد احاطت الحكومة الفرنسية بالشبهات ، ومن ثم اثر اسماعيل انجلترا دون فرنسا حين عمد الى بيع اسهمه فى القناة .. وانى لاذكر بجلاء كيف قوبل شراء هذه الاسهم باستهجان فى انجلترا ، ووجه الى دزرائيل كثير من اللوم لانه قرر هذا الشراء دون رجوع الى زملائه ، مدبرا الامر مع فرع مؤسسة «روتشيلد» فى لندن .. وكانت الصفقة نذير شؤم على مصر ، ولاسيما فيما يتعلق بالدور الذى لعبته مؤسسة «روتشيلد» هذه ، ولسوف نرى ان العلاقات المالية لهذه المؤسسة اليهودية القوية كانت عاملا حاسما فيما اقدمت عليه انجلترا بعد سبع سنوات من تدخل عسكري !

كذلك كانت بعثة «مستر كيف» - التى اعقبت صفقة اسهم القناة - من صنع اسماعيل ايضا .. فهو الذى طلب الى الحكومة الانجليزية اينفاذا



اسماعيل

ليجعل من المعونة الانجليزية السياسية
تكاة في الحصول على مزيد من الديون
.. وكان بحاجة الى تقارير تنشر على
الناس شاهدة بمقدرته على سداد ديونه
.. وكان من حظه ان «مستر كيف»
كان عديم الدراية بالشرق ، فسهل
خداعه ، او كان اسماعيل بمعونة
اسماعيل صديق يعرض عليه حسابات
وهمية فيقبلها على انها صحيحة ! ..
وكذلك كان الامر ازاء «سير ريفرز
ويلسون» ، الذى خلف «كيف» ،
والذى كنت على ود معه ، وظللت اكايبه
سنوات ، فكان يوافينى بأنباء اعماله
في مصر ..

وكانت آخر ذكرياتى في ذلك الشتاء في القاهرة ، تتمثل في مادبة
اقامها الخديو لمستر كيف في استراحة الخديو عند الاهرامات ، وانفق عليها
في بذخ ليعشى عيون الاوربيين ويوهمهم بثرائه .. مع ان الموائد مدت لنا
تحت انظار جموع الفلاحين الذين كانوا يتضورون جوعا !

الفصل الثانى - بعثة سير ريفرز ويلسن

◆ وعقب مغادرتنا القاهرة في ربيع سنة ١٨٧٦ ، قمنا بزيارة لبعض
الاراضى العربية المجاورة ، فاجتزنا شبه جزيرة سيناء الى العقبة ، فالقدس ،
ثم عدنا بحرا الى انجلترا

واستقبلنا شتاء ١٨٧٧ - ١٨٧٨ في الشرق من جديد .. فزرننا العراق
وسوريا وببيدهما وما يعمرها من عشائر بدوية .. وازددت في تلك الاثناء
عظفا على العرب .. وكان عظفا خالصا لا يشوبه غرض سياسى ، فقد شهدت
مساوىء الحكم الذى كان يمارسه الاتراك اذ اخضعوا العشائر التى كانت
قد تمردت عليهم في بعض مناطق ما بين البحرين .. وكانت الحرب بين
تركيا وروسيا في مراحلها الاخيرة ، فرايت كيف كان ابناء القرى السورية
والعراقية يساقون مصفدين في الاغلال لتجنيدهم !

رايت حكم الاتراك للعرب .. كان حكم قوة وخداع وفساد وفساد الى
اقصى الدرجات .. رايت اراضى بغداد تستحيل تحت نير العثمانيين الى قفر
يباب .. ودمشق تتحول الى مدينة خربة .. في كل مكان كانت الارض تفقد

صلاحيتها للزراعة ، وكانت الحكومة تصيب السكان بعدوى الفساد وكانها وباء خلقى ..

وما أن عدت الى انجلترا ، حتى صحبتنى ابن عمتى « فيليب كرى » - لورد كرى الآن - فى ١٤ مايو سنة ١٨٧٨ ، لأقابل اللورد سالسبورى ، اذ كان « كرى » يومئذ سكرتيرا خاصا له ، ومن كبار رجال وزارة الخارجية .. وكان لورد سالسبورى قد تقلد هذه الوزارة منذ عهد قريب ، ولعله كان اذ ذاك على وشك ان يوقع مع السلطان المعاهدة السرية التى عرفت باسم « وفاق قبرص » ، فود ان يعلم منى بعض ما الممت به فى رحلتى فى البلاد العربية .. وقد حدثته بصراحة تامة ، واقترحت عليه العمل على استقلال سوريا ، ومساعدة مصر فى التخلص من سوء حكم حكامها الاتراك .. وقد خرجت من هذه المقابلة وأنا معجب بسعة ادراك سالسبورى للمسائل الشرقية ، وان خالفت آراؤه آرائى .

٧ مليون جنيه تنتزع من الفلاحين ظلما !

وكان شتاء ١٨٧٧ - ١٨٧٨ من افظع الفصول .. كما كان من اتعسها بالنسبة لمصر .. فقد تعاقبت بعد بعثة « كيف » بعثات اخرى انتهت الى ما عرف بتسوية « جوشن - جوبير » لديون الخديو اسماعيل .. وهى التسوية التى انقلت ميزانية مصر بما يعادل سبعة ملايين من الجنيهات الاسترلينية ، انتزعت من الفلاحين بالسياط وامتنصاص الدماء .. فماتت آلاف عديدة من اهل القرى جوعا .. ولم يعد من سبيل الا اعلان افلاس الخديو ، او تخفيض فوائد ديونه .. وقد عمل حملة سندات القروض على اهمال الحل الاول ، وسعوا الى تحقيقى تدخل الدول الكبرى ديباوماسيا .. وكانت هذه فرصة سانحة للحكومة الانجليزية اذ كانت تسعى - تحت قيادة دزرائيل - للقيام بدور رئيسى فى شئون الدولة العثمانية .. لتحقيق هذا الاتجاه الاستعمارى ، اقدم دزرائيل على تعيين لورد سالسبورى فى وزارة الخارجية .. ومن ثم اجتاز الاسطول البريطانى الدردنيل الى بحر مرمرة ، وتسنى له صد الجيش الروسى عن استامبول .. وتحت الضغط الانجليزى، وقع السلطان معاهدة « سان ستفانو » مع القيصر ..

اما بالنسبة لمصر ، فقد اوفدت لجنة التحقيق ، كان المفروض ان تكون دولية ، ولكن وزارة الخارجية جعلتها انجليزية خالصة ، وعين سير ريفرز ويلسن مندوبا عن انجلترا .. وجدير بنا ان نتذكر ان اتفاقا سرىا عقد بعد شهرين من تولى سالسبورى وزارة الخارجية ، وافق بمقتضاه السلطان على تأجير قبرص لانجلترا فى مقابل حصوله على ضمان بعدم اقتطاع شىء من ولاياته الاسيوية ، على شريطة ان يقوم بمشروعات الاصلاح فى آسيا الصغرى تحت رقابة عدد من القناصل والعسكريين الانجليز !

وكان هذا يتمشى مع حلم راود دزرائيلى منذ شبابه ، لتكوين امبراطورية اسيوية تحت التاج الانجليزى ، تضم بين ارجائها جزيرة قبرص .. وقد شاء دزرائيلى بذلك أن يجتذب حب الانجليز الذين كانوا يزدرونه لأنه يهودى ..

« شيلنى وأشيلك » .. بين انجلترا وفرنسا !

♦ ولقد عقد بعد شهر من « وفاق قبرص » مؤتمر سنة ١٨٧٨ الاوروبى الكبير فى برلين ، وكان أهم اجتماع للدول الكبرى بعد مؤتمر باريس ، اذ كان يهدف الى تقرير مصير الولايات الاوربية التى كانت تابعة لتركيا ، والى تعديل معاهدة سان ستيفانو ..

وكان دزرائيلى يقامر بمستقبله فى سبيل نجاح هذا المؤتمر ، حتى أنه حضر بنفسه ! .. وقد اجتمع المؤتمر فى ١٣ يونيو ، واقترح بعضهم فى سياق الجلسة ان يؤكد كل مندوب أن دولته جاءت الى المؤتمر غير مقيدة بأى اتفاق سرى يمس المسائل التى كانت موضوع خلاف .. وفوجئ دزرائيلى وسالسبورى بهذا الاقتراح ، اذ لم يكونا على استعداد لكشف « وفاق قبرص » ، فأكدوا أن دولتهما غير مقيدة باتفاق سرى ما .. لذلك يمكن تصور الفضيحة التى حدثت حين فوجئ أعضاء مؤتمر برلين فى ٩ يوليو بنص الوفاق منشورا فى احدى الصحف اللندنية ! ولم يعد فى الامكان اخفاء الحقيقة فى المؤتمر ، فحدثت أزمة شديدة أصر مندوبا فرنسا وروسيا خلالها على الانسحاب ، لولا ان تدخل « بسمارك » - رئيس الوزارة الالمانية - بعد ان صارحه دزرائيلى بكل شيء .. وقام بسمارك بدور الوسيط، فاتفق مندوبا فرنسا وانجلترا على :

١ - ان يسمح لفرنسا بأن تحتل تونس - دون معارضة من انجلترا ، فى مقابل حصول هذه على قبرص

٢ - ان تكون فرنسا على قدم المساواة مع انجلترا فى التسويات المالية التى كانت تدبر فى مصر

٣ - ان تعترف انجلترا بصفة خاصة بما زعمته فرنسا من زمن بصدد حماية المسيحيين اللاتينيين فى سوريا

ومع أن دزرائيلى ضحى بولاية من ولايات حليفه السلطان كثرن للفضيحة ، الا انه عاد الى انجلترا يتمشدد بأنه قد كسب السلام والشرف ! وكان من نتيجة هذا ، ان أرسلت برقية من برلين الى سير ريفرز ويلسن بالاسكندرية ، تحمل اليه الامر - الذى أحزنه - بأن يعمل على المساواة بين فرنسا وانجلترا فى التدبيرات المالية التى تتصل بتحقيقاته .. وكان ذلك هو السبب الحاسم فى قيام الرقابة الثنائية الانجليزية الفرنسية فى العام التالى !

جناية اغتيال يرتكبها اسماعيل

كانت هذه هى الاوضاع حين آن خريف سنة ١٨٧٨ ، ووجدتنى مرة اخرى اسعى الى الشرق بحرا .. وفى مرسيليا ، صعد الى الباخرة صديقى سير ريفرز ويلسون ، وكان قد عين وزيرا لمالية مصر .. وفى الايام الستة التى قضيناها فى الرحلة معا ، افضى الى بأحداث العامين الاخيرين فى القاهرة .. حدثنى عن سوء احوال البلد ، وروى لى أبشع جرائم الخديو اسماعيل - جريمة اغتيال اسماعيل المفتش ، الذى أخلص فى خدمة سعيد واسماعيل وعمل على أن يستخلص لهما آخر قرش لدى الفلاح .. والذى كان يقدم للبعثات المالية البيانات الخادعة عن ديون الخديو اسماعيل تسترا عليه .. ولعل اسماعيل ختى أن يتداعى المفتش تحت ضغط لجنة تحقيقى ويلسن ، فرأى أن يبقى السر مكتوما الى الأبد !

وكان المدير الحقيقى للخطة - بأمر من الخديو - هو مصطفى بك فهمى ، الذى لم يلبث أن ارتاع للدور الذى لعبه ، فوقع فى مرض خطير . ثم انضم الى عرابى فى أوائل ثورته فى سنة ١٨٨١-١٨٨٢ ، وأصبح فيما بعد رئيسا لوزراء مصر ..

ولقد خلف ويلسن اسماعيل المفتش فى تولى وزارة المالية .. ولكنه لم يبق فيها طويلا ، وانتهت جهوده الى الفشل ، لعدة أسباب : فقد بدأ عهده بدين جديد باهظ .. كما أن أخطاء الادارة كانت تصيب الاهالى بغبن شديد ، مهد الطريق فيما بعد للتمرد العام .. وكان عذر ويلسن أنه اعتمد على نوبار فى كل ما يتعلق بشئون السياسة الداخلية .. وقد أسرف ويلسن فى تقدير نوبار ، مع أن هذا كان غاية فى الضعف - إذ لم يكن من العسير على شخص ماكر كاسماعيل أن يستغل كونه مسيحيا ليثير عليه المسلمين ، وبذلك يرغم الانجليز على التفريط فيه ويسترد هو بسلطانه المالى ! .. ومن ثم دبر اضطرابات فبراير سنة ١٨٧٩ التى خرج فيها طلبة المدرسة الحربية الى وزارة المالية - وقد دبر سيرهم بحيث وصلوا بينما كان نوبار باشا يهم بمفادرة مكتبه - فسبوه ، وأهانوه ، وجذبوا شاربه ، وقرصوا أذنيه .. حتى أنقذته فصيلة من الحرس الخديو !

وهكذا وجد الخديو التكاة التى استند اليها فى اقناع القنصلين الانجليزى والفرنسى بضرورة اقالة نوبار ، وأحل محله فى رئاسة الوزارة راغب باشا ، الذى كان من صنائه ..

وباقضاء نوبار ، غدا من المستحيل على ويلسن المضى فى وزارة المالية ، كما توقع الخديو .. وكان قنصلنا العام فى مصر « فيفيان » على خصام مع ويلسن ، أثر شجار تماسكا فيه ، لذلك تقاعس فيفيان حين لجأ اليه ويلسن فى متاعبه السياسية .. وما لبث أن دبر اضطرابا - كذلك الذى حدث فى

فبراير - فاعتدى الفوغاء على ويلسن وزوجته فى الاسكندرية فى شهر مارس .. ولما اشتكى ويلسن لوزارة الخارجية ، رفضت ان تؤازره ، ونصح له بالاستقالة .. ففعل وعاد الى اوربا ، فكتب لى فى ٣٠ ابريل سنة ١٧٨٩ يقول :

« لعلك سمعت ان ذلك الخديو الوغد قد اساء الى .. ان سموه يعتقد ان ارقى اساليب السياسة هى اشاعة الفرقة بين من يوجه اليه تدابير .. ولعله كان يتوقع ان يفرق بينى وبين « بلينيير » ، المندوب الفرنسى .. او بين احدنا - او كلينا - ونوبار .. ولكنه لا يمكن ان يكون قد طمع خلال احلامه الجامحة ، فى ان يصير القنصل العام الانجليزى اداته التى يطرح بها اليوم وزيرا فرضته عليه حكومة انجليزية .. اننى مسرور لمفادرة البلاد ، فكل شئ يسير الى الشيطان .. والبلاد موبوءة بالفساد ، حتى ل يبدو ان الحكومتين الفرنسية والانجليزية تخافان ان تقدما على عمل .. ومن ثم ينطلق الخديو الان جامحا ، يطعن البلاد طعنات مميتة .. ان الانهيار غير بعيد .. والى ان يحين ، من الفطيع ان يفكر المرء فيما يقع من سوء وتعاسة »

الفصل الثالث - رحلات فى بلاد العرب والهند

♦ كانت هذه الاحداث تجرى فى مصر ، بينما كنت وزوجتى ماضيين فى الترحال فى اواسط شبه جزيرة العرب ، بعيدين عن تطورات العالم الخارجى ..

وفى طريقنا الى دمشق - التى بدأنا منها رحلتنا - مررنا بجزيرة قبرص ، لنرى هذه الجزيرة التى اشتريت بفضيحة مدوية .. ووجدناها تتلقى الدرس الاول فى الادارة الانجليزية على يدى « سير جارنيت ولسلى » الذى حاول - حين زرناه - ان يبدى زهوا بامتلاك هذه « الدرة » الجديدة فى « تاج الامبراطورية » .. وما كان ثمة داع لهذا التظاهر منه ، فان امتلاك قبرص بدأ يشوه سمعة انجلترا ، وقد سمعنا المسلمين فى سوريا بعد ذلك يصفونها بأنها كانت بمثابة « بقشيش » نالته انجلترا فى مقابل خدمات أدتها للسلطان

والتقىنا فى دمشق ببعض شخصيات مهمة، منها بطل الحرب الجزائرية ضد فرنسا ، السيد عبد القادر .. ومنها « السير ادوارد ماليت » ، الذى كان اذ ذاك سكرتيرا للسفارة الانجليزية فى القسطنطينية ، وكنت على معرفة وثيقة به .. كان مثالا للموظف الدقيق ، الذى لا يمكن ان يتجاوز حدود عمله ، والذى اوتي من المواهب ما يمكنه من ان يتصرف خير تصرف

فى المواقف.. وكان آخر انسان فى العالم يفكر فى الدس والتآمر أو يشترك فيهما .. وأقول ذلك لانه اتهم فى مصر بأنه كان طموحا ، وانه كان يدبر المؤامرات لاثارة الفتن والقلاقل !

وذهبنا بعد ذلك الى الهند عن طريق شبه الجزيرة العربية والخليج الفارسى .. والفقرات التالية مقتبسة عن خطابات كتبتها فى تلك الفترة لتبين الاثر الذى خلفته فى نفسى هذه الزيارة :

« اننى مستاء للهند التى تبدو تحت سلطة حكومة سيئة .. مثلها مثل بقية آسيا ، وأن كان سوء حكمها خاوا من سوء النوايا .. فهنا ترى من فداحة الضرائب ، وسيطرة الأجانب ، ومن الاسراف والتبديد ، ما لا يراه الانسان الا فى تركيا فقط ! .. ولست أرى فارقا بين ابتزاز المال من الهندوس الذين يتضورون جوعا فى سبيل انشاء كنيسة فى كلكتا ، وبين تحصيل الضرائب الفادحة من البلغاريين لانشاء قصر على ضفاف البسفور .. ان الاهالى هنا عبيد يسودهم الخوف والشقاء والنحول .. انهم يرسفون فى اغلال كتلك التى تكبل المصريين ، مما جعلنى اشعر بالخيبة ، واصاب ايمانى بالنظم البريطانية وبنعم الحكم البريطانى بصدمة قاضية !

« لقد درست الفاز المالية الهندية على ايدى خير الاساتذة من رؤساء الادارات الحكومية والمندوبين وغيرهم ، فانتهيت الى اننا اذا ظللنا نعمل على « تقدم » البلاد بالدرجة الراهنة ، فان السكان لن يلبثوا - طال الزمن او قصر - ان ينقلبوا الى متوحشين ، اذ لن يجدوا بدا من ان ياكل بعضهم بعضا ! .. ولست أدري لم ناخذ معشر الانجليز النقود من هؤلاء الهندوس الجوعى لننشئ لهم خطوطا حديدية لا يفوزها ، وطرقا ، وسجوناً ، ومستشفيات للأمراض العقلية ، ونصبا تذكارية لسير بارتل فريز ؟! »

وقد كان لزيارتي القصيرة للهند ، واتصالى برؤوس حكومتها ، اثر كبير فى تشكيل آرائى فى كبرى مسائل السياسة الاستعمارية .. كنت لا ازال اومن بالنوايا الطيبة لسيطرتنا على الشرق ، وان لم تأت بنتائج طيبة ، واعتقدت ان شعبنا ولا بد سيمصر على تحسين اساليب الحكم اذا عرف حقيقة ما يجرى !

قصة خلع اسماعيل

♦ وفى عدن - ونحن نتأهب لاجتياز البحر الاحمر على ما اظن - تناهت الينا انباء الاحداث الجلييلة التى كانت تجرى فى مصر . وما أن وصلنا الى الاسكندرية حتى علمت بتفصيلات خلع الخديو اسماعيل .. ولا تخرج القصة التى رواها لى صديقى « فرانك لاسيل » - الذى كان قد تولي

منصب القنصل العام بالوكالة البريطانية - عما نشر رسميا .. ولكن الذى لم يدع هو ذلك الدور الذى لعبه آل « روتشيلد » والذى علمته فيما بعد من « ويلسون » - وكان فخورا بأنه انتقم لنفسه ! - ففى عودته من مصر مخدولا ، وقد تخلت حكومته عن مؤازرته ، يمم شطر آل « روتشيلد » فى باريس ، وبين لهم الخطر الذى يتهدد أموالهم من وراء الانقلاب الذى لا بد أن يترتب على قلاقل القاهرة والاسكندرية .. وأقنعهم بأن الخديو كان يعتزم أن ينفذ يديه من ديونه ويلغى التزامه بها ، متخذا لنفسه ستارا بإعلان الحكومة الدستورية فى مصر .. ومن ثم فأنهم ولا بد خاسرون كل مالهم ، ما لم يبادروا الى الحيلولة بين الخديو وتنفيذ ذلك !

ونجح ويلسن فى اثارة ذعر آل روتشيلد وحملهم على استخدام ما كان لهم من نفوذ سياسى هائل لتحقيق التدخل الفعلى .. فعمدوا أولا الى جذب الخيوط التى كانوا يحركون بها حكومتى انجلترا وفرنسا ، ولكن هذا لم يجدهم فتىلا ، اذ لم تكن الحكومة الانجليزية على استعداد للتدخل ، لا سيما وان الاضطرابات كانت قد شبت فى جنوب افريقيا .. ومن ثم اتجه الى روتشيلد الى برلين ، والى بسمارك بالذات ، الذى كان يبسط حمايته على المؤسسة اليهودية الضخمة .. وبادر بسمارك الى الايعاء الى حكومتى انجلترا وفرنسا بأن الحكومة الالمانية ستحتضن قضية آل روتشيلد اذا كانتا عاجزتين عن التدخل .. وكان هذا الضغط كافيا لتوجيه ضغط أوربى الى الباب العالى ، ادى الى البرقية التى تلقاها اسماعيل بخلعه .. وكان من نصيب « لاسيل » ان يحمل اليه الانباء السيئة ..

وجريا على عادته ، بادر اسماعيل الى تجريد خزانة الدولة من كل ما كان فيها من نقود ، والى جمع كل ما استطاع ان يصل اليه من نفائس ، فأرسلها الى يخته « المحروسة » ، كما عمد الى ابتزاز أموال رعاياه للمرة الاخيرة ، فجمع مبلغا وصل الى ثلاثة ملايين من الجنيهات الاسترلينية .. ولم يحاول أحد ان يعطله ، أو ان يتحرى صحة أوامر الخلع ، أو ان يسأله البقاء ولو لساعة أخرى !

الفصل الرابع - السياسة الانجليزية فى سنة ١٨٨٠

◆ قضيت اثنى عشر شهرا كاملة فى انجلترا ، كانت من اكثر فترات حياتى ازدهاما بالعمل والنشاط ، اذ اثنى وقد اقنعت نفسى بأن على رسالة يجب اداؤها من أجل العالم الشرقى ، شرعت اتحدث واكتب واخطب .. ولم اشغل نفسى بشئ من الشؤون السياسية الداخلية ، رغم ان الاحوال كانت متأزمة ، وكان « جلادستون » قد نشط استعدادا للانتخابات

العامة فى سنة ١٨٨٠ .. وقد كنت بحكم نشأتى اميل الى المحاسن القدامى ، ولكننى فى المسائل الشرقية كنت آمل فى « جلادستون » خيرا ..

كذلك عانيت فى تلك الفترة بتربية الخيول ومحاولة انجاب سلالة عربية اصيلة فى انجلترا .. ولما كانت هذه هواية « جلادستون » ، فقد ارسل لى عن طريق صديق صحفى يسأل بعض المعلومات الخاصة بأصول الخيل .. ثم صادف أن اختار - حين ولى الحكم فى شهر ابريل - صديقى « ادوارد هاميلتون » سكرتيرا خاصا له ، وبذلك توثقت بينى وبينه الصلات ..

هل كان « غوردون » مجنونا ، أم سميرا ، أم مقامرا ؟

وهذه مقتطفات من يومياتى فى تلك الفترة :

« ١٦ مارس - تناولت طعام الافطار مع ريفرز ويلسن ، وكان حديثنا عن شخصية الكولونيل غوردون .. فان العالم يجمع على أنه شخص رائع ، وقد حكم السودان وحده أربع سنوات - ثم عاد الى الوطن فلم يحفل به أحد ، ولم يقابله أحد من الوزراء » .. وقد عرف بالجرأة والصراحة وعدم التقيد بالروتين الحكومى ، مما دفعه فى نظر الجهات الرسمية بأنه مجنون .. وقال عنه البعض أنه سكير .. وقال آخرون أنه مقامر حتى انه اذا احز به أمر ، طوح باحدى العملات النقدية فى الهواء ورأى على وجهه تستقر على الارض ليختار طريقه !

وفى هذه الفترة من اوائل ربيع سنة ١٨٨٠ ، كان غوردون ساخطا اشد السخط على الحكومة الانجليزية للدور الذى لعبته فى خلع الخديو اسماعيل ، اذ كان - لسبب ما - يحبه ويكره خلفه « توفيق » .. فما أن بلغه فى الخرطوم ما حدث ، حتى استقال من منصب حاكم السودان .. ثم ازداد غضبا حين علم أن الذى خلفه فى منصبه تركى وليس أوربى ! ولعلنا نذكر أن السياسة الشرقية كانت موضوعا رئيسيا فى معركة الانتخابات العامة فى سنة ١٨٨٠ ، وقد هاجم « جلادستون » مشروع التوسع الاستعمارى الذى وضعه « دزرائيل » مهاجمة عنيفة ، واستنكر تدخله فى القسطنطينية وبرلين من أجل تركيا ، وضم قبرص ، وشراء أسهم قناة السويس ، وسياسته العدوانية فى مصر ، والحملتين اللتين أوفدهما لقتال الافغان والبوير ..

وكان « جلادستون » قد سجل على نفسه آراءه فيما يتعلق بمصر ، فى مقال نشره فى عدد أغسطس ١٨٧٧ ، من «مجلة القرن العشرين» تحت عنوان «الاعتداء على مصر والحرية فى الشرق» .. وقد عبر بجلاء عن معارضته لكل سياسة تجعل انجلترا تضطلع بآية مسئولية كانت فى حوض النيل ..

وبنى رايه على أن ذلك يؤدى الى مضاعفة اعباء انجلترا فى الشرق ، والى أن التوسع الاستعمارى لا يتم الا بالخروج على المبادئ الخلقية والادبية ، وان الظاهر بأن احتلال مصر ضرورى لحماية طريق الهند خدعة كاذبة ، وان أى تدخل فى مصر كفيل بأن يشجع على مزيد من المقامرات فى افريقيا ..

كذلك دعا « جلادستون » الى وجوب استمرار مصر كدولة اسلامية ذات حكومة مستقلة .. كما تنبأ بأن محاولة انجلترا الاستيلاء على مصر ستزج بها فى خلاف مع فرنسا ، وستفسد العلاقات السياسية القائمة على المودة بين الدولتين

« ٦ أبريل : باريس (وقد انتهت الانتخابات فى انجلترا بحصول الاحرار على أغلبية ساحقة) - على الرغم من عزوفى عن السياسة الا اننى اعتقد أن فوز جلادستون (زعيم الاحرار) كان من سوء الطالع .. لسوف تعاني سياستنا فى آسيا من جراء ذلك ، فان الاحرار لا يعرفون شيئا عن الشرق ، ومن ثم فيخششون الاقدام على أى تغيير فى سياسة المحافظين . وسوف يحاولون اصلاح تركيا ، فاذا تبينوا استحالة ذلك ، فقدوا حلمهم وعلنوها حربا .. »

« ٩ أبريل : باريس - قابلت اليوم ريفرز ويلسن الذى سيرحل غدا الى مصر » .. وكانت هذه آخر مهمة يوفد فيها الى مصر ، وقد أعد خلالها قانون التصفية .. لتسوية الديون ..

« ٢٦ أبريل : عدت الى انجلترا

حيث وجدت جلادستون موضوع حديث كل مجتمع .. فقد تولى رئاسة الوزارة .. وقد كان من أهم أنباء الاسبوع تعيين اللورد جرانفيل وزيرا للخارجية ..

وهو رجل محبوب ، ولكنه أصم ، وبطىء التصرف ، ومن أتباع المدرسة القديمة فى الدبلوماسية .. ومثل هذا الوزير لا يرتقب منه جديد .. وكان العمل

الواحد الذى أبرمه ، أنه شاء أن يبرهن على أن جلادستون كان على صواب فى مهاجمة سياسة دزرائيل فى تركيا ، فسمح بنشر تقرير سرى كان سفير

انجلترا فى تركيا قد أرسله مضمنا اياه مساوئ ومثالب السلطان عبد الحميد .. وكان هذا النشر



دزرائيل

فضيحة ديباوماسية : أولا لمخالفته للتقاليد ، وثانيا لأن السلطان كان يقرب السفير ويتخذ صديقا ويثق فيه .. ومن ثم فانه اعتبر التقرير غدرا قضى على كل نية حسنة لديه نحو انجلترا ! »

ولقد شجعنى وجود صديقى سير ادوارد هاميلتون سكرتيرا خاصا لرئيس الوزراء ، على أن أسعى لاثارة عطف جلادستون على حرية الشرق ..

وكان ممن تناولوا الغداء على مائدتى فى ١٢ يونيو « لورنس أوليفانت » .. وقد جاء فى مذكراتى عنه : « لقد عاد أخيرا من القسطنطينية ، حيث كان يحاول الحصول من السلطان على امتياز يسمح لابناء اسرائيل بأن يستعمروا الاراضى الواقعة خلف نهر الاردن »

« ٢٦ يونيو : نشرت « السبكتاتور » رابعة مقالاتى اليها .. كما نشرت مجلة « فورتنايتلى » مقالا لى بعنوان « خلفاء السلطان فى آسيا » .. وقد هنأنى لورد نورثبروك .. « .. وكانت المقالة الاخيرة وسيلة للفت نظر جلادستون الى آرائى .. وقد افلحت ، وان كان الشئ الذى أثار اهتمامه فى المقال هو أقل الامور قابلية من الناحية العملية فى دنيا السياسة .. فقد قلت أن من العدل تحقيق الاستقلال لولايات تركيا الآسيوية ، كما حدث لولايات تركيا الأوروبية .. على أن الذى خرجت به هو أن آرائى - كما كان هاميلتون يبلغها الى جلادستون - كانت تتفق فى كثير مع آرائه ..

ثم استبنت أمرا سرعان ما جعل اليقين يملكنى باننى فى جميع تفكيرى فى تحرير واصلاح الشرق بدأت بداية خاطئة .. واننى اذا شئت أن انفع العرب أو غيرهم من الشعوب الاسلامية الخاضعة للاتراك ، فخليق بى أن اكون على دراية بأرائهم الدينية .. وكان هذا سببا فى الاتجاه الذى اتخذته فى القاهرة بعد ذلك بعام

« ١٢ يوليو : - ذهبنا الى حفلة أقامتها مسر جلادستون وقد وصلنا مبكرين قبل حضور الضيوف ، فأتيج لى أن أقضى عشرين دقيقة فى الحديث الى الرجل العظيم ، وشرحت له آرائى فى انهاض الشرق ، فأصغى فى اهتمام الرجل الذى يجهل جهلا تاما الفرق بين الالف والباء فى هذه المسألة .. وكان للملاحظة وقع يناقض ذلك الذى شعرت به ازاء الاسئلة التى وجهها الى سالسبورى منذ ثلاث سنوات .. »

« ١٧ يوليو : - قابلت السير «تشارلس ولكه» وكيل وزارة الخارجية، فشرحت له الغرض من ذهابى فى الخريف الى نجد مع عبد الله بن سعود ..

وكانت أسئلته صريحة واضحة ، وبادر الى اعداد صيغة برقية الى سفيرنا فى القسطنطينية ، كما أحالنى على الوكيل الدائم لوزارة الخارجية لمزيد من البيانات .. فلقد تملكتنى الرغبة فى انهاض همم العرب للسعى لبعث الخلافة العربية (بدلا من أن تكون الخلافة الاسلامية ممثلة فى شخص سلطان تركيا) .. »

ولقد قدر للسير تشارلس ولكه أن يقوم بدور كبير فى الاحداث التى جرت لمصر فى سنة ١٨٨٢ ..

وكان عبد الله بن سعود الذى ذكرته ، هو عبد الله بن ثيان بن سعود ، سليل أمراء نجد السابقين ، وكان قد سعى الى القسطنطينية ولجأ الى السفارة البريطانية يلتمس عونها فى استعادة مكانة سياسية فى بلاده ، فوجدتها فرصة سانحة لمشروعى ..

على أن لورد تشتردن - الوكيل الدائم لوزارة الخارجية - عارض بحجة أن علم وزارة الخارجية برحلتى يجعلها بمثابة « بعثة سرية » ، وهو ما يتعارض مع تقاليد الوزارة .. فاضطرت الى التخلي عنها .. لا سيما وقد وقعت فى تلك الاناء الهزيمة المخزية التى لحمت بالجيش البريطانى فى الافغان ، والتى كانت ضربة قاضية على سياسة « ليون » .. الى قدر له أن يكون أول « نائب للملكة » خائب فى الهند .. والواقع أن سياسة « ليتون » كانت ضرورية ، وقد سار تنفيذها فى الطريق الصحيح ، فبذل أقصى ما كان فى وسعه ، ولكنه لم يكن يملك حولا ولا سلطة ازاء تطور الاحداث وتيارها . فان تداعى انجلترا وهزيمتها يستندان الى أسباب عامة أقوى من أن يسأل عنها فرد أو يحمل وزرها جماعة من البشر .. انما ن فشل لاننا لم نعد سادة مهذبين نتمسك بالاخلاق والشهامة .. ان حكومتنا نلة من الصعاليك الطغام ، لا هيئة اوتيت ادراكا سليما ، ومؤازرة ناشئة عن ادراك الامة ووعيها .. اننا لم نفز بمكانتنا فى الدنيا الا بجهود هائلة ، وادراك عظيم ، وشرف وامانة بالفين ، فلما ذهبت هذه جميعا ، هويانا الى المستوى الطبيعى .. لقد ظللنا مائة عام نفعل الخير فى الدنيا .. وسنظل مائة عام نفعل الشر والسوء ، ثم لا يعود العالم يسمع لنا ذكرا ! »

(٧ سبتمبر : تحدثت و « ليتون » اليوم عن المسألة الشرقية ،

فتبينت أن آراءه فيها لا تختلف كثيرا عن آرائى .. ونحن نتفق فى أن «امبراطورية» انجلترا تسير حثيثا الى حتفها .. ولا يهمنى كثيرا ان يقترب الاجل .. ولكن « ليتون » أكثر منى وطنية »

ومن المهم لاستكمال صورة الموقف السياسى ، أن أورد بعض ما كتبه لى « ليتون » فى ١٨ نوفمبر من ذلك العام :

« قرأت فى احدى الصحف منذ أيام بيانا عن أن شريف مكة الجديد « عبد المطلب » - وهو أداة من أدوات السلطان - يعمل بنشاط لتنفيذ تعليمات من القسطنطينية لاثارة المسلمين ضدنا فى كافة أرجاء العالم .. وقد أصبحت الصرخة التى تتردد اليوم أن « الخليفة فى خطر » .. وهذا ما كنا نتوقع ، وأخشى ما أخشاه أن الفرصة قد فاتت لاصلاح الموقف .. ولست أرى لتصرف جلادستون من نتيجة سوى القضاء على نفوذنا فى القسطنطينية ، وافساح الطريق لألمانيا ، دون أن نعوض ذلك بوسائل أخرى للاشراف على العالم الاسلامى »

الفصل الخامس - زعماء الاصلاح فى الازهر

◆ غادرت انجلترا فى ٣ نوفمبر سنة ١٨٨٠ الى مصر ، فلما بلغت القاهرة وجدتها قد تغيرت كثيرا .. كان طغيان اسماعيل قد زال ، وقام نظام الاشراف الثنائى « الانجليزى - الفرنسى » .. وزرت بعض القرى التى كان أهلها يتضورون جوعا منذ خمس سنوات ، فوجدت أنهم وان ظلوا فى فقر يرزحون تحت ضرائب عالية ، الا أن السوء كف عن الاستفحال ، فلم يعد للقنوط الذى كان يصحبه وجود !

وسميت الى الوكالة البريطانية ، فسررت أن وجدت صديقى «ماليت» يتولى منصب القنصل العام ، وقد روى لى أنباء الاصلاحات التى كان مرجوا تنفيذها ، اذ لم يكن العمل قد بدا بعد فى غير الاصلاح المالى .. ومع أن كل شئ كان يسير ببطء ، الا أنه كان يسير نحو التحسن قدما .. ولم تكن ثمة غيوم فى الافق ، الا فيما يختص بالسودان الذى كان يشغل موارد مصر المالية ، فيما يتعلق بالجيش حيث بدت أعراض التدمير ..

ورشح لى « روجرز بك » - الذى عرفته حين كان قنصلا فى دمشق والذى أصبح من رجال نظارة المالية المصرية - عالما شابا من الازهر لأتلقى على يديه المعرفة التى كنت أنشدها بتعاليم الدين الاسلامى ..

وهكذا أصبح الشيخ محمد خليل يزورنى يوميا ليلقى على دروسه ، ثم يمكث معى فترة العصر نتجاذب اطراف الحديث .. وتبينت أنه من أكثر المسلمين الذين عرفتهم اخلاصا وتحورا فى أفكاره وتحمسا للمدرسة الجديدة التى كانت قد بدأت تنتشر فى القاهرة فى ذلك الوقت بقيادة استاذة الشيخ محمد عبده .

كانت مدرسة الاجتهاد فى التفسير من أوسع المذاهب نطاقا - وراح الشيخ محمد خليل يبين لى كيف أنه يؤمن بكافة الشرائع التى تعترف بوحدانية الله .. وأن المسيحية واليهودية صورتان غير مكتملتين لدين

النبيين ابراهيم ونوح .. وان المسلم الحق لا يقر التعصب ولا الاضطهاد الدينى ، لا سيما وان الرسائل السماوية الثلاث تنبع من اصل واحد ومن ثم فخلق باتباعها ان يتعاونوا ، فى سبيل الوصول بالعالم ، الى الكمال الاجتماعى الذى يقر الاخوة والسلام بين الامم ..

جمال الدين الافغانى

واكد لى ان هذه هى الآراء التى بدأت تسود الجيل الجديد من تلاميذ الازهر ، والتى اخذت تنتشر فى العالم الاسلامى .. وكان رافع لواء حركة التحرر الاصلاحى الدينى بين علماء القاهرة رجل ، لا هو بالعربى ولا هو بالعثمانى ، وانما هو نابغة افغانى المولد ، تعلم فى « بخارى » ، وهداه تفكيره فى تلك البقعة النائية عن الاوساط الاسلامية المتحضرة ، الى الآراء المتحررة التى اقترنت باسمه .. ذلك هو الشيخ جمال الدين الافغانى ، الذى كان يدعو الى تدبر الحال التى بلغها الاسلام من تداع وانهار ، والعمل على دفع العقلية الاسلامية الى السير مع العلم الحديث بدلا من التشبث بالماضى .. وكان يرى أن القرآن والسنة لو فسرا التفسير الصحيح ، فان الشريعة الاسلامية كفاء لأن تسير كل تقدم وتطور .. ومن ثم راح يلحق تلاميذه أن المذهب السننى قادر على أن يكيف نفسه وفقا لاسمى رغبات الروح الانسانية ولحاجات الحياة الحديثة ..

وراح يكافح فى جراءة وشجاعة واصرار .. واضطر فى القسطنطينية الى أن يهاجم السلطات الدينية العليا ، وأن يغضب شيخ الاسلام الذى ما لبث أن بحث بين محاضراته عن اقوال فُرت على أنها مروق على الحكومة والدين .. ومن ثم عاد جمال الدين الى القاهرة بعد أن ترك بذور تعاليمه فى القسطنطينية تنمو وتؤلف الجانب الدينى فى الاصلاح الدستورى الذى قام هناك بعد ذلك بسنوات !

وكانت شهرة جمال الدين قد سبقته الى القاهرة ، مع أن مصر كانت فى اظلم عصور الفكر الدينى اذ ذاك - لا سيما بعد الفساد الخلقى الذى استفحل فى عهد اسماعيل - وكان النفاق قد دب بين العلماء وقضى على كل اثر للشجاعة واستقلال الراى لديهم .. ولكن تعاليم جمال الدين ، وعباراته النارية ، ما لبثت أن جمعت حوله الشباب المتحمس .. وكان من أبرز تلاميذه السابقين فى الازهر ، الشيخ محمد عبده ، الذى قدر له أن يقوم بدور كبير فى المسائل العامة فى مصر فيما بعد ، والذى يتولى الآن منصب مفتى مصر الاكبر ..

وكانت تعاليم جمال الدين قيسا من نور انبثق فشقت الظلام الفكرى والخلقى الذى ران على مصر .. ولعل نقمة القسطنطينية عليه كانت جواز مرور جعل اسماعيل يفسح له صدر مصر .. او لعله فكر فى أن يستغل تعاليمه فى صراعه ضد الفناصل الأوربيين .. ومهما يكن من أمر، فان اسماعيل تركه ينشر آراءه فى فترة حكمه .. فلم يقبض عليه الا عندما تولى توفيقى الحكم واقيمت المرافعة الثنائية الانجليزية والفرنسية .. ولئن جمل الدين كان قد ادى مهمه ، ونشر آراءه الاصلاحية المستحرة !

ولقد عثرت بين أوراقى على مذكرة باننى اقتدت الى بيت الشيخ محمد عبده لاول مرة فى ٢٨ يناير سنة ١٨٨١ .. وهو يوم من الايام البارزة فى حياتى ، اذ فيه بدأت صداقة دامت حوالى ربع القرن مع شخص من خيرة الرجال واحكمهم واهمهم .. وليس فى هذه الاوصاف شىء من المعالاة ، فقد بنيتها على دراسة لشخصيته فى ظروف متباينة ، وفى اسعب المناسبات والمحن .. فعرفته كمعلم دينى ، وكزعيم لحركة الاصلاح الاجتماعى ، وكراى مدبرة لثورة سياسية ، ثم كاسير فى ايدى اعدائه ، وكمنفى فى بلاد اجنبية ، وكمرقب تحت عين البوليس فى القاهرة بعد ذلك .. ثم كرجل اوتى من قوة الذهن والخلق ما جعله قوة فى وطنه ، وما رده مرة اخرى الى الازهر ، ثم رفعه الى منصب القضاء ، ثم انتهى به الى مركز المفتى الاكبر ..

وكان الشيخ محمد عبده حين رأته لأول مرة فى الخامسة والثلاثين .. وقد ساعد الشيخ محمد خليل - الذى كان يلم بقسط من الفرنسية - على سير الحديث بيننا .. وقد خرجت من هذا الحديث مقتنعا بما عنى الشيخ محمد عبده بتأكيد من أن ما تمس اليه حاجة المسلمين لا يقتصر على الاصلاح فحسب ، بل وعلى تفهم الدين من جديد على حقيقته .. وان الخلافة يجب أن تقوم على أسس روحية ، اذ أن آل عثمان - الذين استاثروا بها عدة قرون - لم يكونوا أهلا للزعامة الروحية للمسلمين .. كذلك خرجت مقتنعا بان الحاجة ماسة الى أسس سياسية جديدة تتمشى مع الحاجات الروحية للاسلام ..

السلطان يفتال أمير مكة !

◆ وقمت وزوجتى خلال الشتاء بزيارة جدة .. وكان السلطان عبد الحميد قد شاء أن يظهر مدى سلطته على مكة فعمد - قبل الزيارة بشهور قلائل - الى تعيين أمير جديد لها ، عرف برجعيته المتزمتة ، وآرائه المعادية للأوربيين .. وكان الشريف الاكبر السابق « الحسين بن عون »

ذا عقلية متحررة ، وقد عرف بصداقته القنصل الانجليزى - مما انتهى به الى مية شنيعة ، كان السائد - عندما زرت جدة - ار وزرها يقع على السلطان !

وعدنا بعد ذلك الى السويس فى طريقنا الى سوريا ، وفى اثناء مرورى بمصر ، تلقيت خطابين من « هاميلتون » ادركت منهما ان الحكومة الانجليزية قد شغلت عن المسائل الشرقية بالورة التى نشبت فى ايرلندا .. وان ضغط الاعضاء المحافظين فى الوزارة ، ادى بها الى الاتجاه الى نفع الوطنية والحرية فى ايرلندا بالقوة .. وان « جلادستون » اضطر الى المعنى مع هذا الاتجاه الذى كان حجر عثرة فى سياسته ، والذي ادى - كما سابين فيما بعد - الى استخدام الفصب والاكراه فى مصر ايضا ، تحت ستار « الاجراءات الوقائية » !

وصادف اثناء اقامتنا فى دمشق ، ان كانت دارنا مجاورة لدار امرأة انجليزية دائعة الصيت هى « ليدى الينورة » ، او - كما تدعى الآن - « مسز ديجبى » ، التى قامت بعدة معامرات فى الشرق والغرب ، انتهت بها الى الزواج من بدوى من شيوخ قبيلة « عنازة » يدعى « مجول » .

غدر الحكومة العثمانية بزعماء القبائل

وحدث فى تلك الاثناء حادث كان له فيما بعد معنى .. فقد حدث ونحن نجتاز الصحراء من الاسماعيلية شرقا الى دمشق ، ان بلفنا بقعة جبلية تدعى « جبل هلال » تعرفنا عندها بقبيلتى « العيايدة » و « الطياحة » .. وكاسا من القبائل المستفقه فى ذلك الحين عن الحكم العثمانى ، ولكنهما كانتا فى صراع دائم بعضهما مع بعض ، وكان القنال يشتد ويتسع حتى اصبح يشير الاضطرابات حول مشارف « غزة » .. ولكى تضع الحكومة العثمانية حدا لذلك ، دعت زعماء القبيلتين الى اجتماع للمصالح لدى متصرف غزة ، ثم غدرت بهم واعتقلتهم ليكونوا رهائن لضمان السلم على الحدود ! .. وقد سعى اقاربهم لدى كى اتدخل فى سبيل اطلاق سراحهم .. فاتجهت بمساعى الى الوالى فى دمشق ، ونصحنى « مجول » - زوج مسز ديجبى - بأن الجأ الى السيد عبد القادر الجزائرى ، الذى كان قد انصرف الى التعبد فى دمشق بعد ان فشلت ثورته فى الجزائر .. والذي كان له نفوذ قوى فى كل المسائل التى تتعلق بالعرب ..

ولكن الوالى اعتذر بأن المسألة فوق سلطته ، وبناء على نصيحته ، كتبت الى السفير الانجليزى فى القسطنطينية « جوشن » .. ولكى استحثه ، قلت: « ان حكومتنا قد تحتاج يوما الى صداقة هذه القبائل ، لتأمين قناة

السويس من أى هجوم يشن على الجانب الشرقى لها اذا قدر لانجلترا ان تكون فى حرب .. « وقد تولى اللورد « دفرن » المسألة - حين خلف « جوشن » بعد اسابيع - ووفق فى تحقيق ما رجوت .. وقد صح ما توقعته بعد ذلك - وان لم يكن فى الحدود التى رجوتها - اذ ان «جوشن» تذكر تلك العشائر عند ما تقرر ايفاد البعثة العسكرية بقيادة « ولسلى » فى صيف سنة ١٨٨٢ ، فاتصل بها مستغلا اسمى لديها ، واوفد جاسوسا للتودد الى القبائل المقيمة فى جنوب غزة واستمالتها الى التحالف مع القوات الانجليزية ضد الجيش المصرى عندما قام بحركه الوطنية !

اقرأ فى الجزء التالى فى « كتابى » القادم

- ◆ غزو فرنسا لتونس
- ◆ الحديوى توفيق يخدع دعاة الاصلاح
- ◆ الاستياء والتذمر فى الجيش - بؤادر الثورة
- ◆ عرابى ومطالبته بحقوق الفلاحين
- ◆ دسمانس توفيق واعتقال قادة حركة الجيش
- ◆ غيرة توفيق من عرابى
- ◆ بدء اتصالى بعرابى وحديثه عن برنامج الوطنى
- ◆ الصداقة الانجليزية فى مصر - غضب نواب الامة -
- ◆ انجلترا تهدد بالتدخل المسلح - جهودى فى انجلترا .. الخ

الكتاب القادم .. من

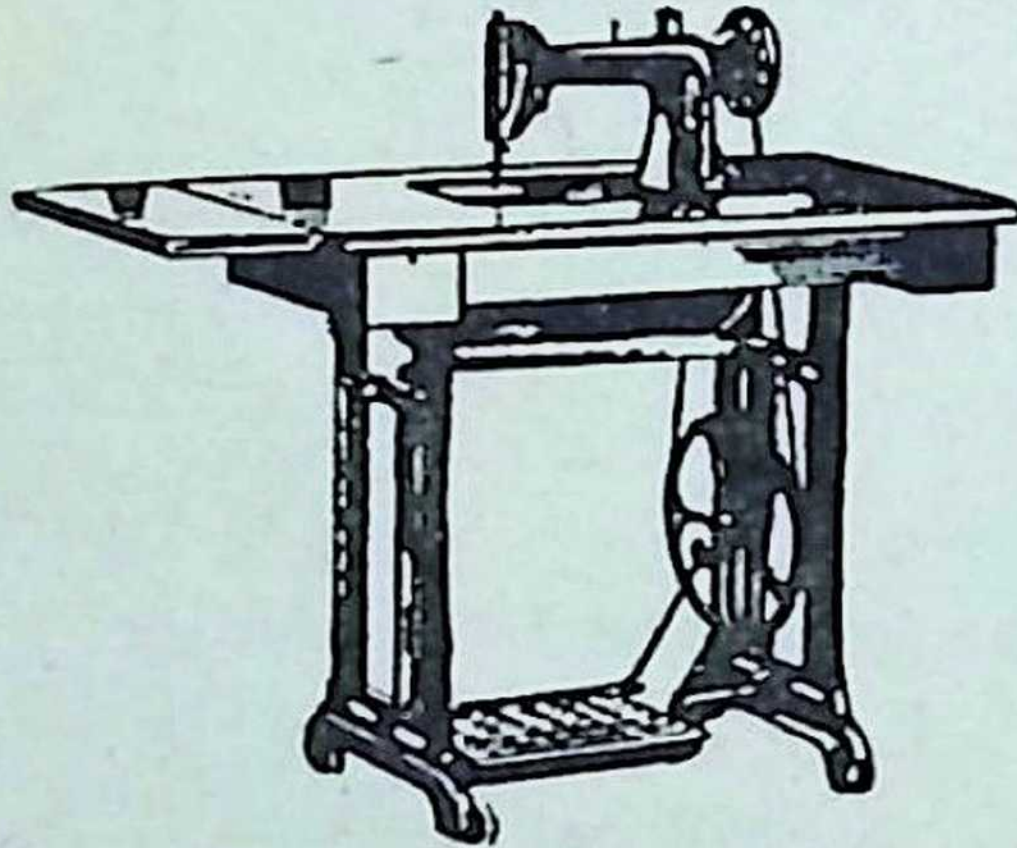
مطبوعات كتابى

ما هو ؟

من مؤلفه ؟

متى يصدر ؟

Husqvarna



ماكينات خياطة للاستعمال
المنزلي ولأعمال البرودرية

ماركة
هوسقفارنا
المختارة

المصنوعة من الصلب لسرعة القوي

اولاد رئيس نساكيان وشركاهم

١٧ ميدان العتبة (معرض هوسقفارنا)
تليفون ٤٥٣٦٢ مصر - ٣٧١٦٨

عزى القارىء . . .

قرأت معى فى الاعداد الماضية قصص :

- ♦ امور . لسيما رفايح
- ♦ قلب علراء : جون جالزورثى
- ♦ مرتفعات وذرنيج : اميل برونتى
- ♦ التلميذ : بول بورجيه
- ♦ احب نوتردام : فيكتور هوغو
- ♦ جريمة حب : بول بورجيه
- ♦ جن اير : شارلوت برونتى
- ♦ ايام بومباى الاخيرة : لتون
- ♦ مانون لسكو : الاب بريمو
- ♦ حديقه الله : روبرت هشتز
- ♦ عندما تحقد المرأة : اونيه
- ♦ آسيا : ايوان تورجنيف
- ♦ كاسر لمرلين : سنكلر لويس
- ♦ الشيطان على الارض : رسل
- ♦ رساله من مجهولة : زفايج
- ♦ الحب الاول : ترجنيف
- ♦ تاييس : اناطول فرانس
- ♦ بلاد العممان : هـ جـ ويلز
- ♦ نادى الانتحار : ستيفنسون
- ♦ كوخ العم توم : ستو
- ♦ اروج والعشيق : موم
- ♦ البهيمية : هنرى مرجيه
- ♦ فتاة لها ماض : بورجيه
- ♦ الخوف : ستيفان زفايج
- ♦ واليوم اقدم لك لأول مرة قصة
- ♦ للرواية المعاصرة « كولايت »

الحياة
قصص



روائع
القصص
العالمى



كولييت
الزوجة...
والعشيقة!
(ثييري)

الجزء الاول

- ليا .. امنحيني هذه اللآلى .. اعطينى هذه القلادة !

وانزاحت الستائر المسدلة على الفراش ، وبرزت من أطوائها ذراعان بضتان ، رائعتا الفتنة ، وانبعث صوت ناعم يقول : « **دع القلادة يا شيرى ، فقد شبعت لعبا بها** »

وتراقص شبح « شيرى » أمام الستائر القرمزية التى تراخت عليها أشعة الشمس .. ثم تبدى فى قوام ممشوق ، و«بيجامة» حريرية بيضاء .. وقال : « **انها ثقيلة .. ان الذى أهداك هذه اللآلى لم يكن خادعا مفرورا** »

ووقف أمام المرأة يتأمل صورته .. وأية صورة ! .. شاب صغير ، وافر الملاحظة والرشاقة ، لا هو بالطويل ولا هو بالقصير .. أسود الشعر ناعمه .. وفى دلال وخلاعة فك أزرار المنامة فكشف عن صدر لا ليونة فيه ، بل كان قويا بارز العظام .. وانعكست على صفحة المرأة أشعة الشمس التى كانت تسطع على الستائر القرمزية والحجرة الوردية اللون ، فأرسلت على أسنان الشاب ، وعلى بياض بشرته المحيط بعينيه السوداءوين ، واللآلى التى تدلت على صدره ، اشعاعا ورديا .. وصاحت المرأة فى اصرار : « **اخلع القلادة !** »

فهرع الى الفراش وقفز الى أحضانها ، وهو يرسل ضحكة مرحة كشفت عن أسنانه البيضاء الدقيقة .. فاستوت « ليا » فى الفراش قائلة : « **الا تستطيع أن تضحك دون أن تتجعد أنفك ؟** »

واذ ذاك أمسك عن الضحك فجأة ، واكتست أساريه رصانة .. وجلس كل منهما يرمق الآخر فى تحد .. هى مسندة وجهها الى راحتها وقد ارتكز مرفقها على فخذاها .. وهو جالس على

طرف السرير .. وراح كلاهما يفكر .. كان هو يسائل نفسه :
« ماذا ؟ .. ان التجمعات آخر شيء يحق لها أن يذكره ! » ..
وكانت تسائل نفسها : « لماذا يبدو قبيحا اذا ضحك ، مع
انه يعتبر أروع صورة لجمال الرجال ؟ »

وقالت أخيرا : « أنت تعرف انك تبدو بشعا في ابتهاجك ،
فلست تضحك الا لشر أو سخرية ! » .. وعقد الغضب
حاجبيه ، وأذكى جذوتي عينيه ، فأخذتا تومضان في مجون
وقحة ، وقد أحاطت بهما أهداب مرهفة كسهام مسددة ،
وانفرجت شفتاه عن قوس بديع .. وابتسمت « ليا » اذ رآته
كما تحب أن تراه : متمردا ، ولكنه سهل الارضاء .. طليقا من
كل قيد ، ومع ذلك فهو عاجز عن التحرر .. ووضعت يدها على
رأسه ، فألقى بنفسه على صدرها ، وراح جبينه وأنفه يبحثان
عن مقرهما المألوف .. وأغمض عينيه موشكا على النعاس ،
فدفعته « ليا » عنها قائلة : « شيرى .. لسوف تتناول الغداء
عند أمك ، وقد أشرفت الساعة على الثانية عشرة .. أما أنا ،
فقد أعفيت من هذا .. وسأذهب لتناول القهوة معها في منتصف
الثالثة .. أو الشاي في السادسة »

واستوى واقفا وقد تبدى عابسا ، يشوب عبوسه مكر
ودهاء ، وقال : « أعرف السبب .. سنقابل لديها بعض على
القوم .. سنرى ماري لور الفاتنة ، وابنتها الشبيهة بالبرص ! »
فاتسعت حدقتها الزرقاوان دهشة وهتفت : « لعمرى ..
انها لفاتنة ، وان كانت أقل من أمها سحرا »
وقفز في الهواء ، ثم جرى وغاب بين الستائر المفضية الى
الحمام ..

♦ كانت ليونى فالون - التى اشتهرت بليا دولونغال - فى
التاسعة والاربعين ، تنعم بحياة ناعمة كغانية ثرية جنبها القدر
ما تلقاه مثيلاتها فى أخريات أعمارهن .. وكانت قد اجتازت

الشباب ثم مرحلة النضوج ، وفرسان الهوى يتبارون لغزو قلبها ، دون أن تلحق باسمها أتفه فضيحة ! .. وكانت الشابات اللاتي يصغرنها يحسدن قوامها السمهرى ، ويغبطنها لاستئثارها بشيرى .. والواقع أنها كانت مزهوة بهذه العلاقة التي كانت تصفها بأنها « أمومة » ، لعجزها عن الاعتراف بحقيقة ما كان بينهما !

وراحت تفكر فيما علمته من سعى والدتها فتاها كي تزوجه من ابنة ماري لور ، فحدثت نفسها : « ولكن .. كيف يسمح لشييرى بالزواج ؟ .. هذا أمر غير محتمل .. عمل غير .. انساني ! .. ان اسلام فتاة صغيرة الى شييرى ، أشبه ، بالقاء ظبية الى كلاب الصيد الضارية .. فالناس لا يعرفون حقيقة شييرى ! » واعتصرت العقد النؤلوى بين أصابعها .. كانت قد باتت لا تخلعه الا فى الليل ، خشية أن يلاحظ شييرى أن عنقها قد ازداد تضخما ، فبدأ يفقد لونه الناصع ، وأخذ جلده يكشف عن أعصاب متراخية تحته !

وأحاطت عنقها بالقلادة ، وأخذت تتأمل شكلها فى مرآة .. ثم هزت كتفيها .. انها لم تعد تحب لنفسها البشرة الناصعة والملامح التي تطفر صحة ، والوجه المتورد .. بل ان خير ما أصبح يلائمها الآن ، بشرة لوحتها الشمس قليلا ، وابتسامة يصاحبها وميض من عينيها وغمزة خفيفة ، فى تباطؤ مثير .. ابتسامة طالما تغنى بها العشاق ، والتمطت لها الصور مئات المرات .. ابتسامة عميقة ، عميقة ، فيها اعتداد لا يتولاه الفتور ..

أما جسدها ، فان « كل امرئ يعرف » - كما تقول لها - « ان الجسد الطيب يبقى طويلا » .. ومن ثم فهي لا تزال تعرض للانظار جسدا رائعا ، ذا بياض مشوب بلون الورد ، وأطراف ممدودة ، وظهور ناعم ، وردفين رجراجين ، وشد يمين



بارزين .. جسد كأجساد آلهة
الماء الايطالية .. « يدوم » - كما
تقول ليا - « الى ما بعد زواج
شيرى » !

ودهضمت فالتفت فى رداء ،
وأزاحت الستائر ، فإلى شمس
الطهيرة تلج الفرفة الوردية
المرحة ، التى ازدانت بترف لم يعد
مألوفاً .. وابنسمت « ليا » وهى
تطلق خصمات شعرها لتنساب
على كتفيها .. واسرعت تنثر
المساحيق على وجهها ، اذ سمعت

مؤلفة القصة : « كوليت »

صوت باب يصططق .. ونفذ شيرى الى الفرفة - وما زالت
على أذنيه « البودرة » التى رطب بها لحيته بعد حلاقتها -
متسائلاً عن « دبوس » ربطة عنقه ، وعن حذائيه ، فقالت فى
دلال : « لن أزينك بمكانها ! » .. فصاح صاخبا :

- ان اليوم الذى تحبنى فيه امرأة لذكائى لهو آخر أيامى ..
لقد سئمت هذه المعاملة ، فليس من أحد يعنى بأمرى ..
- اذن ، فلم لا تهجر البيت ؟

ولم يقو على الصمود لنظرة « ليا » ، فغض بصره كالتلميذ
الخجول ، وتمتم وهو يهز رأسه كالحمل الصغير .. واذا ذاك
تناولت ياقة القميص وثبتتها حول عنقه ، وعقدت له الربطة ..
فلم يقاوم ، ولا احتج ، وانما استشعر لذة ونعومة استلانت
لهما عواطفه ، فأغمض عينيه ، وتمتم يدللها بالاسم الذى اعتاد
أن يناديها به فى طفولته : « نونون .. يا حسيتى » ! ..
وعجزت عن أن تقاوم سحر فمه ، ودفء شفقه وأنفاسه التى
كانت تلامح وجهها .. وفتح شيرى عينيه ، وانفرحت شفاته ،
وبسط ذراعيه .. ولكنها راغت منه واستحثته على الانصراف !

الجزء الثانى

♦ أما وقد غاب شيرى عن بصر ليا ، فقد دب فيها نشاط ، وارتياح . ففى أقل من ساعة اغتسلت ومسحت بشرتها بالكحول ، وتعطرت بزيت خشب الصندل ، وصفت شعرها ، وارتدت ثيابها وحذاءها .. وبينما كانت تكوى شعرها ، راحت تصدر أوامرها للخدم ، وتناقش رئيسهم الحساب ، وعيناها ترمقان كل شىء دون أن يفمرهما مظهر .. وتناولت غذاءها وحيدة ..

واذ نهضت عن المائدة بقامتها الهيفاء ، تبدت ساقاها تحت الثوب الذى النصق بفخذيها .. ولم تفتها النظرة التى لمعت فى عيني الساقى ، والتى كانت تتحدث فى صمت : « ان السيدة امرأة جميلة بكل تأكيد ! » .. ولم تستأ لهذه النظرة ...

وفكرت وهى تصعد السلم الى مخدعها : جميلة ؟ .. انها لم تعد كذلك .. بل ان عليها الآن ان تحتاط لتستبقى لنفسها لمحة من الجمال ! واذا انتهت من تناول القهوة فى مخدعها ، هبطت الى حيث كانت سيارتها فى انتظارها .. وبوجه تجلت عليه امارات التحفز - وكأنها ذاهبة الى معركة - قالت للسائق : « الى منزل مدام بيلو » .. (والددة شيرى !)

♦ ولقيل ان تبارح سيارتها ، نثرت مزيدا من « البودرة » على خديها ، وارخت نقابا أزرق خفيفا ، بدا وجهها خلفه كما لو كان وراء سحابة رقيقة من الدخان تتصاعد من اناء البخور فى معبد قديم ! وكان القوم فى البهو ، ولكنها آثرت ان تقوم بجولة خلال الحديقة التى كانت من أجمل الحدائق المنزلية ، كما كانت « الفيللا » قصرا من ابداع قصور ضواحي باريس .. وكانت تسمع وهى سائرة فى ظلال الاشجار صوت « مدام بيلو » الحاد ، يكاد يصم الاذان .. وضحكات شيرى الجافة التى كانت تترنى لها .. ثم توقفت لحظة لانصت الى صوت نسائى آخر ، واهن ولكنه عذب ، أدركت انه صوت الفتاة الشابة ، فاوسعت الخطى حتى بلغت مدخل بهو ذى واجهة زجاجية .. وهناك استقبلها صوت مدام بيلو : « ها هى ذى صديقتنا الجميلة ! »

كانت مدام بيلو تشبه « البرميل » .. عملت فيما بين العاشرة والسادسة عشرة من عمرها راقصة .. ولكن « ليا » لم تعد تجد فى صديقتها

الحالية العجوز ، شيئا من جمال تلك الفتاة الراقصة الشقراء ..
وتقدم « شيرى » فقبل يد « ليا » ، ثم علق على نقابها بملاحظة أغاظتها ..
ونبهت سيدتان كانتا تجلسان الى شيرى وامه ، فبسطت احدهما لها
يدا متراخية ، بينما تأملتها « ليا » ثم صاحت : « يا للسماء .. ما أجملك
يا مارى لور ! »

فاغتصبت هذه ابتسامة ، وأشارت الى الفتاة التى بجوارها فى شيء
من الاستفزاز وقالت : « ألا تعرفين ابنتى .. ادميه ؟ »
وتناولت الفتاة يد « ليا » فى تردد بينما قالت هذه : « كان يجب أن
أعرفك يا صغيرتى ، لولا أن بنات المدارس يتغيرن بسرعة .. وان كانت مارى
لور لا تتغير الا لتزداد فتنة .. هل اتممت دراستك ؟ » .. فصاحت مدام
بيلو : « هذا ما أرجوه حقا .. ما أظنك تتوقعين أن تظل مثل هذه الفتنة
وهذا السحر مستترين وراء جدران المدرسة ، لا سيما اذا كانت صاحبتهما
تجتاز الربيع التاسع عشر من عمرها .. بل الثامن عشر .. ألا تذكرين
يا « ليا » أننا راينا الطفلة للمرة الاولى فى السنة التى هرب فيها شيرى من
مدرسته ؟ »

فتبادلت « ليا » مع « مارى لور » هزة رأس ، كما يفعل الغريم حين يقر
لخصمه باصاغة فى المباراة .. وخيل لليا وهى تتأمل الفتاة انها صورة من
أمها ، مع شيء من الصقل والتهذيب .. شعر أصفر خفيف ، وعينان تنمان
عن سر تكتمه صاحبتهما وهى به مشغولة ! .. ونقلت « مدام بيلو » نظرها
بين « ليا » والفتاة فى ابتسامة أموية حانية ، ثم قالت للاولى مشيرة نحو
شيرى : « كان يسرك أن ترى كيف ائتلف الشبان فى الحديقة منذ برهة »
وكان شيرى اذ ذاك يقف امام الواجهة الزجاجية وهو يحاول أن يثبت
« مبسم » سيجارته بين أسنانه ، وقد طوح برأسه الى الوراء ، واطبق أهدابه
على عينيه نصف انطباق .. واذا تطأعت اليه النسوة لم يفت « ليا » أن تلمح
فى عيني الفتاة نظرة الخوف من الهزيمة ، فلذ لها أن تراها وهى ترتجف
اذا ما مست ذراعها ، كما يفعل كل شخص يفاجأ وهو يختلس النظر الى شيء
محرم ! .. وفعل ارتجفت الفتاة وسحبت ذراعها ، ثم تهتمت فى صوت
أجش خافت : « ماذا ؟ » .. فاعتذرت « ليا » بأن قفازيها وقعا على الارض ..
وقالت « ليا » عقب انصراف الفتاة وأمها : « ألا ترين ان مارى لور لا
تزال جميلة ؟ .. صورة حية للشباب ! » .. فصاحت مدام بيلو بصوتها
الرفيع الحاد : « صورة للشباب ؟ .. عفوا ! .. لقد أنجبت ادميه سنة ١٨٩٥
.. لا بل سنة ٩٤ ، عندما تخلت عن عشيقها المصرى خليل بك ، لتفر مع
مدرس للفناء ! »

فرفعت ليا يدها الى اذنها .. وقال شيرى فى تأنيب لاذع : « عسير علينا ان نقضى الاصيل مرة دون ان نضيق بصوت امى الحاد » .. فحدثته هذه بنظرة مفضية ، ثم سادهم صمت ، كان كل منهم مرتاحا اليه .. وتطلعت « ليا » بعد قليل الى « شيرى » ، فاذا به قد اغفى ، واستلعت اهدابه على خديه الناصعين ، وانطبقت شفتاه فرسمتا قوس كيوبيد .. وفى تراج ، التقطت من بين اصابعه لفافة ، نام وهى مشتعلة .. وبدت يده بعيدة الشبه بأيدي النساء ، ولكنها اكثر نعومة مما يليق بالرجل .. ومع ذلك فقد ودت لو تقبلها ، لا ذلة ، وانما لتنتشى بلادة خفية كانت تسشعرها فى تقبيلها ! ورمقت مدام بيلو بنظرة ، فاذا هى تملأ قدحها كلما فرغ .. وودت لو ان الام نامت كما نام ابنها ، لتخلو هى الى افكارها ..



◆ كانت كل منهما قد عرفت الاخرى منذ خمس وعشرين سنة ، اذ ربطت بينهما مودة من ذلك النوع الذى ينشأ بين اولئك النسوة اللائى يصبن الرءاء من رجل ، ثم يأتى رجل آخر فيفقرعن ويهدم حياتهن ! .. كانت علاقتهما نوعا من العطف الذى يجمع بين المتنافسين عندما يلحق بكل منهما نكد الطالع .. وكان نكد الطالع يوم بدت فى مفروق احدهما شعرة بيضاء ، وفى عنق الاخرى ثنية مجعدة ! .. ولكن صلة اخرى لم تلبث ان عززت دعائم ارتباطهما . تلك هى .. شيرى !

وان ليا لندكر شيرى طفلا مدللا ذا شعر انسابت جدائله حتى منتصف ساقيه .. وكان الطفل فى كل مرحلة من مراحل نموه يجد من تهيم به ، مبتدئا من خادومات الحجرات والوصيفات .. وهكذا نشأ طليقا ، لا رقيب عليه ، فعرف كل ملاذ الطاولة المنقبة ، وشهد مبادل الخدم ، وفصائح المطابخ .. وفى الرابعة عشرة ، الحقته امه بمدرسة داخلية ، ولكنه لم يكن يؤمن بجدوى المدارس ، فهرب منها ! .. ولم تحاول امه ان تؤنبه ، بل انها لم تقو على رؤيته باكيا ، فخلفت المدينة فى صحبة شاب ماجن خليع ، لتعود بعد عامين ، وحيدة ، وقد نفقت يديها من آخر مغامراتها الفرامية .. ونحل عود شيرى ، اذ كان جد مسرع فى نموه ، وقد غارت عيناه واحاطت بهما دوائر داكنة ، وساء لسانه فلم يعد ينطق بغير فحش القول ، واستطاب حياة الكسل والبطالة والمتعة .. وما اجتاز عامه السابع عشر حتى اصبح يبدو كصورة مصفرة لكهل من الوارثين المرفقين فى اللهو والعبث .. بيد انه ظل محتفظا برشاقتة وملاحته .. وكانت امه تخشى ان تحاسبه على تبدله كى لا تستثير غضبه .. اما ليا فلم تكن تحفل بهذا المصعب الصبيانى المدلل ، بل كانت تلاحقه بالحساب .. اذ كانت تقضى معظم وقتها مع امه ، كمادة الغانيات فى اواخر اعمارهن ، حين تلوذ الواحدة منهن بالآخرى ، لا

عن حب ، وانما لترمق كل منهما الاخرى فى شىء من الحسد والريب ..
وذات يوم ، ذكرت «ليا» انها ذاهبة فى العد الى « نورماندى » ، فهتف
شيرى : « مع من ؟ .. مع صديقنا الطبيب ؟ »
- يالك من متأخر .. لقد هجرته منذ شهرين ، فرحل الى روسيا .. لا ،
بل انى ذاهبة وحدى .. وسأصحبك ان شئت .. لن يكون هناك سوى
الاكل والشرب والنوم ..

وكان الحديث يفيض مدام بيلو ، فلما عجزت عن تسفيهه غادرت المجلس ،
فتبادلت ليا وشيرى نظرة مأكرة ، ثم انفجرا ضاحكين ..
وقالت ليا وهى تميل نحوه : « اذك تهدم نفسك » .. فصاح فى مجونه :
« اوه ! .. انى ما زلت نافعا »

- ربما كنت نافعا لغيرى .. ولكنك لا تصلح لى انا ، مثلا .. لم لا تاتى
الى الريف ؟ .. حيث الكريز الناضج ، والفطائر الطازجة ، والزبد والدجاج
الشهى .. وحيث لن تنفلد الى حياتك نساء ؟!
فأسند رأسه الى كتفها وأغمض عينيه قائلا : « لا نساء .. بديع جدا ..
ستكونين خير صديقة لى .. نساء ! .. لقد سئمتن .. »

وكان صوته ناعسا ، ولكنه حار .. وراحت أصابعه تعبت بحبات قلاذتها
الؤؤوية .. وضمته اليها كما اعتادت - مذ عرفته طفلا - فبدأ يستسلم
للنعاس ، وهى تتأمل أهدابه الجميلة تستلقى على وجنتيه الذابلتين ..
وسألها ان تقبله ، فطبعت قبلة على جبينه ، واذا ذاك طوق عنقها بذراعيه
واجتذبا اليه .. وتهاست شفاهما ، فجمدت ليا وأمسكت بانفاسها ،
ثم أفلتته واستوت قائمة تسوى شعرها وقد شحبت وجهها ، وتالقت عيناها ،
وقالت فى صوت مرتعش : « كانت هذه براءة منك ! »
فقال فى غير اكتراث : « لقد عرفت أمرا كنت أسمى لمعرفته »

وتضرج وجهها ، وداخلها شعور بالامانة دفعها الى ان تقول فى تحد ووخز :
« ماذا عرفت ؟ .. ان فمك لى ؟ .. لقد قبلت أقبح منه باطفى المسكين
.. اظننتنى سأترامى على قدميك وأسالك ان تتخذنى خلية ؟ .. ان مثلك
لا يجدر ان يتعرف بغير اليافعات .. »

وراح كل ينظر الى صاحبه ، كغريمين يقيس كل منهما قوة الآخر ..
وراحت « ليا » تقاوم شبابيه الذى كان يناديها فى اغواء ، فاوغلت فى
السخرية .. ثم هدأت انفعالاتها .. واستهوتها رائحة زهر « الفتنة »
فسارا الى الحديقة ، وفى نفس ليا خوف من أن تتداعى ثانية ، وتشف عن
الرغبة التى تمردت فى أعماقها .. ومع ذلك فانها لم تلبث ان تداعت فعلا ،
ولبت النداء .. وراحت تقبله فى زهم أنانى وقد فاضت عواطفها وكأنها تنتقم

لحرمانها السنين الماضية من هذا الشباب الفضى ! .. واثملتهما القبلات
فنسيا العالم ، وراحا يترنحان .. ثم تماكنت ليا نفسها ، وهمست فى
استفزاز : « هه .. وبعد ؟ »

وتوقعت أن يهينها بكلماته الجارحة ، لكنه بسط ذراعيه .. ومن بين
أهدابه الناعمة انحدرت دمعتان ، وهو يهزج بأغاريد الهوى ، ويدللها بأعذب
الاسماء .. لقد اعتادت كلما ذكرت صيفها الاول معه فى نورماندى أن تقول :
« لقد لقيت من الشباب المدلل من كانوا أكثر متعة وذكاء من شيرى ، ومع
ذلك فأننى لم أحظ بعاشق مثله » ! .. وداخلتها مشاعر غريبة أذهلتها ..
وراحت تحنو عليه فى الريف الجميل وتغذوه وتطرد النحول والشحوب
عنه بأشهى الاغذية الدسمة .. واستدعت صديقا كان ملاكما رشيقا ، فراح
يدربه فى صبر وأناة ، فاذا الفتى ينمو ويتطور ، واذا جسده ينم عن بنيان
بديع ، رشيق ..

وكانت سعيدة به وبتطوره .. سعادة انبعثت عن شعور « أموى » راح
يتدفق على قلبها فيغسل عنه كل عاطفة أخرى .. فكانت تربت جسم
الشاب الذى يدين لها بما أصاب من تقوية وتجديد ، كمربية تهنا بالاطمئنان
على طفلها .. وكان المدرب يسأله أحيانا : « أية غبطة تجدها فى أن
تكون مدلا ؟ » ، فيرميه بنظرة « عدائية » قبل أن يجيب : « ان هذا يسرى
عنى .. لن يقدر لك أن تدرك يوما هذا النوع من السعادة أو تفهمه ! »

والواقع ان ليا نفسها لم تستطع أن تفهمه ، ولا أن تفهم شيرى .. ولا أن
تفهم حقيقة شعورها نحوه .. وكانت كلما اعتزمت الرحيل ، عادت فارجاته ..
فى أمل وارتقاب .. كانت تنتظر من عشيقها الشاب ثقة ، واعترافا ،
واستسلاما .. كانت تنتظر تلك الساعات التى تقبع فى أواخر الليل ، حين
تطفئ عواطف الشباب فتبعث الدموع الى عيني الرجل وهو ملق رأسه على
صدرها .. ولاول مرة طال انتظارها عبثا ، فان هذا الشاب المدلل كان يفوت
عليها هذه المتعة ! .. كان اذا أوى الى المضجع تراءى غامضا ، مبهما ..
وتولاه ملل يخالط الوجد المتكلف الذى كان يحتضنها به .. وكان حنانه
يتراجع أمام نزوات من القسوة وتعمد اخفاء حقيقة نفسه .. والضمن باعترافه
.. الاعتراف الذى طالما تلقته من خلانها فى سويغات الفجر الحاملة !

وعندما أوشك سبتمبر على الاحتضار ، عادا الى باريس ..
واوت الى دارها وحيدة ، وتركته يسعى الى أمه .. وخيل اليها ان البيت
موحش .. والحياة خواء .. ولكنها لم تلبث فى الليلة التالية ان فوجئت به
يقتحم مخدعها .. وندت منها صيحة مفعمة بالعواطف .. وجرى نحوها ..
وبعد لحظات ، كان شيرى مستلقيا الى جوارها ، يصطنع النوم والتعب ، ملتفا

فى أردان الصمت .. ولكنها كانت تنصت وهى مضطجعة الى جواره ، الى ثورة تبدى فى تهدجات صدره ، والى شجون تنبعث مع أنفاسه .. والى اعترافه الصامت بجميلها .. وبعبه لها !



♦ وكان نبأ اعتزامه الزواج مفاجأة حاولت ان تنكر قسوتها .. كان ذلك فى أغسطس بعد أعوام خمسة .. وكان المطر غزيرا ، والغيوم تحيل النهار ليلا .. وتنهدت فى أسى ، فسألها : « ماذا بك ؟ » .. فأجابته : « لا شيء .. » .. انما أكره المطر » .. فقال فى تخايب : « آه .. ظننت .. انك تحسبن بتعاسة » .. فتضاحكت قائلة : « أأستشعر تعاسة لانك ستتزوج ؟ .. لا .. لا .. انك سخيـف .. »

وحاولت ان تنزع نفسها من فيض ذكريات السنوات الخمس لتبدى له ابتهاجها بأن تلقى عبء ترويضه على سواها ، فقال :

— لن يكون لها من الامر شيء .. ساتزوجها .. وسيكون اقصى ما لها ان تسجد عند قدمى لترفع صلواتها الى ..
قالت تحاول التظاهر بعدم الاكتراث : « ولماذا اخترت هذه الفتاة الصغيرة ؟ »

— كان لا بد من هذا مهما طال الاجل .. ثم ان هناك فوائد جمة .. فللفتاة ثروة طائلة !

وقفز ضاحكا ، ثم استلقى عند قدميها ، وتطلع اليها بعينه الفاتنتين .. فسأله وهى تتحسس قسماته الساحرة :

— ولكن .. ما شعور الفتاة نحوك ؟ .. وما شعورك ؟
— انها تحببني .. تعبدني .. ولكنها لا تبوح بشيء .. اما انا ، فلا احس بشيء البتة .. ولكن ، يخيل الى انك تفكرين فى كل شيء عدا دورك أنت فى هذه الرواية ؟

فنظرت اليه مبهوتة ، ثم ارتسمت على شفتيها الابتسامة الخلافة ، فمضى فى حديثه وفى لهجته الم : « اجل .. انك الضحية ياليا .. انك اهل للعطف ، اذ سأهجررك ! »

فأخلدت الى الصمت برهة ، ثم قالت فى شيء من الوجوم :
— ماذا تتوقع ؟ .. ان آوى الى الريف أخفى أساى ؟ .. ان أصاب بالهزال ؟ .. ان أكف عن صبغة شعرى ؟ .. ان أدعو أمك لتعنى بى بينما لازم فراشى مريضة الهم ؟ .. لشد ما أنت واهم اذ تتوقع هذا لحرمانى من عاشق تافه .. مدلل .. لم يصلح يوما لارضائى .. ان من عادتي ان أغير مشائى من آن الى آخر !



❖ وغرقا فى أمواج من المرح خلال الاسابيع التالية .. كان اعلان خطوبته يضطره الى البعد عنها بضع ساعات كل يوم ، بينما حرصت أمه على أن تبقىها بعيدة عن دارها .. فكان اذا عاد اليها مضى يروى لها ما حدث فى بيت أمه .. ويحشو حديثه بالسخرية من أمه ، فتظل « ليا » تضحك حتى تنساب دموعها ..

وسأله أخيرا : « متى يحين زواجك ؟ » .. فلما قال انه بعد أسبوع من يوم الاثنين ، وراح يحدثها عن رحلة شهر العسل ، قالت فى احتجاج : « والفتاة ؟ .. انك تغفلها فى حديثك »

فاجاب : « والفتاة طبعاً .. وان لم تكن لها أهمية كبرى .. أما أنت فستظلم ذات قيمة عظمى فى حياتى الى الابد .. طالما أسعدتنى » وضحك فى خبث .. ولم تنبس ببنت شفة ، جاهدة أن تكتم الزهو الذى تملكها ، وان تمسك لسانها عن أن ينطلق صائحا : « سل ما شئت .. طوى عنقى بذراعيك ، فقد أسعدتنى ردحا »



❖ بدأ على مدام بيلو أنها قضت وقتا طويلا فى التأنق ، قبل مقدم « ليا » لزيارتها فى أصيل يوم أحد بعد سفر شيرى وعروسه لقضاء شهر العسل .. وكان الجو قيظا رغم أن باريس كانت فى أحضان شهر أكتوبر .. وكانت مدام بيلو وضيقاتها يتحدث عن جو ايطاليا وعن العروسين .. واحسب « ليا » بغيظ .. وودت لو أخلدن الى السكينة .. وسألتها مدام بيلو عما بها ، ففطنت الى أن النسوة يرقبنها ، يحاولن أن يستشففن ما وراء مظهرها ، فبادرت ترسم على أساريرها امارات الهناء ، وقالت : « لقد أفرطت فى الغداء .. ولكننى سأبدأ من غدى نظاما خاصا لاحفظ على جسمى رشاقته »

فقلت مدام بيلو : « ألا تكفى احزان قلبك لتجملك نحيلة ؟ » وتضاحكت الموجودات ، فنهضت « ليا » بقامتها الهيفاء ، مزهوة بأنا تمثل الشباب بين هذه البقايا المحطمة من النساء ، وصاحت مبتهمة : « أوه .. لا .. اذا كانت القلوب الكسرة تخفف السمّة ، فمن لى بهشة منها ؟ » وتنادت الى الحديقة ، فتهاكت على مقعد دافئ ، وأغمضت عينيها مسلما كتفها لاشعة الشمس تاشمها .. وعندما فتحت عينيها ، التفتت فى لفة نحو البهو ، وكانت كانت ترجو أن ترى شيرى واقفا لدى الباب .. فلما فطنت الى الامل الخادع ساءلت نفسها : « ماذا دهانى ؟ »

وعندما بلغت دارها فى المساء ، أسرع الى فراشها وحى ترتجف ، رغم أن الأمهات كانت موفدة ، وأمرت وصيفتها بأن يحيط جسمها بزجاجات الماء

الساخن ! .. حتى اذا خف ارتفاشها ، ودبت الراحة فى اوصالها ، ساءلت نفسها : « ما الذى اصابنى ؟ » .. وعاودتها لوعة الهم وقد تراءى لها باب البهو الزجاجى فى بيت مدام بيلو خلوا من شبح شيرى .. ومنظر العجائز اللاتى كن هناك .. ترى اى هاته المكتهلات ستكون هى بعد عشر سنوات ؟

وراحت تهيم متخبطة بين احداث الماضى وذكرياته ، واحست بوحدة موحشة .. فاشتد ارتجافها ، ولم تعد تستطيع ان تخدع نفسها ، فهتفت فى لوعة وحنين : « شيرى ! » .. ثم انهمرت دموعها .. وعندما استعادت سيطرتها على عواطفها بعد هنيهة ، بادرت تجفف عينيها فى حزم .. لقد فهمت سر حالها .. لم تكن مريضة ، وانما كانت تعاني أزمة عاطفية نفسية يجب ان تحول دون تكرارها .. يجب ان تحتاط من العدو الذى لم يكن لها عهد به قبل اليوم .. من الاحزان والاشجان !

وغادرت فراشها ، فالتفت فى رداء حريرى ، وجلست بجانب المدفأة .. وما لبثت ان نهضت ففتحت النافذة وأطلت منها تصفى الى صوت لم تدر كنهه .. واقبلت ريح ندية تدفع امامها بعض السحب .. وعادت تغلق النافذة ، وتتناول احدى الصحف ، فاذا تاريخها « ٢٦ اكتوبر » .. اذن فقد مضى شهر منذ زواج شيرى .. اجل ، زواج شيرى ! ولكنها لم تكن تفترف قط بانه زواج « ادميه » ايضا .. بل انها لم تعتبر الفناة يوما زوجة من الاحياء .. حتى لقد تلاشت ملامحها من ذاكرتها ! .. وتمتمت تحدث نفسها : « كل منهما فى احضان صاحبه فى ايطاليا فى هذه اللحظة التى تفارقنى فيها الراحة والهدوء .. ومع ذلك ، فماذا يعينى ؟ » .. ولكنها رغم ذلك ظلت نهب القلق والاسى ..

وفى خلال الايام الخمسة التالية ، انهمكت فى اعداد العدة للرحيل الى جنوب فرنسا .. وتركت لمدام بيلو هذه الرسالة : « لا يسوءك رحيلى دون وداع ، ودون افشاء بسرى الصغير المكتوم .. اثنى أحاول العودة ثانية الى مغامرات الحب الحمقاء .. ان الحياة قصيرة فلنجعلها مريحة عابثة .. اذكرينى للفتى عند عودته ، ولا تجشمنى نفسك عناء سؤال خدمنى ، فلن يعرف احد وجهتى ! »



♦ راحت مدام بيلو تتأمل ابنها بعين فاحصة مدققة ، بعد ان فرغا من اول افطار تناوله الشاب المدلل فى بيت امه عقب عودته من رحلة شهر العسل .. وكان « شيرى » يبدو اكثر جاذبية وفتنة من ذى قبل .. وقد انصرف من حديث امه ، وانكا على حافة النافذة مسرحا بصره فى الحديقة ..

وفجأة ، التفت نحوها قائلاً : « هل كان الخطاب الذى أريتنيه - خطاب ليا - يحمل تاريخاً ؟ »

- كلا يا عزيزى .. ولكننى اذكر اننى تسلمته فى الليلة السابقة لآخر يوم أحد قضيته هنا فى أكتوبر الماضى قبل رحلتى .. ولقد سمعت بعض أقاويل .. يلوح انها رحلت مع شاب صغير ، ليس بالجميل ، ولكنه أنيق .. وراح الابن يجوس خلال البيت وكأنه يشاهد حجراته للمرة الاولى ، الى أن بلغ حجرة فى الطابق العلوى كانت مخدعه قبل حياته مع « ليا » .. وفتح الباب دون استئذان ، فانبعثت صيحة خافتة من الفراش القائم فى ركن الحجرة ، حيث كانت « ادميه » جالسة .. ووقف شيرى يتأمل زوجته الشابة ، وكأنه يراها لأول مرة . كان شعرها متهدلاً فى فوضى رشيقة ، بينما بدت وجنتاها شاحبتين لفرط التعب الذى لقيته فى رحلتها .. كانت تلوح كصورة جديدة لم يفرغ الرسام منها بعد ..

وتقدم شيرى فجلس الى جوارها واحتضنها .. فاستلقت الى الخلف وجذبتة اليها .. واعتمد جسده على مرفقيه ومضى يتأمل هذه المخلوقة التى لا تزال فى جدتها ونضارتها .. ثم سحب ذراعيه فجأة من حولها ، فهوت على الفراش ، وتناول مرآة راح يحدق فيها ، ثم هتف : « اتعرفين اننى تجاوزت الخامسة والعشرين ، فى حين انك فى التاسعة عشرة .. بل لم تبليها .. انك اصغر منى سناً .. ما اغرب ذلك ! »

واستسلم لتفكير عميق وقد اومض فى عينيه بصيص من الخوف .. خوف من ذكرى بدأت تعيد الماضى الى ذهنه .. ثم نهض فألقى بجسمه على الفراش الى جوار ادميه ، واسند رأسه الى كتفها البضة اللينة ، فتلقته الشابة منصاعة باسطة ذراعيها .. واغمض عينيه لا يحير حراكا .. وبقيت هى يقظى متأهبة لاي نداء ، وان بدا لها انه قد استغرق فى النعاس .. هكذا كان دائماً معها ! .. وهكذا تعودت ان تقضى الليل الى جواره مؤرقة ، مسهدة ، فى هذه الحجرة الضيقة التى اضطرت الى أن تقيم فيها مع زوجها ريثما يتم بناء البيت الذى أمر شيرى بأن يقام لهما .. وكانت الشابة تعاني ارهاقا شديدا فى تشبثها بالاستكانة وتغادى الشراك التى كانت مدام بيلو تحاول ان توقعها فيها لتعكر عليها هناءها ..

وحدث اذ كان افراد الاسرة يجلسون الى العشاء ذات مساء ، ان تعمدت مدام بيلو ذكر اسم « ليا » ثلاث مرات بدلا من « ادميه » ، اثناء الحديث ، فقطب شيرى جبينه وصاح : « يظهر ان ذاكرتك قد بدأت تضعف بامدام بيلو ، فهل ترين ان الوحدة تشفيك من هذا الداء ؟ »

وسكنت الأم على مضض ازاء هذا الانذار بالهجران .. وساد المكان صمت واجم ، بعث فى نفس « ادميه » خوفا لاحظته « شيرى » ، فلم يكذب يخلو اليها ، حتى سالها : « أخائفة أنت من أمى ؟ » .. فابتسمت ابتسامة شاحبة ، وقالت : « كلا .. ان اصطفاق الباب فجأة قد يدفع المرء الى ان يقفز من مكانه ، ولكنه لا يخيفه .. انما أخشى الافاعى التى تخفى بين الاعشاب ! »

فطوقها بذراعيه قائلا : « كلانا يتيم فقد أباه .. واصطلى بنار أمه .. أليس كذلك ؟ » .. فتعلقت بدورها بعنقه ، وكانت الامسية قارسة البرد ، ولكن « ادميه » أحست فى أحضان زوجها دفئا وحمى وملادا ! .. استشعرت طمانينة بين ذراعى هذا المجهول ، الذى كان غريبا عنها منذ قليل ! .. ثم تطلعت اليه ، فارتجف جسمها وندت عنها صرخة ، اذ رأت على أساريره معالم اليأس والقنوط ، وقد انطبقت أجفانه على دمعين ، فصاحت منزعجة : « شيرى .. شيرى .. ماذا جرى ؟ .. أواه يا الهى ! .. اننى خائفة فماذا أصابك ؟ »

فضمها الى صدره قائلا : « ياطفتى المسكينة .. ما الذى يخيفك ؟ » .. وتحولت عيناه المخمليتان نحوها ، وقد زادت هما الدموع فتنة ... ولكنه ما لبث ان استعاد هيئته الاولى ، ومضى يطفىء الشموع .. ثم استلقى الى جوارها وهو يقول : « وما الذى يحول دون ان أنساق للعاطفة ؟ »



— ماذا تفعلين ؟

ارتبكت ادميه اذ انبعث السؤال هادئا من فم شيرى ، فجمدت فى مكانها وقد بسطت يديها على بعض الاوراق المبعثرة .. وأرسل شيرى ضحكته الوقحة المتبجحة ترن فى أرجاء الحجرة ، وقال : « آه .. كنت تبحثين عن خطابات غرامية ! » وتقدم فملا قبضته من الاوراق وطوح بها فى الحجرة ، ثم قال : « ليس لدى خطابات غرامية .. لا ، بل لدى واحد .. »

فقالت وقد غاظها تهكمه واثارها حتى لقد تعمدت أن تخزّه : « مثل هذا الخطاب ولا بد — بداهة — من « ليا » .. ألا اذهب .. اننى أمقتك .. انك لم تحببني قط .. لم تهتم بى أو تشمر بوجودى .. جرحت كرامتى وحطمت كبريائى .. اننى أمقتك .. انك لا تفكر الا .. فى تلك المعجوز ! »

وهزت رأسها كحيوان تعتمر عنقه قبضة قوية .. ورفعت رأسها تستنشق الهواء وقد انهمرت دموعها ، فاذا بها تذيب جموده .. فما رأى من قبل دموعا تلرّف من أجله .. وبسط ذراعيه نحوها فى غير وعى ، فتراجعت وكأنما خشيت أن تلقى منهما قسوة أو عنفا ، ولكنه وضع يديه الناعمتين المعطرتين على رأسها ، وربتها بحنان مواسيا ، فازدادت الفتاة بكاء .. ثم

هدأت عواطفها رويدا ، وان ظلت شهقاتها تنبعث بالرغم منها .. وكان « شيرى » قد جلس الى جوارها وأخذ يمر بيده على شعرها وقد بلغ آخر حدود الصبر .. وقال أخيرا : « لست أدري ماذا تريد مني ؟ .. ما الذى تؤاخذني من أجله ؟ .. هل أنا فى حجرة غير التى تنامين فيها ؟ .. هل قصرت فى حبك ؟ »

كانا كطفلين ساذجين .. وترددت ، ثم ابتسمت ، وقالت فى ليونة : « أو تسمى هذا حبا ؟ .. ألا يجوز أنه ليس أكثر من .. ارضاء لغريزتك الجنسية ؟ »

فبعث من بين شفثيه صفيرا نفس به عن ضيقه .. ورات « ادميه » خياشيمه تنتفخ .. وزفر فى ضجر ، ثم مس كتفها باصبعه فى خشونة وقال : « الا تعرفين ان من الحكمة ان لا تجرحى شعور رجل بأن تسفهى الحب الذى يهبك اياه ؟ »

فهمست : « انك تتكلم كـ .. البقى » .. ثم تفرج وجهها واضطربت .. كرهت ان يظل شاحب اللون ، متعاليا .. بينما قل هو : « بل انت التى تفكرين كالبقى .. ان البقى - كما تدعينها - هى المرأة التى تسعى عادة لان تنال أكثر مما تهب .. انك فى التاسعة عشرة : بيضاء ، ذات شعر عاطر الشدى ، وعينين نجلاوين ، وذراعين بضميتين .. كل هذا جميل ، ولكن .. أترينه نادرا ؟ »

وبدت لها كل كلمة كطعنة تثيرها نحو الصراع الذى احتدم منذ الازل بين الذكر والانثى .. فقالت فى وخز : « لا تبتئس ، ففى الوسع اصلاح كل شئ ، ان الزواج اليوم رباط من السهل التخلص منه .. ليس اسهل من الطلاق السريع ! » .. وكان صوتها مؤثرا .. وقد خبا تورد وجنتيها ، وبدأت التعاسة فى عينيها .. فمال نحوها ، وافترقت أهدابه كجناحي طائر يرفرفان .. ثم استطرد : « هذا لا يجدى ، لانك .. تحبيننى ! »

ولم تسمع من صوته غير اللهجة الودية التى طالما سمعتها فى أسعد لحظاتها .. واعترفت فى أعماقها بصدقه .. حقا ، انها تحبه !



◆ كان يسير كالداهل ، تحف به نسمات الربيع الواهنة المبكرة ، وتلاحقه نظرات النساء فى اعجاب .. ودعواتهن فى صمت .. واغراؤهن فى استتار .. ولكنه كان لاهيا عنها جميعا .. كانت قدماه تدفعانه على الرغم منه نحو غاية محتومة اختارتها له .. نحو بيت « ليا » !

ورآه حارس الباب فتقدم يرحب به فى حفاوة بالغة .. وحاول الشاب دون طائل ان يعرف منه البلد الذى رحلت اليه مولاته .. وأخيرا تحول

شيرى يسير فى تؤدة مطوحا عصاه فى الهواء .. وأحس بأن قدميه تتخبطان وتتعثران .. وبلغ سياج حديقة عامة ، فاستند اليه يتأمل الزهور ، وفطن الى أن التعب قد برح به .. وعندما انتبه أخيرا الى نفسه ، كانت الاضواء قد انتشرت فى جنبات المكان ، فهتف فى نفسه : « لا .. هذا غير محتمل .. اننى ولا بد مريض ! »

وراعه انه استسلم خلال الساعات الطويلة لنوبة من الشرود الذهنى .. وفكر فى العودة الى البيت ، فتبدت له صورة الشابة التى تنتظره الى جوار النافذة .. وأمه وقد جلست ترشف الشراب فى تؤدة من كاسها .. فاذا به يعدل عن الذهاب الى البيت ، ويستقل أول سيارة « تاكسى » مرت به ، الى مطعم « التنين الازرق » .. واستقبلته الاضواء الباهرة ، والموسيقى العنيفة ، فشمى طريقه بين الموائد .. حتى لمح شابا طويلا نحيل القامة يجلس الى احداها ، فأسرع اليه وحياه قائلا :

- ديزموند ؟! .. انك الشخص الذى تمنيت ان اراه ..
وجلس .. ومست حسنا على مائدة مجاورة كتفه بمروحة كبيرة ، ولكنه لم يحفل بها .. وسأله ديزموند : « ماذا تشرب منذ زواجك .. شاي ؟ »
فتفتحت خياشيمه لرائحة الشمبانيا ، وأبرقت عيناه ، وقال : « بل عصير التفاح .. هلم اطلب تليفون رقم ١٧ - ٨٠ فاجرام ، وسل عن امى وأخبرها اننى سأتناول العشاء معك »

وأكل وشرب كثيرا .. وضاعفت الضوضاء العابثة ، ورنين الكؤوس ، وأنغام الموسيقى ، من سروره ، فتخلى عن جموده .. وسأله ديزموند فجأة عن « ليا » ، فلم يرتبك بل قال وكأنه موقن : « ليا ؟ .. انها فى ميدى » ومضى وقد ثمل بنشوة الخمر يتغنى بمحاسن الزواج ، ويطيب فى امتداح زوجته ، وكأنه يبحث عن ثغرة يوجه منها الى « ليا » سهام النقد ويبين أنه قد نفذ قلبه من حبها .. وهو فى الواقع يلتمس متعة الحديث عنها - ولو بالافتراء - ليرضى حنيئا طاغيا استبد به ..

وحوالى الساعة الحادية عشرة ، نهضا يتأهبان للانصراف .. وعندما صارا فى عرض الطريق ، توقف فجأة وقال لصديقه : « اسمع ياديزموند .. اتصل ببیت امى تليفونيا مرة أخرى ، وقل لمن يجيبك اننى أصبت بمرض طارىء ، فحملت الى مسكنك .. وسأبقى فى رعايتك الليلة . »

وعندما عاد اليه ديزموند ، أدرك من حديثه أن « ادميه » هى التى تلقت الرسالة التليفونية .. وما لبث أن سأل صديقه أن يقوده الى مسكنه ، فصاح الشاب : « فى مثل هذا الوقت المبكر .. لعلك تمزح .. أترك واغبا .. ؟ » ولكن شيرى تعلق بذرعه وأغمض عينيه وهتف : « فى النوم .. صدقنى ! »



◆ مضى « شيرى » فى خجل يعد الايام التى تلت تلك الليلة ، دون أن يعود الى داره ، فاذا هى واحد وعشرون ! .. وكان اذا تاب الى نفسه بعد السهرة ، وعند اليقظة ، علل تصرفه بأن جبنه من أن يواجه الموقف لن يلبث أن ينجاب ، فتواتيه الجراءة على أن يعود الى حيث أمه و « ادميه » فى انتظاره .. وأخذ يعترف فيما بينه وبين نفسه بأن ادميه « زوجة كاملة لم يحصل رجل على مثلها .. لا عتاب ولا شكوى ! » .. ومع ذلك ، فانه كان يرتجف اذا رأى امرأة تشبهها .. كان يخجل من أن يلقاها بعد اذ هجرها !

وراح ينفق عن سعة ، مسفا فى الشراب والسهر والعبث .. ولكنه قط لم يقرب من امرأة الى أبعد مما ينبغى .. وكان كلما اعتزم العودة الى « نويى » ، تلكا على أمل أن « ليا » راجعة عما قريب .. ولكن ابريل انتصف ولما تعد ! .. وتوالت أحداث زادت من تردده فى العودة الى « نويى » ، اذ زارته أمه يوما ، فاذا بها تجزع لما غشيه من نحول وشرود .. واذا بها تصدمه بأن « ادميه » تقبع فى انتظار « أوامر أخرى » ..

لكنه لم يذهب الى « نويى » .. وأخذ يفرق نفسه فى عزلة كئيبة عابسة ، بينما راح شهر ابريل ينفث انفاسه على باريس ، فيبعث الأزهور اليانعة تبتسم للعالم .. ومضى يناهى عن مجالس العبث ، لينطلق يهيم فى ظلمة الليل وحيدا .. على غيرى هدى ، ودون وعى .. وذات ليلة ، أعياء الصراع ضد الحافز الذى كان يدفعه الى التمسح فى جدران بيت « ليا » ، فاستسلم له .. وأحس بفصمة اليمة وهو يقترب من البيت .. ثم أجفل فجأة اذ رأى الاضواء متألقة فى الطابق الثانى .. واستند الى شجرة ووقف يتطلع مكذبا عينيه ، ثم سمع صوت الحارس يكلم « ليا » ، فاطلق لساقيه العنان حتى بلغ القابة المواجهة للبيت ، فجلس فى أطواء ظلامها متطلعا الى الاضواء ، وقد تهدجت انفاسه ، وخيل اليه أن قلبه يكاد يقفز من صدره ! .. واسترخى فى جلسته وقد جثم على صدره عبء ثقيل ، ولكنه حبيب ، فتمتم فى خفوت : « آه .. أهذه هى السعادة ؟ »

ومضى يستعرض حياته الماضية فى اشفاق ، راثيا لما كان يتخللها من حرمان .. وانتهى الى أنه لم يعد يتوق الى شيء .. ولا رؤية « ليا » .. وملا رثيته من نسيمات الفجر الزاحفة ، وسار الى الفندق الذى كان ينزل فيه وقد راوده حنين الى « ادميه » .. وأيقن انه سيستعذب العودة اليها !



◆ لم تكد الساعة الثامنة من الصباح التالى تحين ، حتى كان شيرى مستيقظا ، وقد ارتدى ثيابه وحلق لحيته ، وتولته حمى من النشاط ..

وارتدت له روحه المرحه ، فأخذ يتأمل صورته فى المرآة ، ويصفى لحن طروبا .. وتذكر المرآة التى كانت فى مخدع « ليا » ، وصورته التى كانت تنعكس على صفحتها .. صورة الشاب السعيد ، المرح ، المدلل ، المولع بتلمس لآلى قلادة عشيقته ، فقال لنفسه : « لعل هذه الصورة لا تزال فى مرآة « ليا » .. ! »

وعجب لنفسه .. كيف لم يذكر خلال بعده عن « ليا » ذلك العشيق الذى خلفه لديها ؟ .. وأخذ يحاول أن يحدث أى نوع من الرجال ذلك العشيق .. ثم انتهى قائلا : « ولكن ، من يصلح غيرى لارضائها ؟ .. وأسند رأسه وغمغم فى شوق ووجد : « نونون .. يا حبيبتي ! .. أترك خنت عهدى وعلقت بسواى ؟ .. وأذكى جذوة الشقاء فى نفسه بكلمات الشك والرتاء يذكرها فى لوعة .. وحاول أن يذكر أيامه معها ، ولكن شبعا راح يخيم على هذه الذكريات .. شبح عشيق استكان الى احضان « ليا » .. وأدهشه أن تبين ان الطيف لم يكن لشخص سواه .. اذن ، فلابد من أن ليس ثمة عشيق سواه ! وهم ان يتصل بها تليفونيا ، ولكنه قاوم الشوق المتقد ، ونهض فابتاع حلية مرصعة بالجواهر الثمينة لزوجته ، وباقة زهور وبعض العطور ، وأمر سائق سيارته بأن يحمله الى بيت .. أمه !

واذ استقرت به السيارة أخيرا ، شرع يصعد الدرجات بخطى ثابتة ، نحو الشابة التى هجرها منذ ثلاثة شهور ، كملاح يعود من رحلة طويلة الى شريكته !



◆ جلست « ليا » تقلب الاشياء التى كانت فى حقائبها ، ثم هتفت فى ملل : « آه .. يالها من رحلة ! .. لكم كانت مدعاة للسأم ! .. لقد عادت .. بعد أشهر ستة - انحف قليلا مما كانت ، وأكثر ضعفا ، وأشد سمره .. فعبيت « ليا » وهى تتأمل صورتها فى المرآة ، وتحولت ففتحت النافذة على مصراعيها وسرحت بصرها فى حديقته المزهرة اليانعة .. وراحت فى اشمزاز تستعرض العشاق الذين حاولوا أن يتقربوا اليها فى رحلتها .. كانت تضيق بهم وتصدهم فى جفوة لم تدر لها سببا .. ولكنها الآن أدركت انها كانت تقارن كلا منهم بصورة فى اعماقها .. بطيف رابض فى فؤادها !

وانعش صباح باريس الوضاء قلبها وروحها .. وتملكتها رغبة طاغية فى أن تسعى لتبدو فى أجمل بهائها .. وتمتعت : « ولكن .. لمن ؟ .. فليكن لنفسى .. ولاغيظن مدام بيلو ! »

ولم تكن تجهل نيا فرار شيرى من زوجها ، فقد تناهت اليها الشائعات والهمسات .. ولكم ضحككت اذ ذاك ، وغشيتها هناة أم هجر ابنها دارها ، ثم واتتها الانباء بانه فى الطريق اليها .. تأبى ! .. وفكرت فى شيرى ..

لأبد وأنه عاود السهر والعبث والتقلب بين احضان الفانيات ! .. ولقد سبق
أن انقذته من الحياة البوهيمية .. أفترأها تنقذه مرة أخرى ؟

وأتبلت في نشاط على زينتها ، وقد داخلتها رغبة في أن تغير الجو الذي
عاشت فيه خلال العشرين عاما الأخيرة .. حتى أثاث بيتها .. كان بنفسها
أصرار على أن تكافح السن ، والوحدة ، والمصير المرتقب لكل غانية مثلها
تقدم بها العمر ! ..

وحاولت في الأيام التالية أن تبحث عن عشاقها السابقين .. ولكن زهدا
غريبا لم يلبث أن صرفها عن المحاولة .. وساءلت نفسها : ترى ماذا جرى ؟ ..
كانت تشعر بنقص .. بفراغ .. بحنين الى شيء مبهم غامض حرمت منه !

ووجدت الدماء تفر من وجهها والارتباك يعتورها ، إذ فوجئت ذات يوم
بزيارة من « مدام بيلو » ! - وكانت قد علمت بعودة « شيرى » الى زوجته -
بيد انها سرعان ما أحست لصوت زائرتها بحلاوة ، فتركها تتكلم .. بينما
اختارت لنفسها مقعدا مستوى الظهر حتى تجلس منصوبة القامة ، مرفوعة
الذقن ، مخفية آثار الكبر .. وراحت ترمق غريمتها القديمة في ارتياح
مصطنع ، وقد ساورها أن هذه العجوز المترهلة ما جاءت الا لتستبين عزيبتها
وقوتها .. ولكن « ليا » كانت قادرة على مقاومة عواطفها .. وأخرجها من
تأملاتها صوت مدام بيلو تقول :

- لقد كان فرار شيرى نوبة طيش ما لبثت أن انقضت .. الا دعيني
الومك يا عزيزتى ، فمنذ بلغ التاسعة عشرة حتى أربى على الخامسة والعشرين
كنت ترعينه ، فما عرف حياة العزوبة بمفاسدها الا فى الاشهر الثلاثة التى
هجر فيها زوجها ..

فقالت الاخرى فى هدوء أخفى أساها : « بل كان هذا درسا طيبا لزوجها
الشابة »

- أجل هو كذلك .. وقد أثمر الدرس فى الزوجة الصغيرة ، فوجد عند
عودته استقبالا طيبا .. قط لم أر فى حياتى من تبرزها .. تصورى أن شيرى
تركها ، فما شكت ولا تبرمت ولا أقدمت على حماقة .. وعندما عاد تلقته فى
غير لوم أو تأنيب ! .. وقد اكدا صلحهما بساعة قضياها فى مخدعهما ، فلم
تكن فى الدنيا امرأة أسعد منى !

فقالت ليا فى سخرية متوارية : « اللهم الا ادميه نفسها ! »

- اننى أبني آمالا جساما على شيرى .. لسوف يحب بيته حبي له ..
وهى .. انها تأمر الخدم فى صوت خافت مستكين ، وتلقى رغبات شيرى فى
استسلام .. اننى لآخشي أحيانا هذا الاستسلام ، وذاك الهدوء المستكين ..

انها توشك أن تهدىء من عنفه وثوراته ، وتجعله مثلك هادئا باردا ، فمثلا ،
عندما سمع اننى قادمة لزيارتك ..

— ماذا .. هل عرف ذلك ؟ .. هل أخبرته بعودتى ؟
وتدافعت الدماء الى وجهها .. لكنها لعنت عجزها وتسرعها حين لمحت
عينى مدام بيلو تومضان فى خبث .. وخيل اليها ان دقائق قلبها تتابع فى
دوى مسموع وهى تسمعها تقول:

— بل هو الذى أخبرنى .. ثم قال : « انك تصنعين معروفا اذا ذهبت
فجئتني بأنباء نون » .. انه ما زال مغرما بك .. ان الرجل لا ينسى
امراة مثلك بسهولة يا عزيزتى « ليا » .. وبصراحة ، اعتقد ان اشارة
واحدة منك كفيلة .. ولكن .. لقد أهملت السؤال عنك .. حدثينى ..
هل كانت رحلتك موفقة .. وهل هناك حب جديد ؟ — أجميل هو ؟
فهزت « ليا » راسها ، وقالت : « لا .. لن تحصل منى على جواب شاف ..
هل أخفقت فى تسقط الانباء كعهديك ؟ »

— بل اننى لا احفل بالشائعات التى زعمت انك هربت من عشيق
جديد .. وانك فى ضائقة مالية !



وعند ما حان اوان انصرافها ، راقبتها « ليا » وهى تجتاز الحديقة ..
وهمست لنفسها : « أسرع ايتها الشريرة .. ما أراك الا مشوقة الى بث
سمومك لتعكير صفاء الزوجين المسكينين ! » .. وارتعشت مفاصلها كفرس
ارمقه تسلق تل وعر .. وارتاحت الى الحرص الذى التزمته فى أحاديثها
مع العجوز الخبيثة ..

وقضت ليلتها تلك مسهدة ، تتصور نفسها وقد استسلمت لموجة
الكبر ، واصبحت ولا تسرية لها الا الجلوس الى مدام بيلو ! .. واستعذبت
التفكير فيما ينتظر ان يداخلها فيما بعد من حقد وخبث .. فهتفت فى أعماق
الليل من صميم الفؤاد : « آه ، يا شيرى ! .. كم هو غريب أن يكون فى
فقدك عشيقتك العجوز ، وفى فقدانى عشيقى الشاب الفاجر ، حرمان
لكلينا من أنبل عاطفة كانت لنا فى هذه الحياة ! »



◆ وهر يومان .. كانا من أطول ما مر فى حياة « ليا » ، ولكنها
تحملتهما فى صبر المريض اذ يعرف الالم للمرة الاولى .. حاولت أن تندمج
فى حياتها الجديدة ، ولكنها ألفت نفسها تتخبط على غير هدى فى دياجير
الوحدة والسأم .. وتحلم — كالمحوم فى هذيانه — بأن « شيرى » ولا بد
قادم اليها ! .. وكان الوقت يمضى متباطئا ، ممضا ، موحشا .. واخذت

تجوس خلال مسكنها كالهائمة وهى تناجى نفسها : « ما هذا ؟ .. ان اللحظة التى يهملنى فيها هذا الصبى لا يجب أن تكون لحظة انكسارى .. لقد عشت وحدى ستة شهور فى ميدى ، فكنت اكسب فى كل خطوة مزيدا من المعجبين ، حتى شعرت بقوى الشباب تعاودنى .. كنت كفتاة قبيحة تزوجت من أقبح رجل على وجه البسيطة ، فما أشقاها الزواج .. بل كانت كلما رأت دمامة زوجها أحست بأنها جميلة .. ولكن فراق شيرى أوجد فى حياتى فراغا موحشا .. أواه ، اننى الآن فى الخمسين ، وقد استأثرت به سبع سنوات ، ففدا جزءا من حياتى ! .. كان من الخطأ أن اتشبهت فى مثل سنى بفتى سبعة أعوام .. »

وارتاحت اذ اكتهل الليل ، وآبت الى مخدعها .. كانت تتمنى أن تجد فى النوم ملاذا من السأم .. وراحت تخلع ثيابها حتى غدت عارية .. وانعكست أضواء الحجرة الوردية على جسدها .. وفى نشوة ، طرحت على البدن العارى رداء خفيفا وهى تقول : « كل هذه ترهات .. الى الفراش ياسيدتى ، فقد فر عشاقك الى حيث لا رجعة ! » .. وتحولت الى فراشها .. وفيما هى تهتم برفع الاغطية الناعمة ، دوى فى البيت رنين جرس الباب الخارجى ، فهتفت محنقة : « أى شيطان !؟ » .. ولكنها بترت سؤالها ، ووقفت فائرة فاما ، ممسكة بأنفاسها ، ورنين الجرس يتوالى ويزداد عنفا .. وهرعت تنثر بعض « البودرة » على وجهها اذ سمعت صوت الباب الخارجى يفتح ، ويعقبه وقع قدمين يجتازان الحديقة ويصعدان السلم .. ثم صوت وصيقتها مع رجل .. ثم باب مخدعها يفتح فى عنف !

.. ورات امامها شيرى ، فى ملابس السهرة ، شاحب الوجه ، تنذر عيناه بالشر والوعيد .. واستند الى الباب ، وعيناه تكتسحان كل ركن فى الحجرة ، كما لو كان يبحث عن عدو كامن متربص .. وبقدر ما كانت « ليا » لا تفكر الا فيه ، فانها فى هذه اللحظة لم تحس غير الاستياء الذى يداخل



اية امرأة يقتحم مخدعها غريب وهى شبه عارية .. وبادرت تضم اطراف ثوبها حول جسمها .. ثم استعادت هدوءها فقالت :

- ما ادعها من طريقة لدخول البيت .. كان ينبغي على الاقل ان ترفع قبعتك وأن تلقى تحية المساء !

وبدا يتمالك نفسه ، وانطلقت من عينيه شبه ابتسامة حومت على فمه . فرفع قبعته وقال فى تल्प : « مساء الخير ! » .. ثم ألقى بنفسه على مقعد .. وجلست هى على مقعد بعيد عنه ، تقرض أظفارها .. وأشعل شيرى سيجارة .. ولم ينبس ببنت شفة ، بل غص بصره .. وانهمكت « ليا » تظلى أظافرها ، وهى ترمقه من آن الى آخر بنظرة خاطفة .. وضافت أخيرا بالسكون فقالت : « أسمح لى بأن أسألك عما اذا كنت تعتزم ان تطيل المكث أكثر من هذا ؟ .. وما الذى دعاك الى أن تبيع لنفسك المجرىء الى بيتى فى منتصف الليل ؟ »

ونفض فدفق المقعد بعنف وسار نحوها .. واحست به ينحنى فوقها كما لو كان يهم بان يضربها ، ولكنها لم تتراجع أو تنكمش .. وقال : « الا تعرفين لماذا عدت ؟ » .. وخلع معطفه فطوح به على أريكة ، ثم صاح فى وجهها بلهجة الفازى المظفر : « جئت عائدا الى بيتى ! » .. وهذات دقائق قلبها المنفعل ، وشاءت ان تلعب دورها كما لعب دوره ، فنهضت قائلة :

- ولم لم تستشرنى ؟ .. كيف لم يخطر ببالك أنك بقدومك الى هذا البيت ستسبىء الى .. الى شخص ما ؟

فسرح بصره فى الحجرة وهو منكس الرأس ، ثم قال : « ألم يأت بعد سيد البيت ؟ »

- ليس هذا من شأنك ..

فعض شفته .. ثم انصرف الى تأمل خاتم ذى زمردة بديعة ، وما لبث أن قال : « ما .. ما هذا ؟ .. من أهداكىه ؟ »

فأعادت اليها لهجته كل سلطانها على نفسها ، وأثارت رغبتهـا فى الاستمتاع بمزيد من الزهو ، فقالت : « لا أحد كما تعرف .. ان الكل يطرون ذوقى فى اختياره »

فدق المنضدة فى غضب وصاح : « كفى ! » .. وهوت كوب على الارض ولكنها لم تتحطم .. وظلت « ليا » جالسة وقد أولته ظهرها ، بينما بقى هو واقفا ، فاغرا فاه .. ثم جلس .. وارتبكت « ليا » اذ أحست بنظراته تلهب ظهرها .. ونهضت الى المنضدة الزينة فأصلحت من شعرها ، وفتحت زجاجة عطر يحبه ، فهتف : « نونون ! » .. ولم تجب ، فعاد يهتف بالاسم المدلل ، فقالت : « استغفر أولا » ..

واذ سألها الصفح ، ربت رأسه فى رفق ، فارتجف .. وقال : « ليس ثمة غموض .. لقد عدت .. هذا كل ما هناك ! »

واقترب بمقعده .. وتسارعت لهثاته .. ثم ارتمى عند قدميها ممسكا بساقيها .. وتشبثت بمقعدها تاركة اياه يناجيها والدموع تنساب من عينيه : « نونون ! .. أيتها الحبيبة ! .. لقد وجدتك ثانية .. كما كنت .. لم يتغير فيك شيء .. أواه ، يا حبيبتي ! »

واحتواها بين ذراعيها وهو راکع ، ورفع اليها عينيه وما زالت الدموع تندى شفتيه .. و « ليا » ترمقه مسحورة وقد نسيت كل شيء .. وطوقت عنقه ، وراحت تهزه فى حنان مغممة : « أيها الحيوان .. أحقا عدت .. يا جميلى المدال ! »

وانبعثت منه أنة والهة ، والصق خده بصدرها .. وافلتت منها ضحكة عالية ، اذ أوشكت أن تستسلم ، ولكن رغبة مأكرة أوحى اليها ان تطيل من حرمانه ! .. وسادتهما فترة صمت لم يسمع خلالها غير زفيف الريح ، وزقزقة الطيور وقد هزها تألق البدر .. وقالت « ليا » أخيرا فى اشفاق : « شيرى .. أنائم انت ؟ » .. فتنهد فى ضنى وقال : « لا يانونون .. اننى فى سعادة لا يحلو لى معها نوم .. لقد انتظرت طويلا أرقب الدار .. أردت أن أتأكد من ان ليس ثمة شخص آخر ! »

ولم تستطع ان تكتم الضحك .. اكان يعقل ان تتخذ عشيقا آخر طالما كان هو على قيد الحياة ؟ .. ما اغباه ! .. وانحنى وهو يدفع رأسها الى ظهر الأريكة .. وأحست بانفاسه تلهب جفنيها ، فلم تعاول الخلاص .. وأحست بدوار وغيوبة تحت نظراته المفعمة بالغيرة .. وعاد يقول : « قولى .. لك عشيق آخر ؟ »

وأجابت أخيرا : « لا .. لا عشيق سواك .. اننى احبك »

وراحت تدفعه عنها كلما اقترب .. كانت تدرك انها لن تلبث ان تستسلم ، ولكنها حاولت ان تقاوم .. وخارت قواها أخيرا ، فأمسكت بذراعيه ، وانخرطت فى البكاء وهى تتهالك على مذبح الحب !

وأحست بوجيب قلبه ينتظم مع وجيب قلبها .. ورائت على مشاعرها غيوبة عذبة .. وهتف فؤادها : « انه هنا .. للأبد ! »



♦ وأنستهما السعادة كل شيء .. وبدءا فى الايام التالية يفكران فى الفرار من باريس الى حيث لا يعرف لهما مخلوق مقرا .. وكانت « ليا » تحدثه عن التدابير التى سيتخذانها ، وهو صامت ، يرمق قسمات وجهها المشرق

بالفرح والسيطرة ، ويسائل نفسه عن سر سعادتها ؟ .. وقالت أخيرا :
« ألا تنبئ بكلمة .. ألا تبدى رأيا ؟ .. لسوف تظل عمرك ذاك الغلام ابن
الثانية عشرة ! »

فمر بيده على جبينه وقال : « سأبدو فى عينيك فى الثانية عشرة ..
أما فى عينى سواك فأنا فى الخمسين »
واختلجت عيناها كأنما صدمت كلماته أجفانها .. واصطنعت ضحكة
تخفى بها ما داخلها من توجس ، وقالت : « ولكن مظهرك الصباني نصف
سحرك وفتنتك .. وسيكون فيما بعد سر شبابك الخالد الذى لا يتداعى
للكبر .. أليس شكاة ؟ »

فأمسك بيديها ، وأبرقت عيناه وقال : « نونون ، يا حبيبة القلب ..
لست أشكو من نفسى فحسب .. بل وأتهلك أنت .. »
ولم تن بالغبية ، لا ولم تكن تجاربها فى الحياة هباء .. أدركت ان
العينين اللتين شهدتا الشباب فى غيابها ، لم تغفلا ما بدا ينال منها من آثار
الكبر .. وحاولت أن تصطنع الغضب كعادتها كلما أرادت أن تخدم ثورة
تعمل فى نفسه .. لكنه رفع يديها الى شفتيه فانهال عليهما تقبيلًا ، ثم
الصق بهما خده ، وتمتم : « نونون .. يا فتاتي المسكينة ! »
ولدعتها اللهجة الرائية .. وكادت تنعجر باكية. لولا ان تماكنت نفسها
فصاحت : « اذن ، فأنا الآن محط رثائك ومبعث أساك .. فلماذا كنت تبغى
اتهامى منذ لحظات ؟ »

وهم أن يستغفر لذنبه ، ولكن القلق والاستفراق والهواجس
التي تبدت لها فى عينيه ، أثارت شجونها ، وأوحت اليها بأن اللحظة التي
كانت تتعاشاها قد حانت ، فقالت : « لست أرى كيف يتسنى لمخلوق
يستمد قوته من ضعفه ، أن يقلب حياة امرأتين .. أظننى لا أفهمك .. أنك
مولع بالتنقل .. كنت بالأمس فى « نوبى » .. واليوم هنا .. فأين تكون
غدا ؟ .. أن هذا الوجه لا يستطيع أن يقرر بامرأة ، ولو كانت أكثر منى
غفلة وسداجة .. بل حتى هذه المرأة .. حتى زوجتك .. لن تجدها
دائما هناك اذا فكرت فى متعة العودة الى البيت الآخر .. ان المرء لا يعرف
يا عزيزى كيف يكتسب الزوجة .. وهو أكثر جهلا بوسائل فقدتها .. أظن
أن أمك تستطيع أن تحبس زوجتك فى البيت ؟ .. دعنى أتكلم ! .. أظن أنك
تخيفنى ؟ .. أنك تريد أن ترتشف من منهل المتعة وفق أهوائك ! .. وأن
تستغل حب امرأتين لتنقل بينهما كما يحلو لك .. ولكنك لن تلبث أن
ترى كيف تقلب ابنة ماري لور آراءك .. »

وامسك بذراعها فى قسوة ، فأفلتت منه .. ودار حول المائدة وهو
يرتجف انفعالا ، وصاح : « صه ! .. احذر من المضي .. لا غيره على

ادميه ، وانما اشفاقا من أن تشوهى نونون التى عرفتھا وأحببتها .. لقد عرفتک يا حبيبتي رقيقة ، لطيفة ، فهل تنقلبين امرأة كسائر النساء اذا وجب علينا أن نفرق ؟ »

.. فأخفت وجهها فى راحتها وقالت : « لقد كنت ناعمة بوحديثي .. فلم جئت ؟ »

رفع ذراعيه ثم تركهما تتراخيان فى قنوط وقال : « لاننى لم أقو على الحياة بدونك ! .. وراح يحدثها عن اللوعة والضنى اللذين كان يعانيهما فى شهور الفراق .. كان قد اعتاد وجودها الى جواره فى الحياة ، فكانت فى عينيه مثلاً أعلى لكل النساء ! .. وأردف وقد تبدى له فى غمرة الضوء وجهها الفاتن ويد الكبر ترسم عليه التجمعات : « وهكذا عدت بعد شهور قضيتها فى أتعس حياة ، لكى .. » ، وأمسك مترددا ، فأتمت له القول فى هدوء : « لكى تجد امرأة عجوزا .. قلها يا حبيبى .. مم تخشى ؟ »

.. وأحاطت كتفيه بذراعيها ، فأجهش بالبكاء .. وحاول أن يتملص .. فمست بوجنتها شعره قائلة : « أكنت حقا أثيرة بحبك ، حتى فى هذه السن التى تنزوى فيها كل امرأة عن الحياة ؟ .. كم أنا شاكرة لك يا طفلى المسكين ! .. اننى لازهو بأننى جعلت منك رجلا ، بدلا من أن أقصر تفكيرى على متعة جسدينا .. أحقا كنت ترانى مثلاً أعلى للنساء ؟ .. يا للحررة .. لكنى لم أكن كذلك ، اذ ما كنت لأجرؤ من قبل على تسريحك من أحضاني .. ولكن الفرصة فاتت الآن يا حبيبى ، فانتبه ! .. لا تجفل من النظر لى ، فأنا رغم كل شيء ، المرأة التى أحببتها وجعلتها مثلاً أعلى .. كنت يا أعز الناس أشفق على الفتاة التى دفعوا بها الى أحضانك .. ولكنك انفصلت عني متأخرا يا طفلى المفسود .. ان عليك الآن تبعات ثقالا ، وأنا مسئولة عن كل ما ينقصك لتحمل هذه التبعات ، فبسببى ما زلت - فى الخامسة والعشرين - أرعن مدلا .. حزينا ! .. اننى قلقة لكل هذا .. ستسبب الضنى لفيرك .. ولنفسك ! »

وأحست باظافره تقيب فى بشرة صدرها ، ولكنها لم تحفل ، بل مضت تقول : « أت يا من أحببني .. لست أدري كيف أجلو لك ما بنفسى .. أمل ، اذا ما شعرت بانك توشك أن ترعب الطفلة التى القوا بها الى أحضانك ، أن تبتدع كل ما لم أعلمكه من فنون لتهدىء روعها ، ولتحتفظ بها .. اننى لم أعدك للمستقبل ، فاغفر لى .. أحببتك حبا صور لى اننا سنموت فى لحظة واحدة .. وكنت قد بدأت انهار ، اذ ولدت قبلك باربوع وعشرين سنة ، فكنت اجتذبك معى الى الهاوية .. اتصور ان فى وسعنا أن نظهر فى المجتمعات العابثة الآن ؟ .. اننى أسير نحو النهاية ككل مخلوق

اكتهل ، فاسرع ايها الطفل وانقذ شبابك الذى كدت تعدمه بين ذراعى غانية عجوز .. انقذ شبابك للفتاة التى تنتظرك ! .. ولئن كانت لذة شبابها لم ترق لك فى البداية ، فلأنك تذوقت متعة الكبيرات المجربات ، فلم تستعذب سداجة الصبا ! .. انك لم تفكر فى المقارنة بينى وبينها منذ الليلة الماضية فقط .. كلا .. بل قارنت بيننا منذ ادخلتها الى حياتك ، وقد جاء الان دورها لتجزع وترتجف .. لن يكون عذابها عذاب الام التى افسد التدليل ولدها فهجرها - كما هو عذابى - ولكنه عذاب الحبيبة تخشى الحرمان من حبيبها .. فانها تحبك ، وفى وسعك ان تتسلط عليها وان تسودها . ان تكون لها سيدا ، لا عشيقا ماجنا كما كنت لى .. اسرع .. اننى احبك ولكن .. ولكنك تأخرت عن الوقت المناسب ! »

وكانت تخشى ان تضعف ، فراحت بنفسها تعد له ثيابه وتستحبه .. حتى اذا اغلقت الباب خلفه ، وسمعت خطواته تبتعد متعثرة ، هرعت الى النافذة .. وراته يصل الى الحديقة ، فيقف عند بابها برهة .. واذ ذاك رفعت ذراعيها هاتفة : « انه سيعود .. سيعود ! »

وانتهت الى امرأة عجوز تقلدها فى المرأة ، فساءلت نفسها : اية صلة بينها وبين هذه العجوز الكئيبة ؟! .. وواصل شيرى سيره .. وافلتت الستار من يد «ليا» وكانت تتشبث بها .. واستندت الى النافذة تشييعه ببصرها .. فاذا به يرفع رأسه يستقبل الربيع ، والسماء الصحوه ، والنسيم المحمل بعبير الاشجار واريح الزهور ..

ثم ينطلق .. كسجين يفر من سجنه !

سكك حديد جمهورية مصر

عربات مكيفة الهواء وصالونات بولمان وعربات أكل
بالقطارات السريعة والاكسبريس

يتشرف المدير العام باعلان الجمهورية أنه ابتداء من أول
مايو سنة ١٩٥٤ قد أعدت عربات مكيفة الهواء وصالونات
بولمان وعربات أكل بالقطارات السريعة والاكسبريس
ولزيادة الايضاح الرجاء الاطلاع على الاعلان المعروض
بالمحطات

عزيزى القارىء . . .

لدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد
الماضية المسرحيات العالمية الآتية :

خطايا الحب : لاوسكار وايلد

الحب الاثم : تولستوى

نزاهة الحكم : جوجول

سلاح المرأة : اريستوفان

هولبون : بن جوسون

جيو كندا : دابونزو

كلام الناس : جوريه اشيجاراى

مدرسه القصاص : نيريديان

سيرانو دى برجراك : رويستان

لعبة الحب والموت : رومان رولان

مروحة الليدى وندرمير :

اوسكار وايلد

فاوست : جيته

اوديب الملك : سوفوكل

فى سبيل الحب : جون درايدن

وليم تل : شيللر

الام : مكسيم جوركى

الملك يلهو : فيكتور هوجو

الديحة اندريه اوبه

الجنس الالى : كاريل كايك

الابن الاكبر : جالزورثى

هرنانى : فيكتور هوجو

ترويض النهرة : شكسبير

واليوم اقدم لك هذه المسرحية

الطريفة ، والعميقة : « الحياة نفاق » !

عندما ترفع
الستار . .



رواى
المسرح
العالمى
(تمثيل... والغناء)



SIX CHARACTERS
IN SEARCH OF
AN AUTHOR

By

LUIGI PIRANDELLO

قصة تمثيلية كبرى

للروائي الإيطالي
"لويجي بيرانديللو"

الحياة نفاق!

(ست شخصيات
تبحث عن مؤلف)



المؤلف

(١٨٦٧ - ١٩٣٦)

♦ « لويجي بيراندلو » مؤلف هذه المسرحية - واسمها الاصلى « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » - من عباقرة المسرح المعدودين فى العصر الحديث ، وان كانت عبقريته قد نضجت فى سن متأخرة. ولد فى صقلية ، وحين بلغ طور الشباب رحل الى روما حيث اشتغل مدرسا فى احدى المدارس العالية للبنات، لكنه عكف فى اوقات فراغه على النعمق فى دراسة الأدب ، حتى خرج من دراسته بفلسفة خاصة تتلخص فى عبارة واحدة هى « ان الحياة مهزلة محزنة ! » .. وعند بلوغه سن الخمسين قرر أن يترجم فلسفته الساخرة الى مسرحيات خلاصة ، كتب اولها فى سنة ١٩١٧ .. وسرعان ما أصبح المعلم المغمور ، بين عشية وضحاها ، مؤلفا مسرحيا ذائع الصيت ، يمزج حكمة سقراط بالفكاهة المستملحة ، ويمتاز بالأفكار الغريبة والعقد المبتكرة ، مما رفعه الى مصاف الأدباء العالميين .. ورغم أنه بدأ حياته الأدبية فى تلك السن المتأخرة ، فإنه أنتج عشرات من الدرر المسرحية والقصص الطويلة والقصيرة التى من أشهرها هذه المسرحية التى اقدمها لك فيما يلى :

- ١ -

♦ عندما يخلق المؤلف فى قصة من قصصه شخصية ما ، هل يستطيع التحكم فى أفكار هذه الشخصية والسيطرة على تصرفاتها وأفعالها ؟ .. أم تستقل الشخصية بنفسها فتفكر كما يحلو لها وتفعل أشياء لم تخطر على بال مؤلفها ؟ .. أو بعبارة أخرى : هل يصبح المؤلف سيد شخصياته ، أو تصبح الشخصية سيده مؤلفها ؟

ترفع الستار عن الفصل الاول ، فاذا فرقة تمثيلية منشغلة بأجراء تجارب مسرحية فكاهية .. ثم يقطع « البروفة » دخول ست شخصيات هى : الاب .. والام .. وابنة الزوجة .. والابن .. والصبي .. والطفلة .. وقد جاءوا جميعا يبحثون عن مؤلف يدمجهم فى رواية محبوبة :



الاب (الى مدير المسرح) :
اننا نحمل فى أشخاصنا قصة
دراما رائعة .. اعطنا مؤلفا ،
نعطك ثروة !

المدير : لكن هذا يبدو أمرا
جنونيا ..

الاب : انه بالفعل كذلك ،
لكن كل دراما جنون .. انها
تجعل الحياة وهما ، والوهم
شبيها بالحياة .. فهل هناك
جنون أكثر من هذا ؟

ابنة الزوجة : أوجد لنا مؤلفا

يا سيدى . نحن جماعة من الشخصيات الجذابة ، خذلنا
المؤلف الذى خلقنا فتركنا فى منتصف الرواية !

الاب : ونحن نبحث الآن عن مؤلف يتم روايتنا ..

المدير : ولكن لا يوجد هنا مؤلف ..

الاب : اذن لماذا لا تحاول أنت أن تكون مؤلفنا ؟

المدير : هراء .. ولكن قولوا لى ، ما هى الصلة بينكم ؟

الاب (مشيرا الى الام) : هذه المرأة زوجتى ..

المدير : اذن فلماذا تلبس ثوبا أسود ؟

الاب : لانها أرملة

المدير : ماذا تقول ؟ ألسنت أنت زوجها ؟

الاب : انها ترتدى الحداد على عشيقها ، وهذه هى مأساتها !

ابنة الزوجة : نعم ، هذه هى مأساتها ، ومأساتنا نحن ..

وهذا الشخص (مشيرة الى الابن) هو ابنها الشرعى الوحيد ..

أما بقيتنا (تشير الى نفسها والى الصبى والطفلة) فنسلها غير

الشرعى .. والدنا كان عشيقها !

- الام : وهو الآن قد مات ..
- الاب : بينما عادت الام - أقصد زوجتي - الى بيتي تجر أطفالها غير اشريعين
- الابن : وأنا لا أريدهم هنا . لا أريد أن تدخلوني في هذه الرواية
- الاب : أوه ، انك قد خلقت وانتهى الامر ، ولا مفر من بقائك معنا سواء أردت أم لم ترد !
- الابن : ان الامر كنه يدعو الى الاشمئزاز ..
- ابنة الزوجة : وخاصة ذلك الحادث الذى وقع فى بيت « مدام بيس » ذى السمعة المريبة !
- الابن : حيث حاول أبى أن يدفع لك (مشميرا الى ابنة الزوجة - أخته) المائة ليرة !
- الام : يا للعار .. ابنتى .. يا للعار !
- المدير : لست أفهم شيئا ..
- الاب : دعنى أحاول ايضاح الامر لك . كان يعمل فى مكتبى موظف ما ، لم يلبث أن وقع فى هوى زوجتى ، وبادلتها هى الحب .. ففصلته من خدمتى ..
- الام : ثم طردنى أنا من البيت ..
- الاب : عن جدارة واستحقاق . لقد طردتها من البيت كى تغدو حرة فى الذهاب مع حبيبها . ان وقارى لم ..
- ابنة الزوجة : لا تضحكنى بالحديث عن وقارك .. أنت الذى كنت دائم التردد على بيت « مدام بيس » !
- الاب (للمدير) : هذا الذى تقوله هى صحيح .. لكنه انما يثبت أننى انسان من البشر .. شخص حى ، لا شخصية خيالية من شخصيات القصص .. بغير روح !
- المدير : حسنا ، امض فى قصتك ..
- الاب : ومن ثم ذهبت زوجتى وعشيقها الى بلدة أخرى ..
- حيث أنجبا هؤلاء الابناء الثلاثة

ابنة الزوجة : وعندئذ .. عندما مات أبى ..

الاب : تعنين عشيق أمك ..

ابنة الزوجة : عندما مات أبى عدنا الى هذه المدينة ، حيث
كدنا نموت جوعا ..

الاب : لو أنهم أخبرونى أنهم فى فاقة لساعدتهم ..

الام : لم أخبره لانى لم أتوقع أن يعبأ بذلك ..

الاب : الامر الذى يظهر انك لم تفهمينى يوما على حقيقتى ..

ابنة الزوجة : وعندئذ ، لكى أنقذ الاسرة من الموت جوعا
اضطرت للتردد على بيت مدام بيس !

الام : مدام بيس هذه صانعة قبعات للطبقة الراقية ، تباع
قبعاتها للنساء المثرىات ..

الاب : وتورد نساء للرجال الاثرياء !

الام : وقد اشتغلت أنا بائعة عند مدام بيس ، وكنت أعتقد
أن ابنتى أيضا لم تكن تعمل عندها الا بائعة قبعات !

المدار (بصبر نافذ) : امضى فى قصتك .. أرجوك ..

الاب : وذات يوم قابلتها (مشيرا الى ابنة زوجته) عند
مدام بيس !

ابنة الزوجة : يا له من موقف « درامى » رائع !

الاب : ثم فاجأتنا الام ..

ابنة الزوجة (فى خبث) : فى الموعد المناسب ! ..

الاب : بل فى أسوأ وقت ! .. وبعد ذلك أخذت العائلة كلها
معى ، حيث كغلت لهم بيتا ..

ابنة الزوجة : لبس بيتا ، بل مجرد مأوى .. فان ابنه هذا
صار ينظر الينا كدخلاء ، جاءوا ليزعجوا المملكة « الشرعية » !

وان تصرفه هذا غير المحتمل ، هو الذى أغرانى بأن أتحداه ،
وأحالى من ضيفة لاييه الى .. خليلة !

الاب : (للمدير) : انك يا سيدى تستطيع أن تفهم مركزى
بسهولة .. اننى لا أمت الى هذه الدراما بصلة .. فأتوسل

اليك أن تدعنى خارج هذه الشبكة القذرة كلها ..
الاب : ولكننا لا نستطيع أن ندعك خارجها .. فأنت أهم
 وأقوى حلقة فى السلسلة كلها .. ان ترفعك وقسوة قلبك هما
 اللذان سيؤديان بالمأساة الى غايتها .. انك تحتقر أمك وتشمئز
 من أختك وتضطهد الصبى والطفلة الصغيرين حتى تسبب
 فاجعة الصبى ووفاة الطفلة !
المدير : ان القصة قد بدأت تصوير مثيرة وشائقة .. وفيها
 بذرة مسرحية لا بأس بها

الاب : لماذا لا تجعل نفسك مؤلف هذه الدراما ؟
المدير : انى لم أكن مؤلفا فى يوم من الايام ..
الاب : اذن ابدأ الآن ، بهذه المسرحية .. سوف تكون مهمتك
 سهلة .. سنمثلها نحن منظرا منظرا ، وأنت تكتبها طبقا لما
 تراه أمامك ..
المدير : أعتقد أنها فكرة صائبة .. تعالوا الى غرفة مكتبى
 أنتم الستة ، ولنر ما أستطيع فعله ..

- ٢ -

◆ **فاذا** كان الفصل الثانى فقد بدأ الستة يجرون تجارب
 الرواية ، وممثلو الفرقة أمامهم يحفظون الادوار التى تمثل
 على الخشبة .. لكن « البروغة » تجيء أروع من الرواية ذاتها ،
 لان الشخصيات الستة « يحسون » أدوارهم ، بينما ممثلو
 الفرقة يتخلونها فقط !

الاب (وهو يراقب الممثلين) : لا ، لا .. هذا يخالف
 ما نشعر به فى هذا الموقف .. انى معجب بتمثيلكم ، سيداتى
 سادتى ، لكنكم لستم « حقيقيين » .. انكم غيرنا نحن
ابنة الزوجة : انه محق .. انكم لا تفهموننا .. فمثلا حين
 التقيت أنا بهذا الرجل (تشير الى الاب) فى بيت مدام بيس ،
 قلت له انى أرتدى الحداد على أبى .. فبماذا تحسبونه أجاب ؟

قال لى : « فلنضع حدا لهذا الحداد .. دعينى أساعدك فى خلع هذا الثوب ! »

المدير : ما هذا .. أتريدون أن يحدث هياج بين النظارة وثورة فى المسرح ؟

ابنة الزوجة : لكنها الحقيقة المحضة !

المدير : الفنان الاصيل لا يذكر الحقيقة بحذافيرها .

ابنة الزوجة (ثائرة) : عليك أن ترسم شخصياتنا كما هى ، لا كما يريدنا المجتمع أن نكون !

المدير : كونى معقولة .. ان الكاتب المسرحى لا يستطيع أن يفضح كل أسرار شخصياته ، وانما يجب أن ينتقى من بينها ما يصلح ، وأن يراعى شيئا من التحفظ ..

ابنة الزوجة : حسنا .. اقتل أدوارنا اذا شئت ، لكنك لن تستطيع أن تقتلنا نحن ، بعواطفنا ونزواتنا وعارنا وندمنا واشمئزازنا ! .. استمر فى اخراج مشاهدك المصطنعة ، بضحكاتها الزائفة ودموعها المنافقة .. حاول أن تقلد موقفى حين أقبل هذا الرجل ، وأنا مغمضة العينين ، تاركة رأسى يغوص فى صدره .. هكذا (تمثل الدور) .. وفجأة تدخل أمى فتصيح به ..

الام (مندفعة نحوهما لتفرق بينهما) : ابنتى ! .. دعها أيها الوحش .. ألا تعلم أنها ابنتى ؟

المدير : رائع ! .. بديع ! .. خير نهاية لهذا الفصل .

- ٣ -

♦ فاذا كان الفصل الثالث، فقد تأهب الستة لاجراء الفصل الاخير من روايتهم .. وهو يجرى فى حديقة منزل الاب ، بعد أن انتقلت اليه الام وأبناؤها الثلاثة .. برغم معارضة « الابن » !

المدير : فلنبدا تمثيل هذا الفصل الآن .. ولنرمدى نجاحنا فى تحويل الخيال الى حقيقة !

الاب : تقصد تحويل الحقيقة الى خيال .. اننا أشخاص حقيقيون ، وأنتم الوهميون .. ومع ذلك فان الشخصيات الحية تموت ، بينما شخصيات الروايات تعيش وتخلد !

المدير : هلا كفت عن فلسفتك وتركتنا نكمل الرواية ؟ ..

انى لم أسمع من قبل بشخصية خيالية تخرج من دورها كي تلقى علينا خطبا وآراء لم يقصدها المؤلف ..

الاب : ذلك لانك ما تزال مؤلفا هاويا .. بينما كل مؤلف عظيم يعلم أنه تحت رحمة شخصيات رواياته ، عليه أن يتبعهم حيثما ذهبوا !

المدير : انك على حق ..

ابنة الزوجة : وماذا نفعل نحن الستة الآن ، بعد أن تركنا المؤلف الذى خلقنا فى نصف الرواية وأبى أن يتبعنا الى النهاية؟

الاب : الحل الوحيد الذى أمامنا أن ندع هذا المؤلف الهاوى يتم مغامراتنا ..

ابنة الزوجة : ويا لها من مغامرات مريرة !

الاب : انتبه جيدا ، وأنت ترى

◆ **ويستأنف الستة مأساة* صلاتهم المتشابكة الغريبة حتى نهايتها المنطقية ..** فنرى الاب والام يحاولان تصفية النزاع القديم الذى كان بينهما ، وايجاد نوع من « الانسجام » فى جو الاسرة .. أما ابنة الزوجة ، فهى ماضية فى موقف التحدى ! وأما الابن ، فهو ماض فى موقف القسوة التى لا تلين .. وأما أحق شخصيات الرواية بالشفقة والرثاء فهما الصبى والطفلة .. فان الصبى يراقب تصرفات أفراد الاسرة الكبار بادراك متزايد وفهم ينمو كل يوم .. وشيئا فشيئا ، تتأصل فى عقله جذور قرار رهيب ..

المدير : وماذا كان هذا القرار ؟

ابنة الزوجة : فلندع الابن يحدثنا عنه .. فهو المسئول عن ذلك



الابن : دعونى وشأنى .. لا
أريد أن أقول شيئاً .. ان
المؤلف الاصلى لم يرغب فى أن
أتكلم .. لهذا أبى أن يضعنا
فوق خشبة المسرح

الاب : لكنك مطالب بالكلام
.. يجب عليك أن تتم الرواية
الى نهايتها المريرة .. ولا يليق
بك أن تنسحب ..

الابن (يتراجع) : أخشى أن
تكون على صواب يا أبى .. على
كل حال ، ليس هناك شئ كثير يقـال .. كنت أتمشى فى
الحديقة .. واقتربت من النافورة .. واذا أنا ألح الطفلة فى
قلب الماء .. عدوت اليها مسرعاً، وكنت على وشك أن أقفز كى
أنقذها ، حين رأيت الصبى واقفاً ينظر الى الماء - حيث اخته
تغرق - بنظرة جامدة .. وعندئذ .. دوت فى الفضاء رصاصة
بين الاشجار التى كان الصبى مختبئاً بينها .. لقد انتحر ،
ولحق بأخته !

الام (فى لوعة) : أولادى .. النجدة !
المدير (يهرع الى حيث رقد الصبى) : هل جرح ؟
أحد الممثلين : لقد مات !

ممثّل آخر : لكن الامر كله خيال .. انه من خلق الانسان
.. مجرد تمثيل

المدير : تمثيل ؟ حقيقة ؟ .. انى لم أر فى حياتى مثل
هذا ! .. الى الجحيم بالرواية كلها .. لقد أضعت يوماً كاملاً
فى الاستماع الى هؤلاء المجانين .. يوماً كاملاً !

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى الاعداد السابقة من كتابى طائفة من القضايا والمحاكمات الهامة ، هى على التوالى : محاكمة ((جورجيت هودو)) ملكة الجمال الباريسية .. محاكمة السفاحين ((بيرك)) و ((هير)) .. ثم محاكمة فيلسوف اليونان العظيم ((سقراط)) .. ومحاكمة ((آن بولين)) ملكة انجلترا فى عهد هنرى الثامن ، محاكمة ((دريفوس)) .. ومحاكمة ((ستافسكى)) .. ثم محاكمة ((مرجريت فهمى)) .. ومحاكمة ملك انجلترا ((شارل الاول)) واعدامه .. ومحاكمة قاتل راسبوتين .. ثم محاكمة ملك فرنسا لويس السادس عشر .. ومحاكمة قاتل عشيق زوجته (من محاكمات أثينا القديمة) .. وأخيرا ((جريمة درب العشاق))

واليوم أقدم لك فيما يلى هذه المحاكمة المصرية التى جرت وقائعها فى حى العباسية بالقاهرة ، والتى تلقى ضوءا على نفسيات ((أبطالها)) ومطامعهم وأهوائهم .. التى أودت بهم جميعا!

وفى الاعداد القادمة تقرا معى باذن الله فى هذا الباب مزيدا من القضايا والمحاكمات الشائقة ، سواء من الغرب أو الشرق

الجريمة .. والعقاب



المحاكمات الكبرى فى الماضى والحاضر



جريمة حارة السوي
عز الدين غانم

دراسة للفرائز !

♦ .. أما اليوم فانا اقدم لك محاكمة من مصر ، بل من عاصمة مصر ، ومن حي ((العباسية)) بها .. بعد أن طغت بك في المحاكمات السابقة بباريس ، ولندن ، ونيويورك ، وأثينا القديمة .. الخ ففي ذلك اليوم من عام ١٩٤٥ دعانى صديقى الاستاذ أنور أحمد كى احضر مرافعته - كممثل للاتهام- فى هذه المحاكمة التى تمثلت فيها، وفى آثام ابطالها ، معان وعبر لا حصر لها : تمثل فيها مكر المرأة المتصابية .. وطمع الشاب الجشع .. ثم تنكر الرجل لزوجته العجوز، وتحلب لعبه شوقا الى زهرة ريانة العود .. ثم الفيرة ، الفيرة القاتلة التى تاكل الصدر ، حتى تفضى الى القبر ! .. والفيرة من طبعها الانتقام .. والفرع من الانتقام يفرى فريسته بالفرار منه باية وسيلة .. ولو بالجريمة !

.. ومن هنا كانت هذه المحاكمة التى خرجت منها يومئذ لاعكف على أوراقها أستخرج منها هذه الصفحات :

معرض الاحياء !

♦ ميدان باب الخلق .. صباح الاربعاء ، ٢٨ مارس سنة ١٩٤٥

دار محكمة مصر ، بواجهتها الصماء وابهاؤها الفسيحة ، تستقبل - ثم تبتلع فى جوف قاعاتها الكبيرة - أفواج الوافدين عليها ، من مختلف الطبقات والاجناس : قضاة ومتقاضين .. متهمين ومحامين .. شهودا ومتفرجين .. رجالا ونساء ، واطفالا على الاكتاف .. حضريين وقرويين وريفيات .. طرابيش وعمائم وقبعات ! .. اجساما اكتنزت شحما ولحما ، وهياكل عظمية خاوية .. اناسا فى ثياب أنيقة معطرة ، وحفاة فى اسمال بالية .. شبابا يصعدون السلالم قفزا ، وشيوخا يتهكئون على عكازات .. وجوها نضيرة متفتحة للحياة ، واخرى شاحبة خطف لونها المرض ، أو الخوف ! .. عيوننا ضاحكة مستبشرة ، وعيوننا ذابلة أطفأت بريقها الايام .. أو الاحزان !

.. خليط عجيب من الصور والنفسيات ! منهم من جاء يسعى للخير ، ومنهم من جاء يضمم الشر ! .. هذا يطلب التبرئة ، وذاك يلج في طلب العقاب .. هذا ينتصف للفرد من المجتمع وذاك ينصف المجتمع على حساب رقاب العباد .. واحد يهيب لسانه ليشهد بالحق ، وآخر يلوك في فمه شهادة الافك والزور ! .. هذا يفك حبال المشائق عن الاعناق ، وذاك يقتل للمذنبين الحبال !

.. أتوا من كل صوب وفج ، لكي يلتقوا في ساحة المحكمة ، فيخلع بعضهم على عتبتها قناع الزيف .. ويرتديه البعض ! في الخارج يكون بينهم الظالم والمظلوم ، والمعتدى والمعتدى عليه ، والمذنب والبريء .. أما في الداخل فكلهم مظلومون ، مغبونون ، أبرياء .. في عرف أنفسهم !

أما في عرف القانون فبقدر اختلاف النفسيات والسرائر تختلف المصائر ! هذا يدخل مكبلا .. ويخرج حرا .. وآخر يدخل طليقا ، ويخرج مسوقا الى السجن ! .. وثالث يقبل مقرح الجفون ، ف يعود متهللا .. ورابعة تدخل مزعردة فتخرج مولولة .. أو العكس !

.. والمحكمة تستقبلهم جميعا بنفس الواجهة الصماء ، والطلعة الجامدة ، الصارمة ، التي لا تنم عن شيء .. ولا تنبئ ، أو تعد ، الا شيء واحد : هو ، أن العدالة ساهرة على حقها ، الناس - في الارض كما في السماء - تماها في غير مراعاة ، أو محاباة ! .. قد تعرف الابطاء ، ولكنها لا تعرف الاغضاء .. فانها دائما .. لكل بالمرصاد !

*

في ذلك الصباح كانت دار العدالة قد فتحت صدرها لهذا الخليط من الوافدين ، فبدأت تدب في ممراتها الاقدام ، وتتحاوب في بهوها الكبير صيحات السعاة والحجاب ، تمهيدا لافتتاح الجلسات .. حينما أقبل على بابها ، يسعى بين اثنين من

الجند ، شيخ مهدم فى ثياب السجن ، حافى القدمين ، مكبل بالحديد . كانت مشيته المتخاذلة ، ولحيته الطويلة البيضاء ، ونظراته الكليلة ، وبصره المنطفىء . . . تضىفى كلها عليه مسحة من وقار المسنين ، وتلقى فى روع الناظر اليه انه قد جاوز « الستين » ، بسنوات . . . وهو فى الحقيقة فى الخامسة والاربعين !

. . . وجلس فى قفص الاتهام ، ساهما ، شاردة كالمذهول . . . ينتظر بين لحظة وأخرى انتهاء المحكمة من نظر الجناية المعروضة ، كى تنطق بحكمها فى قضيته ، بعد أن سمعت أقوال الشهود ومرافعة الدفاع فى جلسة سابقة . ولكن أية مرافعة ؟ لقد همس له الجندى الموكل بحراسته ، مشجعا : « شد حيلك يا عبد الحليم . . . المحامى اتكلم كويس ، وربنا برضه موجود ! » فأجاب فى حشجة خافتة : « أنا ماسمعتش حاجة ما فيش محاميه اكلموا » . . . رغم أنه لم تكن مضت على جلسة المرافعة غير أربعة أيام . . . ترى ، أفقد الرجل وعيه ، أم كان يتصنع الدهول ، كما تصنع الورع والصلاح منذ أطلق لحيته عقب القبض عليه ؟

وطال نظر القضية الاخرى . . . وانشغل الجميع بتتبعها ، حتى هو ، كان ينسى نفسه أحيانا فيبدو عليه أنه منصت لما يقال ، ثم لا يلبث أن يتنبه الى أن تلك القضية لا تعنيه ، وأن قضيته تكفيه . . . فيسترد محياه مسحة الهم الدفين !

وأخيرا انتهت القضية ، فخلت المحكمة للمداولة . . . وطلب الرجل سيجارة ، راح يدخنها وأصابعه ترتعش ، وبصره الاعشى يطوف بالنظارة ، فيلتقى بنظراتهم التى يكاد أن يطفئ منها الرثاء ، والفضول ! انهم مثله ينتظرون سماع الحكم فى قضيته ، ويهمسون بعضهم لبعض شتى الخواطر والتمنيات ، ولكن لفارق شاسع بين انتظار وانتظار : ان القضية بالنسبة لهم تسلية وملهاة . . . أما بالنسبة له ، فهى موت . . . أو حياة !

وأعيدت الجلسة ، فأمسك رئيس المحكمة - الاستاذ محمود منصور - بالورق ، وتوجه الى المتهم ، شارحا له قبل النطق بالحكم ، مبرراته ، وحججياته ، الانسانية لا القانونية .. ثم معقبا على الشرح بالنص :
 « بناء عليه .. حكمت المحكمة بالنسبة للمتهم عبد الحلیم عطية يوسف بـ .. الخ »
 ولنعد الى الوراء !

البيت رقم ٢٨

ليلة ٢ ديسمبر سنة ١٩٤٣

◆ هبط الظلام على أزقة ذلك الحى المتواضع من أحياء العباسية ، واشتدت وطأة البرد ، فبدأ ديبب الحياة يخفت فيه شيئا فشيئا ، ووقع الاقدام يخف بالتدريج - فان الليل والنعاس غالبا ما يترادفان فى أمثال هذه الأزقة ! - وبدأ الصبية يفضون حلقات لهوهم ، ويتفرقون الى عدد من الدور المتلاصقة المتساندة ، وقد اصطكت أسنانهم ، ولسع البرد أكتافهم العارية المظلة من « نوافذ » جلاليتهم الممزقة ، وخوى وفاضهم من المليمات القليلة التى انتقلت من جيوبهم الى بائع (الكشرى) القائم دكانه عند ناصية الحارة .. فأخذ هو الآخر بعد رحيلهم يتأهب « للتشطيب » . وبدأت مصابيح الحارة تنطفئ واحدا واحدا ، تاركة اياها بين برائن الظلام ، غارقة فى الوحشة ! .. وبين وقت وآخر كان ينعطف الى الحارة شبح أحد قاطنيها ، عائدا من عمله ، أو من « القهوة » القريبة ، فلا يلبث أن يختفى داخل أحد الابواب ..

كانت الساعة قد جاوزت العاشرة من ذلك المساء ، حينما دخل باب البيت رقم ٢٨ بعطفة التونى ، اثنان من قاطنيه : كان « ربيع عبد الغفار على » - الفراش بالجيش البريطانى - و « فتحى ماهر سليم » ، السفرجى « المولود بأسوان » ! ،

عائدين من المقهى الذى اعتادا قضاء الامسية فيه .. الى غرفتهما ، الغرفة الوحيدة التى يتكون منها الطابق الثالث للبيت .. وصعد الاثنان يتحسسان طريقهما على الضوء الخافت لمصباح البترول المعلق فى (بئر السلام) .. فلما بلغا الطابق الثانى لفت فنحى زميله الى راحة كريهة كانت تنبعث منه ، فوافعه هذا ، لكنهما واصلا الصعود مرجئين الامر الى الغد . وفى الصباح المبكر ، لاحظ كل منهما عند خروجه الى عمله أن الرائحة قد فاحت أكثر من الامس .. ثم تكررت الملاحظة عينها عند عودتهما فى المساء .. وصارت الرائحة خانقة لا تطاق ، فتشاورا فى الامر مع جاريهما « لطيف مسعد عبد النور » و « نجيب سعد عبد النور » اللذين يتقاسمان غرفة الطابق الرابع ، فعزز هذان شكواهما ، وتبادل الاربعة الشكوك .. فقال لطيف انه لا بد أن تكون فى غرفة الطابق الثانى « حاجة ميتة » لم تتنبه لها ساكنتها - مالكة البيت - قبل سفرها منذ أيام الى كوم حمادة لحضور قضية لها ... كما أنه ليس غريبا ألا يكون قد تنبه للرائحة زوجها أو زوجته الاخرى التى تقطن معه غرفة الطابق الاسفل ، فانهما بدورهما غائبان عند شقيق الزوج فى اتياء البارود .

.. وذهب « ربيع » الى قسم الوايل لاتخاذ الاجراءات اللازمة لكسر الباب واخراج « الشئ الميت » ، فانتقل معه الى البيت كل من الملازم الثانى احمد حسن الصبان ، وشيخ الحارة عبد الله الشلبى ، وعسكرى الداورية عبد المجيد شلش . ويقول أولهم فى محضر الانتقال : « وتأكدنا من أن الرائحة الكريهة منبعثة من الحجرة التى تقع بالدور فوق الارضى ، وهى التى تسكنها المدعوة حسنة بسيونى عبده صاحبة المنزل . فعالجنا فتحها ، ولما دخلناها وجدنا فى وسط أرضيتها ثلاث جوالات داخل بعضها وبداخلها جثة آدمية ملفوفة فى ملاءة من القماش . وبمعانتها وجدنا الجثة ينقصها الجزء العلوى بأكمله بما فيه



الرأس والذراعان • ووجدنا
قدميها مقطوعتين من الركبة
وملفوفتين في قطعة قماش أخرى
بداخل الاجولة ، ووجدنا الجثة
في حالة تعفن رمي شديد ،
ولاحظنا وجود بقع دموية
بالجوانات كما وجدنا بالحجرة
سريرا ودولابا وبوفيه وبضعة
كراسي •• ووجدنا الدولاب
مغلقا والسرير في حالة غير
منتظمة ، ولم نشاهد آثارا
أخرى تفيد التحقيق •• الخ »

•• وتولى الاستاذ « أنور أحمد » ، وكيل نيابة مصر وقتئذ ،
دفة التحقيق

*

◆ منذ عشرين سنة ، كانت حسنة بسيوني عبده قد جاوزت
الخمسين وتقلبت في الحياة •• تزوجت أكثر من مرة ، ولكن
في كل مرة كان زوجها يطلقها أو يموت ، دون أن تنجب منه
نسلا ، فتتحرك فيها غريزة الامومة أقوى وأعنف مما كانت ••
وتغريها « بتجربة » زوج جديد ! •• حتى بلغت الخمسين
وصارت في خريف الحياة •• فتشبثت بالحياة ، وأمعنت في
التصابي ! •• وألقى الجوار في طريقها شابا في عنفوان قوته
وصبوته ، شابا في الخامسة والعشرين ، فمناها شبابه
بحلمها : الزوج ، والولد •• وذكرها بربيع حياتها الذي
انصرم ، فأرادت أن تسترجعه ، أو في القليل تتمثله •• ولئن
لم يسع الشباب اليها فلتسع هي اليه •• ولتزوج من هذا
الشاب الذي كان في مقام ابنها !

ولم يكن فيها ما يغرى ، ولكن كان عندها ما يطمع . فتوسلت الى غرضها بالمال ، بدل الجمال . . . فقد كانت تملك المنزل الذى تقطنه ، ومصوغات من الذهب ! . . . وكان الفتى فقيرا ، وضيقا ، لا تتناول آمانيه الى مستوى أسرتها و « ثروتها » ، فلم تكذ تلوح له بسلاحها حتى رضخ . . . وضعف !

وكان هذا الزواج ، غير المتكافى ، بداية المأساة ! . . . فلم تمض أعوام حتى بدأت تتغل على الزوج وطأة الاحساس ببعده الشقة بين شبابه المشرق ، وحياتها المنحدرة نحو المغيب . ولكن المغيب تأخر ، فبدأ الزوج يضجر . . . ويتململ . . . ويتعجل النهاية . . . كى يتحرر من قيد هذه الزوجية . . . حتى يئس من الانتظار ، فاختمرت فى ذهنه فكرة الزواج من أخرى أثناء حياة الاولى . . . ما دامت لا تنوى أن تموت !

وعندما تم هذا الزواج - فى سنة ١٩٤١ - وزفت الى الزوج الذى كان قد بلغ الأربعين ، زهرة جميلة فى الخامسة عشرة هى « دولت حافظ فرج حلاوة » . . . كان القدر يكتب فى لوحه : الفصل الثانى من المأساة !

عاش عبد الحلیم مع عروسه الجديدة فى منزل أهلها بروض الفرج ، أكثر من عام . . . تاركا زوجته العجوز فريسة لاعنف غرائز النساء : الغيرة ! فتمردت على هذا الوضع . . . وما زالت به ، تزین له أن يحضر عروسه الى غرفة تفردا لهما فى بيتها ، حتى قبل ! فاحتل الاثنان غرفة الطابق الاول من الدار ، وقنعت هى بالعيش فى غرفتها منفردة . . . وحين عجزت الجنيهات الثلاثة التى يتقاضاها الزوج من عمله - كساع بمصلحة الاملاك - عن أن تسد مطالب الاسرة ، تكفلت هى بالباقي . . . كما تكفلت بتمكينه من أداء فريضة الحج معها ، وعلى نفقتها !

ثم مضت شهور . . . حتى فاحت من غرفة العجوز ذات مساء رائحة كريهة ، واكتشفت بقايا جثة !

ولندع التحقيق يكشف الستار عن بقية فصول المأساة . . .

اختفاء !

♦ كان الجيران أول من سئلوا في التحقيق : فقرر « ربيع عبد الغفار » - المبلغ - أنه لم ير القتيلة طيلة الاسبوع ، منذ مساء الخميس ٢٥ نوفمبر . وأن غرفتها قد ظلت مغلقة بعد ذلك . أما زوجها فكان يراه في حجرته الى ما قبل اكتشاف الحادث بيومين ، أى بعد بدء انبعاث الرائحة ، ثم اختفى . وأما الزوجة الشابة فهي غائبة منذ شهر ، وقد قال زوجها لكل من سأله انها عند أخيه في اتياء البارود

ثم سئل بقية قاطنى البيت - وهم : فتحى ماهر سليم ولطيف ونجيب سعد عبد النور . - فعزوا كلام الشاهد السابق ، وزادوا عليه انهم عندما سألوا الزوج عن المجنى عليها ، بعد اختفائها بيومين ، أجابهم بأنها قد سافرت الى كوم حمادة لمباشرة قضية لها !

وأجمعت أقوال الاربعة على أن الزوج كان فى حالة مالية سيئة ، وكان دائما يقترض منهم مبالغ صغيرة . وأنه كان يقضى معظم أوقاته مع زوجته الشابة . أما علاقته مع القتيلة فكانت تشوبها منازعات مالية بشأن « قضايا نفقة » رفعتها ضده

فى هذه الاثناء كانت النيابة قد أمرت بضبط الزوج وزوجته الثانية دولت ، فى منزل أخيه باتيائى البارود ، فتم القبض عليهما وارسالهما الى القاهرة . . . وعندما ووجه « عبد الحلیم » بالتهمة أنكرها قائلاً ان القتيلة قد تركته منذ أسبوع وسافرت دون إخطاره عن الجهة التى ذهبت اليها ! فقاده المحقق الى مشرحة النيابة لعرض أجزاء الجثة عليه . فلم يكده يرى أوصال زوجته الممزقة حتى اعترته رعدة شديدة وقال انه يستطيع التعرف عليها وانها جثة زوجته حسنة بسيونى عبده . ثم عاد فقال انها ليست هى . . . ثم انها هى ! وظل يتخبط فى اجابته وكأنما

أثر « المنظر » فى أعصابه ، فتخاذل . . لكنه أصر على انكار ارتكاب الجريمة قائلا : « هى صحيح كانت واخذه على حكم بالحبس ، وبعدين اتفقت معها على أن أدفع لها كل شهر ١٢٠ قرشا ، وذلك على يد شيخ الحارة والسكان . وأنا سفرت مراتى دولت من شهر علشان حسنة تستريح فى المعيشة . وبعدين سافرت من كم يوم علشان أجيب دولت ، وما اعرفش حصل لحسنة ايه »

ثم جاء دور دولت فى التعرف على الجثة ، فجزمت بأنها جثة « ضرتها » ، قائلة انها قد ميزتها من بروز « عظمة ابهام قدمها اليمنى » الذى لاحظته كثيرا وهى تعينها على الوضوء ! وغلب الفتاة التأثير فاستخرطت فى البكاء . . وعندما تماكنت نفسها استجوبها المحقق فقررت أنها وحسنة كانتا متحابتين ، تقضيان النهار كله معا ، فى غرفة احدهما . وقالت ان المجنى عليها كانت قد وقفت البيت الذى تملكه على زوجها ، ولكنها عادت فمزقت العقد حين تم زواجه الثانى منها هى ! . ثم شرحت الفتاة ظروف سفرها الى اتياى البارود قائلة ان زوجها قد أخذها قبل الحادث بشهر لكى تقضى مدة فى ضيافة أخيه هناك « بحجة تغيير الهواء » ، ثم تركها وعاد الى القاهرة فى اليوم التالى . فلما اقترب عيد الاضحى ، أرسلت اليه فى اول ديسمبر خطابا تنبئه فيه باعتزامها العودة الى مصر صباح الجمعة ٣ ديسمبر ، ولكنها فوجئت بسفره اليها فى مساء الخميس بحجة انتوائه قضاء عطلة العيد فى منزل أخيه ! . فلما رفضت ، وافق على سفرها الى مصر على أن تقضى العيد فى منزل أهلها لا منزله ! ولكن فى صباح اليوم التالى فاجأهما البوليس بالقبض عليهما فى اتياى البارود ذاتها . .

ثم قالت ، ردا على سؤال من النيابة ، بأن المجنى عليها كانت تظهر فى الايام الاخيرة عزمها على وقف بيتها على قريب لها

يدعى حسين محمد على ، وان زوجها لم يخف حنقه عليها لهذا السبب ؟

.. وهكذا بدأت الحلقة تضيق حول رقبة المتهم .. وكانت زوجته الشابة هي التي أحكمت وثاقها .. بنفسها !

*

◆ على أن دور دولت في تدعيم الاتهام لم يقف عند هذا الحد ، ففي يوم ٥ ديسمبر انتقلت النيابة الى منزل الجريمة مرة أخرى وأجرت تفتيش غرفة المتهم التي كان يقيم فيها مع « عروسه » ، فعثرت على « قميص مدفون بين المرتبتين ، وهو من الزفير الابيض به أقلام طويلة زرقاء ، وفي وسطه بقع وتلوثات دموية .. كما وجدت في منتصفه من الامام بعض أجسام محمرة داكنة اللون لاصقة بالنسيج ، يرجح أنها قطع صغيرة من اللحم ! فلما عرض القميص على دولت قررت أنه قميص زوجها ، وأنه كان يتركه عادة بغرفة القتيلة !

ثم صعد المحقق بعد ذلك الى غرفة المجنى عليها فوجد بها « طشت » غسيل ، يرجح أن به أثر دم ، وقرمة من الخشب - كالتى يستعملها الجزارون في قطع اللحوم - طولها ٤٥ سنتيمترا ، وبها تلوثات ، يرجح أنها دموية ، وان كان الظاهر أنها قد غسلت لازالة أثر الدم ..

أعيد استجواب المتهم على ضوء هذه التطورات ، ولكنه أصر على انكار ارتكاب الجريمة ، كما أنكر أن القميص له ! .. فلما قيل له ان زوجته قد تعرفت على القميص ، أسقط في يده فقال : « لا مش بتاعى ، ولكن اذا كانت دولت تقول كده يبقى بتاعى ! .. ثم عاد فعدل قائلاً : « أبدا مش بتاعى وما وضعتوش على جسمى أبدا وديه مش هدومى » .. وازاء هذا رأى المحقق أن يقطع عليه السبيل ، ولنتركه يصف المنظر فى المحضر : « لبس المتهم القميص المضبوط ، فانطبق على جسمه تماما ، واستقر

كتفاه فى موضعهما ، وعندئذ أخذ المتهم يصيح قائلاً : « أبداً
مش بتاعى ومش قميصى » وأخذ يحاول خلعه عنه مراراً ورفض
إبقاءه على جسمه ، وكان فى حالة هياج شديد ، يحاول التخلص
من القميص !

واستمر التحقيق يتقدم بعد ذلك بخطى واسعة . . فشهد
ابن عم القتيلة - وهو ترزى يدعى عبد العزيز على لمعى - بأنها
كانت قد زارته فى منزله قبل الحادث بحوالى شهرين ، وشكت
إليه من أن زوجها قد جثم على صدرها وحاول خنقها « وطبق
ضلعوها » ، وكانت رقبتهما ما تزال تؤلمها من أثر المحاولة ،
فأضافها الرجل عنده فى تلك الليلة ، وفى الصباح أخذها إلى
طبيب من أقربائها ليتولى علاجها . . ثم عادت إليه منذ نحو
عشرة أيام وهى منزوعة ، لأن ساكنها كان يقطن غرفة بمنزلاتها
حذرهما من نيات زوجها قائلاً أنه قد عرض عليه بمناسبة
انتقاله من البيت أن يعاونه على قتلها ووضعها فى جوال يأخذه
معه ضمن متاعه ، فلا يتنبه للجريمة أحد !

وشهد نفس الشاهد بأنها كانت تملك بضع مصوغات
ذهبية ثمينة رآها تتزين ببعضها يوم أن زارته . وقد اختفت
هذه المصوغات فلم يعثر لها المحققون على أثر !

.. وشهد الطبيب ، قريب المجنى عليها ، بما يؤيد رواية ابن
عمها عن حادث محاولة زوجها خنقها ، وأضاف أنه (هو) قد
تولى علاجها بنفسه ، وبقيت فى منزله نحو أسبوع حتى
شفيت . ثم زاد على ذلك أن الزوج - فى مرة أخرى - سرق
مصوغات زوجته وهربها ، فلما استدعاه الطبيب وأحرجه ادعى
أنه كان يحفظها لها فى مكان أمين ، واضطر إلى إعادتها !

وجاء شاهد آخر يدعى « حسين محمد على » برواية هامة
تعزز الاتهام ، فقرر بأنه غضب من زوجته ذات يوم فاعتزم أن
يقيم مع قريبته المجنى عليها ، بناء على إلحاحها ، وأخذ متاعه



فعلا على عربة صباح يوم الاحد ٢٨ نوفمبر . فلما وصل طرق الباب العمومي ففتح له المتهم ، وتجنب أن يدعه يدخل ، بل حرص على أن يخرج هو اليه . ثم أجابه بجفاء بأن زوجته غير موجودة ، وأنه لا يمكنه قبول المتاع بالمنزل ، ثم نهره وطرده . . . ففسر الرجل ذلك بأنه من تأثير حنق المتهم عليه بعد علمه أنه هو غريمه الذي قررت زوجته وقف بيتها عليه ،

بل وسلمته فعلا الاوراق اللازمة لاتمام اجراءات الوقف ! وهكذا تراكمت على المتهم القرائن وحاصره الشهود من كل ناحية . .

ولكن عماد الاتهام الذي لا يقف بدونه على قدميه ، ظل رغم ذلك مفقودا . . فقد فشلت جميع الجهود التي بذلت للعثور على النصف الآخر من جثة القتيلة ! . . والنصف الذي وجد لم يكن يحمل الدليل على أن تقطيع أوصالها كان هو سبب الوفاة . أو كان حسب التعبير الفني «حيوبا» ! . . وما من شيء ينفي بصفة قاطعة افتراض أن تكون الجثة قد قطعت على هذه الصورة « بعد » الوفاة الطبيعية . . لحكمة خافية !

الحلقة المفقودة

♦ وهكذا ظل الاتهام معلقا ، أياما . . حتى تلقى بوليس الوايلي في ٢٥ يناير سنة ١٩٤٤ بلاغا من الساكنة التي أعقبت القتيلة في شغل حجرتها ، وتدعى (ياسمين على) ، تقول فيه انه بينما كانت أختها فتحية

عبد الرسول الجندى تعاونها على نشر « ثياب الغسيل » فوق سطح المنزل ، عثرت فى مخبأ بعيد عن الانظار على « صفيحة » يحوم حولها الذباب والدود ، وتنبعث منها رائحة خانقة ، فلما حركتها بقدمها فى اجفال تدحرج منها رأس بشرى وقطع متآكلة من اللحم !! فصرخت مذبذبة واستغاثت بالجيران

... وبالفحص الدقيق بواسطة الطبيب الشرعى المساعد (الدكتور كمال السيد مصطفى) ، ثبت أن الوفاة « جنائية » ، وأن صاحبة الجثة قد ماتت مخنوقة بضغط شديد على عنقها ، تسبب عنه كسر العظم اللامى ، كما استعمل العنف فى ازهاق روحها وذلك بضغط على صدرها تسبب عنه كسر الاضلاع ، كان جثم الجانى على صدر المتوفاة وخنقها بيده على سبيل المثال ! »

(صدر عن دار فحص الموتى فى ١١ مارس سنة ١٩٤٤)
... وأخيرا ، فى ١٣ ابريل وقع « رئيس نيابة مصر » تقرير الاتهام فى هذه الجناية (رقم ٤١٦ الوايل سنة ١٩٤٤ - ١٤٠ كلى سنة ١٩٤٤) وقد جاء فيه ان النيابة العمومية تتهم « عبد الحليم عطيه دسوقى ساعى محبوس بسجن مصر » :
« لانه فى خلال المدة من ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ الى اول ديسمبر سنة ١٩٤٣ بدائرة قسم الوايل بمدينة القاهرة :
« قتل عمدا زوجته حسنة بسيونى عبده ، بأن جثم على صدرها وخنقها قاصدا من ذلك قتلها ، فأحدث بها الاصابات الميينة بالتقرير الطبى الشرعى والتى أودت بحياتها . ثم فصل رأسها وقطع أوصالها ، وكان ذلك مع سبق الاصرار ! »

*

♦ وفى قفص الاتهام ، بقاءة محكمة الجنايات ، جلس المتهم فى ذلك اليوم ينتظر النطق بالحكم .. ساهما ، شاردا كالمذهول ! ترى فيم كان يفكر ؟ وأية أطباف من الذكريات دهمته ؟ اطف ليلة الجريمة .. وهو فى غرفة ضحيته يشاركها طعام

العشاء ويناولها طبق (الكشرى) بنفس اليد التي كان يهيئها
للإطباق على رقبتها بعد لحظات ثم لتقطع أوصالها .. وتركها
طعاما للديدان ؟؟

... أم طيف يوم الحج قبيل تلك الليلة بشهور معدودات
- وهو واقف معها في عرفات ، أو متعلق بأستار الكعبة ،
يستغفر ربه عما تقدم من ذنبه .. وما تأخر ؟!
.. ونطق القاضي بالحكم .. بالاعدام شنقا !
.. ففرت من خيال الجاني جميع الاطيف ، تاركة مكانها
لطيف واحد مخيف : حبل المشنقة !

وزارة الاشغال العمومية

ادارة القوة الكهربائية المائية
تعلن ادارة القوة الكهربائية
المائية بوزارة الاشغال العمومية عن
تقديم عطاءات عن تشغيل وتوريد
اثاث خشبية لازمة لتأثيث منازل
الاخصائيين الاجانب بمستعمرة
تفتيش توليد الكهرباء من خزان
أسوان .

ويمكن ابتداء من ٢٠ مايو سنة
١٩٥٤ الحصول على شروط العطاءات
والمواصفات والرسم من ادارة
القوة الكهربائية المائية بمبنى وزارة
الاشغال العمومية نظير مبلغ وقدره
مائتا مليم خلاف سبعون مليم
للبريد وقد تحدد ظهر يوم ٢٠
يونيو لفتح المظاريف بالادارة
بالقاهرة . ويكون طلب المواصفات
على ورقة تمغة فئة خمسين مليم .

٧٦٥٧

اعلان

يتشرف المدير العام لمصلحة
الاملاك الاميرية باحاطة الجمهوران
المصلحة ستعرض للبيع بالتقسيط
وبالمزاد العلني بجلسة ٢٤-٦-٥٤
اراضى اميرية كائنة بمحافظة
مديرية الجيزة قسم امبابة ناحية
أبو رواش يبلغ مسطحها ٢٣٦
مترا مربعا تقريبا مكونة من عدد ١٠
قطع بثمن أساسى قدره ٩٤٥٤ ج ٢٠
وستعقد الجلسة من الساعة ١٠
صباحا لفاية الساعة ١٢ أفرنكى
ظهرا بديوان مصلحة الاملاك
الاميرية

وتطلب البيانات من ديوان المصلحة
١٥ شارع منصور بجوار وزارة
المالية بالقاهرة أو من ديوان مديرية
الجيزة أملاك

٧٧٢١

عزيزى القارىء . . .

هذا باب جديد احسبه قد طاف
بخيالك منذ زمن . . ففى كل شهر
تخرج المكتبة العربية عشرات من الكتب،
لعشرات المؤلفين ، فى شتى الموضوعات
. . وانت حائر لا تدري ايها تقرا وايها
تدع - فان وقتك لن يتسع لقراءتها
جميعا ولا سك ، ومن العسير عليك
ان تعرف ما يوافق ذوقك من المطبوعات
من مجرد معرفة اسم الكتاب واسم
كاتبه . . بل ان تصفح الكتاب بين
يديك فى المكتبة التى تبغىه لن يكفى
كى تعرف عنه ما تود معرفته من ابوابه
وجزئياته . .

لذلك رايت ان افتح لك فى «كتابى»
هذا الباب الذى سيقدم اليك فى كل
شهر ملخصا لاهم كتاب ظهر خلال الشهر
المنصرم ، فى اسلوب يكاد يكون هو
اسلوب كاتبه ، وبعبارات اكثرها عباراته
ذاتها - او على حد التعبير الانجليزى
In the author's own words
- كما تلم المامة وجيزة بالكتاب ،
فتقنيه اذا راقتك مادته ووافقت هواك،
او تقنع بهذه الخلاصة اذا آثرت عليه
كتابا آخر . . وهكذا يستطيع كل قارىء
ان يقتنى اقرب الكتب الى ميسوله
ومزاجه

وسبق ان قدمت لك فى هذا الباب:

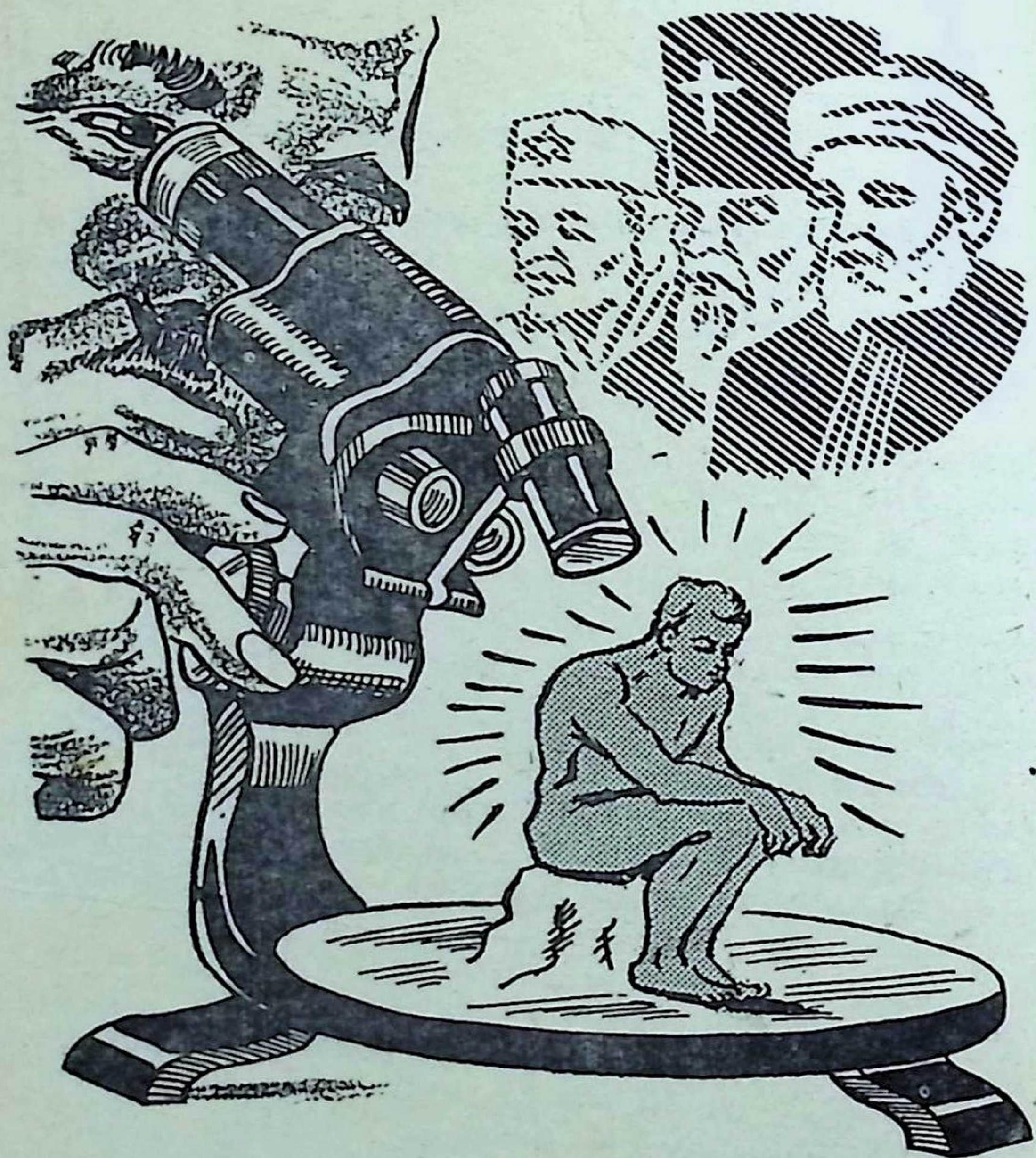
ابو نواس : للعقاد

الهوى والشباب : بشارة الخورى
واليوم اقدم لك هذا الكتاب الذى
احدث ظهوره ضجة كبرى ، « هذا . .
او الطوفان » للكاتب الشائر خالد محمد
خالد

نحن فى ركب الأدب



ظهر فى المكتبة العربية



خالد محمد خالد

هزأه أرا الطوفان!

١ - هنا .. لا هناك

♦ « بدون شجاعة لا توجد حقيقة ، وبدون حقيقة لا توجد فضيلة »

♦ لست أعرف شيئاً عن سر الاله ..
ولكننى أعرف أشياء عن بؤس الانسان »

♦ منذ اكتشف الانسان نفسه وهو يعمل دائماً لترقيتها .. ولقد ثبت فى روعه منذ يومه البعيد الذى نهض فيه ، انه يسير الى أفضل .. وكان لا يفتأ يذكر الزواحف المهولة والحيوانات الجبارة ، تلك التى كانت معه فى سباق لاهث للسيادة على هذا الكوكب وامتلاك زمامه .. لقد عجزت هى عن التكيف ولم يعجز هو .. اصطنع التقاليد والاخلاق ليؤمن بها الارض التى يقف عليها ، ويدعم بها حاضره .. ولبث وهو ماض الى مستقبله يعدل من اخلاقه ، ويتسامى بتقاليده وعاداته ..

ولكن التناقض الذى تتشع به انظمتنا ليكاد يربنا فى ان تكون اخلاقنا سائرة الى أفضل .. فنحن نحرم الرقيق عندما يكون « بيع فرد لفرد » ، ونجيزة بل نتسابق فيه عندما يكون « بيع أمة لأمة » .. فالسلاسل القديمة وضعت اليوم تحت اسم « المنفعة » .. والسخرة القديمة وضعت اليوم تحت اسم « التعاون » .. وأسواق الرقيق صار اسمها « المنظمات الدولية ! »

ومع هذا فليس لليأس مبرر .. فارادة التسامى والقدرة عليه جزء من طبيعتنا ، ولكن علينا أن نشحذ العقل ونمكنه من جميع سلطاته .. فان هناك قوتين خارقتين تتنازعان العقل الانسانى وتتوزعانه : هما الدين والعلم فلنتبع مصير الاخلاق بين العلم والدين ..

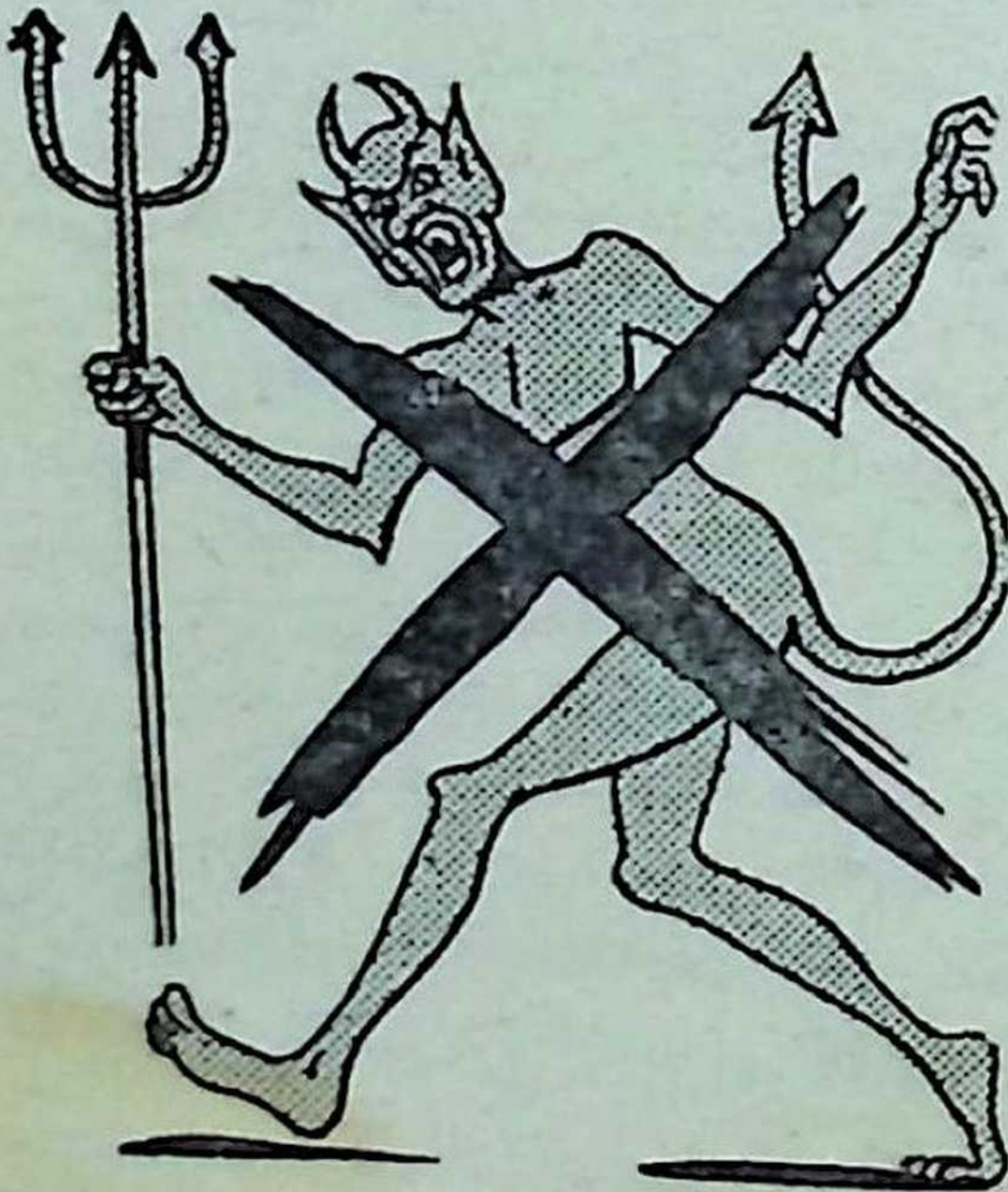
كان من الطبيعى أن يدعو الدين الى الفضيلة ، ولكنه يحصر اهتمامه فى الله .. ويهيب بالناس أن يصيروا آلهة .. وأهدى السبل لكى لا تطاع ، ان تأمر بما لا يستطاع ..

لقد نادى المسيح عليه السلام : « لا تقاوموا الشر » .. وجاء محمد عليه السلام ليقول : « تخلقوا بأخلاق الله » ولكن الله سبحانه يقاوم الشر كما لا يقاومه احد ، فكيف اذن يطالب الانسان بأن يكون أكثر الوهة من الاله ؟ .. وكيف السبيل الى التخلق بأخلاق الله ؟ .. ان ثمة استحالة مادية تعترض طريقنا ، فنحن البشر لنا أمعاء يحتشد فيها الميكروب احتشادا يدفع النفس مكرهة الى سلوك ما لا ترضاه .. ولكل انسان كبد وغدد ،

إذا أصاب أحداها الخلل سرت العدوى في غير إبطاء إلى سلوكه فجعلته غضوباً ، أو مدمناً ، أو عريداً .. أو غير ذلك من الصفات التي يقول العلم إنها تنشأ - إلى حد كبير - من افرازات الغدد وتأثيرها ..

ومع ذلك ، فقد ظلت تعاليم الدين موضع تقدير العلم وإجلاله . وهب من العلماء من جعلوا رسالتهم التوفيق بين المثالية التي تدعونا إليها السماء ، والواقعية التي تجذبنا إلى الأرض .. حتى جاء من بعد الأنبياء خلف أمعنوا في تجاهل الإنسان ، وشقوا على النفس الإنسانية وارهقوها حتى سئمت العمل الصالح وتراخت قبضتها على الفضيلة .. وبالفوا - عن سوء قصد - في تخويفها بالمجهول ، حتى صمم الإنسان على اكتشاف ذلك المجهول ، فلما لم يجد هناك شيئاً يخيفه ، هم بأن يمرق من كل قيد فاضل .. لولا أن العلم كان هناك في الانتظار ، فأعطى الفضيلة معاني جديدة ، وبث في قلوب الناس وعقولهم اقتناعاً لا ينبعث من رهبة ولا جبروت ، بل من واقع الحياة الإنسانية وتجاربها واحتياجاتها .. ولم يجحد العلم فضل الدين وضرورة بقائه في الميدان ، ولكن بعد تطهيره من بعض رجاله أولاً ، ومن الطفيليات التي أقحمها عليه بعض الأشرار ثانياً ..

فلنفهم جيداً ، أن أخلاق الإنسان حين تدرس ، إنما ينبغي أن تدرس على ضوء صلة الإنسان بالأرض ، لا بالسماء .. ولندرك أن سلوك الإنسان ليس نتيجة لتدخل من الله ، ولا لتدخل من الشيطان ، وإنما هو ثمرة الإنسان وحده ، ثمرة أعصابه ، وغدده ، وغدائه ، وتربيته ، وأسرته ، ومجتمعه ..



لقد وضع العلم الإنسان تحت مجهر كبير ، واكتشف العقد الخبيثة التي تضله وتفويه ، وأعطى التصورات الدينية للشيطان والقلب والروح ، مفاهيم واقعية صحيحة .. منها أنه :

◆ ليس هناك شياطين !

وإنما لكل إنسان غرائز ، وكل غرائزنا نافعة ، وطريقة استخدامنا لهذه

الفرائض هي التي تثمر ما نسميه خيرا ، وما نسميه شرا .. واذن فالخير هو الاستخدام السوى لفرائضنا ، والشر هو الاستخدام المنحرف لها .. ثم ، ما هذا القلب الذي يسكنه الشيطان ؟ .. وما معنى صلاح القلب وفساده حين قال الرسول عليه السلام : « الا وان في الجسد مضغة ، اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب » ؟ .. انما يعنى الرسول بالقلب الارادة ، وبهذا يحقق معسرة ونبوءة .. فغاية ما وصل اليه علم النفس ان سلوك الانسان الذي هو ثمرة عوامل كثيرة يسيطر عليه عاملان : الارادة ، والاندفاع .. وهذا يقودنا الى المفهوم الثانى الذى كشف عنه العلم ، وهو ان :

♦ التدين قد يكون انفعالا مرضيا !

اذ لا بد لتحرير سلوكنا من معوقات نموه وتهذيبه ، ان نفرق بين تبعاتنا الدينية ، وتبعاتنا الخلقية .. انك تستطيع ان تصلى وتصوم وتحج ، وانت مشحون النفس بالعقد المكبوتة .. ولكنك لن تكون قط صاحب ذات منظمة وطيدة ، وسلوك مكتمل ، وفيك هذه الشحنة المدمرة .. والصلاة مثلا ، لن ترد عن سلوكنا الآفات التى تعترضه ، كالخجل والخوف والتطلع الجنىسى ، وانما تردها تلك الوسائل التى استحدثها علم النفس والتربية والاخلاق .. فالصلاة مضافة الى هذه الوسائل العلمية تكون عاملا مساعدا .. وما اكثر الرجال الذين يؤدون الطقوس الدينية ، ومع ذلك يظلون مجردين من الاخلاق الفاضلة ، الكريمة !

والتدين كثيرا ما يكون انفعالا مرضيا لعقد مكبوتة .. وقد لا يكون انصراف شبابنا - حين ينصرفون فى اعقاب المراهقة او خلالها - الى المسجد او الكنيسة ، فضيلة واستقامة .. ففى هذه السن تتحرك الفريزة الجنسية ، وتقف ظروف بعض الشباب عقبة فى طريقها ، ويكاد يسحق شخصيتنا ذلك الجذب الشديد بين الرغبة والعجز ، فيهب العقل الباطن لانقاذنا من هذا التردد الموثس ، فيشير نحو المسجد او الكنيسة ، ويوحى لعقلنا الواعى بالهرب شطر احدهما .. الهرب من الواقع الذى عجزنا عن تقبله والتفاعل معه .. وهكذا يتدين الشاب فى هذه السن .. وليس هذا السلوك الطارئ سوى انفعال مرضى ، حالة نفسية وجد فيها ملاذا وخلصا من شقاء التردد ولفح الفريزة ، وما الدين سوى اطار لهذه الحالة وعنوان ..

والحقيقة الثالثة التى افصح عنها العلم :

♦ ان الانسان لا يولد كاملا ، ولا يولد ناقصا

.. لا يولد خيرا ، ولا يولد شريرا .. انه يولد وحسب .. وهو مجموع خليط عجيب دقيق من الاعضاء والاعصاب والدم والامعاء والغدد .. وبين

سلوكه وهذه الأجهزة صلات أشد متانة ووثوقا مما بينها وبين كافة المواقف والقوانين .. انها تؤثر في أخلاقه تأثيرا جما لا يكاد يضاهيه سوى تأثير التربية والبيئة .. وكل خلل ينتاب أجهزة الجسم يعقبه خلل في النفس والأخلاق .. فهذه الغدد التي تسرف في افرازها فتسبب لنا شعورا جنسيا ينقلنا الى الخطيئة ، أيمن أن ننتعها بالرديلة ؟
ان هذا يدعونا الى تغيير مناهجنا في تكوين الاخلاق وتحسين السلوك، والاعتراف بواقعية هذه المؤثرات ..

٢ - طبيعتنا الحرة .. أعلم

♦ **وخير ما نفعله لاكتساب شخصية مكتملة ، وسلوك فاضل ، أن نجعل الاكتمال والفضيلة جزءا من طبيعتنا ، وهذا لا يتأتى الا اذا توافر لطبيعتنا الانسانية اقتناع كامل بأن الفضيلة مرادفة للسعادة .. والسعادة هنا تعنى التوافق المتناغم بين شخصيتنا الماثلة وشخصيتنا المرجوة .. بين طبيعتنا ومثلنا الأعلى .. ولا شك ان الشخصية السوية - التي تكون حياتها تعبيرا سليما وافيا عن غرائزها واحتياجاتها - هي وحدها الخليقة بأن تكون فاضلة وسعيدة .. فالسعادة هي الحالة الوجدانية الفرحة التي نجدها حين نعبر عن غرائزنا الراسخة تعبيرا متوافقا .. وبذلك نستبعد اسطورة « السعادة الروحية » التي تقوم على تحطيم الجسد وجحود طبيعته .. وليس معنى هذا اهمال « التقوى » ، ولكن معناه ارتفاع محاولات الاكتمال الخلقى نحو نقطة أعلى ، كشف عنها العلم والتجربة .. فالتقوى هي أن تتوقى ضراوة الفريزة بخنقها .. أما السعادة فهي أن تروض الفريزة ثم تمتطي صهوتها وتنطلق بها في سياحة بهيجة عبر حياتك الممتلئة السامقة**

♦ الدين والخطيئة !

والدين قد سمي اخطاءنا السلوكية ذنوبا وخطايا ، وعلم الاخلاق اسمها رذائل وعيوبا .. وهدف الاثنين هو التنفير من الاخطاء ، ولكن الانسان قد بالغ في تصور هذه الدلالات الى حد أنها لفحت الضمير الانساني بشعور طافح بالدونية ، واحتقار الذات ، والاحساس النابح بالاثم !

والدين لم يظلم الناس .. اذ لم يكن بد في الماضي السحيق من أن توضع اخطاء السلوك تحت عدسة مكبرة لتبدو للمستهترين فادحة التبعات .. وهذا ما فعله الدين .. ولكي يقر الخوف من العقاب كحافز يدعو الانسان الى أن يضبط سلوكه ، ربط هذا الخوف بالجهول .. ولكن الناس

غالوا في الخوف حتى اختلطت الخطيئة
بالجزاء المرقوب لها اختلاطا كاد يأخذ
على الناس ممالك الأمل والنجاة ..
مع أن الرسول كان يزيح عن كواهل
الناس هذا الغائض من الخسوف ،
فيقول : « ان الحسنات يذهبن
اليئات »



النفخ في بالون
« التخويف من الخطيئة »

واذا كان الخوف المدمر ينبع من
مبالغتنا في تقدير الخطيئة ، فقد عني
الدين الصحيح بأن يلاشى هذه المبالغة
من وجدانيات الناس

ولما كانت للمسألة الجنسية وطأة
شديدة على الناس ، سيما أولئك
الذين لا يقدرّون على الزواج ، فقد
هدم الرسول وطأتها حين قال: كتب الله

على ابن آدم حظه من الزنا ، مدرك لا محالة .. فزنا العين النظر ، وزنا
اليدين اللبس .. وذكر أن العضو التناسلي يصدق هذا أو يكذبه .. أي أن
كل إنسان في طور شبابه يخضع لانفعالات عاطفية ، إذا لم يسمح لها بأن
تتحول إلى خطيئة جنسية كاملة ، فإنه لا يكون قد أتى أثما

والعادات التي يتكون منها سلوكنا مستمدة من الاتجاهات والعقد ..
فالعادات الفاسدة ترجع إلى عقد مرضية مكبوتة .. والعادات الصالحة تنتج
من الاتجاهات المستسفة ..

وكما أننا لا نعالج مرضا عضويا بتعذيب صاحبه ولا بالمواظب الدينية ،
فكذلك يجب أن يكون سلوكنا مع المريض بمرض خلقى كالسرقة والكذب
.. الخ

♦ الدين .. وتفسير الدين !

ردد رسولا المسيحية والاسلام ان الله غفور رحيم ، يقبل التوبة
ويطهرنا من كل اثم .. ولكن القصص الصوفى حاول أن يخلق فينا ادمان
الشعور بالاثم ، مما يسبب لنا حالة وجدانية رديئة ومؤذية هي « الاشتمزاز
من النفس » .. مع أنك لكي ترتفع بنفسك لا بد أن تكون على وفاق معها
واحترام لها

اننا نبيع الشعور بالخطأ ريشما نصححه ونتحامي العودة اليه ، ولكننا نرفض ادمان الشعور بالاثم والايفال فيه .. فلو لم يكن له من ضرر سوى وقف اهتمامنا باكتمال أنفسنا وترقيتها ، لكان كافيا ..

ووجداننا يستمد المخاوف والمشاعر الحادة بالخطيئة من التحريم .. ولسنا نقصد بهذا الغاء القوانين ، أو اباحة ما حرم الله .. وانما نقصد أن الاسراف في التحريم شيء يضعه الدين والعلم موضع الاعتبار ، لأن الاغراء وليد التحريم .. ونحن نعتبده التحريم حين نريد تصور السلوك الانساني وتشخيص علله ..

ان غاية ما يصنعه التحريم ان يضبط السلوك بعض الوقت ، دون أن يكون له على الباعث أي سلطان .. والسلوك المضبوط ، رهبة من عقاب أو رغبة في ثواب ، لا يدعو للاعتماد عليه ، فقد يتراخي انضباطه عندما تتراخي صلة الثواب أو العقاب به .. وما دام التحريم عديم السلطان على البواعث ، فان الاسراف في استعماله بحجة حماية الاخلاق لفو عظيم .. ومن اذكي لفتات الرسول : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى »

فاذا اردنا للمجتمع اخلاقا فاضلة ، فلنهيء له البواعث الفاضلة ، التي تجيء ثمرة الارادة المشحوزة ، والتجربة الحرة ..

◆ فلنثق بفرائز الانسان الطبيعية ..

ان حياة الفرد صورة موجزة لحياة النوع جميعا .. ولقد اقترفت الانسانية من الاخطاء والخطايا ما يجسل عن الوصف والحصص حتى بلغت شأوها الحاضر .. وكذلك يفعل الفرد .. فكلنا نشق طريقنا الى الفضيلة والمثل الاعلى بين عناصر غريبة عنهما ومعادية لهما .. وكما ولدت قسوة الطبيعة في الانسان ارادة وذكاء قاوم بهما اعاصيرها وزلازلها ، فكذلك تولد فينا تلك العناصر الغريبة قوى تقاومها وتنتصر عليها .. ولكن علينا ان نشق بالطبيعة الانسانية فهي عدتنا في النضال .. وقد علمنا تاريخ الانسان وتطور غرائزه وخصاله ، ان نشق بهذه الغرائز .. فالحق المشاهد أنها تسير في طريقها عن بصيرة ، وانها ماضية دائما الى الامام .. وقد قصت ملايين السنين وهي تعمل ، وتجرب ، وتخطيء ، فنمت قدرتها الفائقة على الاختيار ، والخلق ، والتصميم ، نموا مطردا .. وهي لا تبعد بل تتطور .. ففريزة الجنس مثلا تحولت من السبي والاغتصاب الى الزواج والاسرة .. وهكذا نجد ان غرائزنا لا تتعطل ابدا ولا تقف عن العمل ، ونحن حين نكبتها انما نحول طاقتها البناءة الى عمل هدام !

انها اعرف منا بالطريق ، لانها قبل أن ينبثق فينا العقل كانت رائدنا العليم البصير .. ليست غريزة الجوع هي التي حققت للانسان حريره واعلت حقوقه ، اذ لولاها ما قامت الثورات ؟
ولسنا ندعو بالطبع الى ترك جبل الفرائز على غاربها ، اذ لا بد من أن تسير في حمى العقل وهداية المثل الاعلى ..

٣ - المنبع ، قبل المصب

♦ مما لا شك فيه ان الطبيعة الانسانية مضافا اليها النظام الاجتماعى يقرران السلوك ويعينان الاخلاق التى يتخلق بها الفرد والجماعة .. واذا علمنا أن المجتمع أقدر على التطور السريع الصاعد ، من الطبيعة البشرية ، فقد صار لزاما علينا أن ننتفع بقابلية المجتمع هذه ، ونمكنه من التحول الحاسم الى أفضل ، ليعوض تطور طبيعتنا البطيء ..

ونقطة البدء هي تحديد القاعدة التى يقوم عليها مجتمعنا ، وادراك الاوضاع التى تكتنفه .. ومجتمعنا - بل المجتمع العربى كله - قاعدته المباراة غير المتكافئة .. وحيث يوجد هذا الوصف ، توجد النقائص الخلقية جميعها .. ومن هذا الوضع رسخت فى حياتنا مشكلات ثلاث : مشكلة العيش .. ومشكلة الجنس .. ومشكلة الفراغ .. فمجتمعنا : مجتمع استقلالى .. مجتمع انفصالى .. مجتمع عاطل !

♦ مشكلة العيش

كان العيش ولا يزال الملحمة الكبرى التى تتناثر منها حوادث السلوك الانسانى وعثراته .. وهى لا تجد مناخا ملائما سوى المجتمعات التى تقوم على المباراة غير المتكافئة .. حيث يلهث الناس وراء الثروة والشهرة والسلطة والنجاح ..

واذا كان تكوين المجتمع لا يسمح بنوال هذه الاشياء بغير الكذب والسرقة والنفاق ، فان الرذيلة تصبح سلوكا عاما ، وقوة اجتماعية ، تزكيتها وتدعمها المؤسسات التى يصطنعها المجتمع لنفسه ، كالصحافة ، والاذاعة . ولهذا يكون من العسير - ان لم يكن من المستحيل - أن ينجو الفرد منها !

♦ مشكلة الجنس

لكى يتستر مجتمع المباراة على جرائمه ، يفعل مظاهرات كاذبة مضللة حول شيء ما ، يشغل به الازهان عن خطاياه .. ولما كنا نحمل استعدادا

موروثا للاحساس الحاد بالخطايا الجنسية ، فقد اختارها المجتمع لتكون
المستار « البرافان » الذى يرتكب وراءه آثامه !

والانسانية منذ آلاف السنين تكافح الخطيئة الجنسية بالمواعظ
والزواجر ، فما يزيدنا ذلك الا ضراما .. ماذا كانت عاقبة المواعظ التى
اطلقتها المسيحية محذرة الرجل من المرأة والمرأة من الرجل ؟ .. كانت
العاقبة ان تحول النساء بادية الامر الى عاشقات ، او ساحرات ، او عذارى
فررن الى الدير .. حتى اذا دقت الساعة معلنة قدوم عصر النهضة ، هبت
الاباحية الجنسية اعصارا .. وصار الباباوات والقسيسون على رأس ائمة
العريضة ..

وحدث فى الاسلام رد فعل مشابه لهذا .. فمن منتصف القرن الثانى
الهجرى الى منتصف القرن الخامس ، جاوزت الاباحية نطاق الرشد ، وراج
الشذوذ الجنسى .. وكان بعض خلفاء العباسيين هم الرواد !

وذعر المجتمع الانفصالى من الخطيئة الجنسية لا يحول بينه وبين شر
الوان هذه الخطيئة .. الا وهو الكبت .. وهو اغلاق باب النمو الخلقى
امام المراحل الوافدة من حياتنا وتطورنا .. والآثار التى يخلقها الكبت
خطيرة : عشق الذات او العادة السرية .. عشق المثل او الشذوذ الجنسى
.. امراض النفس كالقلق والجنون ..

والكبت موجود فعلا فى مجتمعنا رغم المظاهر الخادعة .. ولا يكمن خطره
فى تدمير اخلاق ضحيته وحسب ، بل ويهدد سلامة الأمة ..

◆ مشكلة الفراغ

الفراغ النفسى كالفراغ العقلى ، وكالفراغ الزمنى ، كلها شفرات
(أمواس) حادة تحلق الاخلاق كما تحلق الشفرة الشعر ! .. ولكننا نظن ان
الفراغ النفسى هو النبع الذى يصب فى الرافدين الآخرين : فراغ العقل
وفراغ الوقت .. وهو ثمرة محتومة لمشكلتى العيش والجنس !

٤ - اقدم لكم الفضيلة ..

◆ والناس فى بلادنا اذا لم يجتازوا الطريق الى الفضيلة سيرا على
اقدامهم ، فلن يجدوا طريقا آخر اليها ! .. ومن الضروري ان تؤمن بأن لدى
جميع الناس قدرة على حيازة الفضيلة ، ولكن هذه القدرة وحدها غير كافية
.. الى ان يتعاون معها عاملان هامين :

الاول : يقع على عاتق الفرد.. وهو تدريب هذه القدرة تدريباً موصولاً ، بحيث تظل عاملة أو متأهبة للعمل

والثاني : يقع على عاتق المجتمع .. وهو أن يتيح لهذه القدرة ظروف العمل المثمر ، ويزيح من طريقها كل المخاوف والاساطير والعقبات وهناك أربعة أزياء للتربية لا بد لمجتمعنا من التدثر بها جميعاً ليصير على خلق عظيم : التربية الدينية ، والتربية الجنسية ، والتربية السياسية ، والتربية الثقافية .. وهذا بعض ما يدخل تحتها :

◆ الدين ، بلا أكاذيب

ليس كالدين وسيلة إذا أسىء استعمالها ، دمرت حياة الناس تدميراً .. ونحن اليوم نرث مجتمعاً اختلط صدؤه بالدين ففكر بهاءه .. وقد رأينا كيف يمكن أن يعوق الدين - إذا حرف عن حقيقته - تقدمنا وسعيناً نحو الاكتمال الخلقى .. فكيف نجعل الدين - كما أراد له ربه أن يكون - عوناً للناس على تلبية سلوكهم ، وتهذيب أخلاقهم ، وازدهار شخصياتهم ؟ .. السبيل هو : الدين بلا أكاذيب !

لقد جاء الدين ليسعد الناس، فكل ما يكتشفه العلم من أسباب سعادتهم يتقبله الدين قبولاً حسناً .. وكذلك جاء الدين ليخاطب بشراً ، لا آلهة .. فكل دعوة من العلم للاعتراف بواقعية هذه البشرية بما تحمله من طبائع ورغبات ، يضعها الدين موضع التقدير والاحترام .. فتأخى العلم والدين اذن ضرورى لانشاء سلوك فاضل ..

وانا لنطالب بأن يؤلف مجمع علمى جديد يضم بعض رجال الدين المستنيرين ، وبعض رجال العلم والادب .. وتبدأ مهمة هذا المجمع بالاجابة عن هذا السؤال : كيف ننتفع بالدين فى بناء المستقبل ؟ .. ويعنى هذا المجمع بتقديم الدين للناس من جديد كحافز لا كزاجر .. وينفى عنه تلك الزيادات المخوفة .. لقد ارتبط الانسان بالله خلال تطوره بواسطة عرى ثلاث : الخوف والحاجة والحب .. ونرى ان دواعى الخوف وعبادة الحاجة قد ولت ، واشرق عصر جديد يرتبط فيه الانسان بمنشئه بعسرة الحب والتوقير ..

◆ الصحة والحرية والعلم

رأينا العروة التى تربط الاخلاق بالصحة .. واهتمامنا بالصحة يتضمن طبيعاً اهتمامنا بالغذاء ، فالصحة الجيدة ثمرة الغذاء الجيد .. والعجيب أن الدين أيضاً يهتم بنوع الغذاء ويؤكد فاعليته وتأثيره فى الاخلاق .. فالدين

ينهى عن اكل الحرام .. لأن اللقمة الحرام تلوث النفس وتفسد الضمير ..
والصحة النفسية تكاد تكون معدومة في بلادنا ، لهذا يجب ان يكون
لها من اليوم نصيب وافر في سياستنا الصحية ..
والحریات بأنواعها لازمة للاخلاق الكريمة لزوم الانبياء والمرسلين ..
وكل اهدار لحق الجماعة في هذه الحریات يعقبه فورا انهيار متتابع في
اخلاق الجماعة وسلوكها .. ان النفاق والجبن والغدر والجاسوسية والكذب
والعار - كل هذه تتحول الى مقدسات وفضائل في كل مجتمع يفقد
حرياته ..

والحرية الشخصية هي « صندوق التأمين » على حياة الفضيلة وبقائها
.. وفي بلادنا ظاهرة تستحق المثل امامها طويلا ، هي ان مكارم الاخلاق عندنا
نزوات عارضة .. واذا ذهبنا نتعقب اسباب هذا وجدناها ماثلة في فقدان
العناصر التي تخلق الفضيلة .. وعلى رأسها الحرية الشخصية التي تتيح
للانسان ان يختار فضائل نفسه ، ويريدها .. والتي تكون بدورها ثمرة
تجربة واختيار ومعاناة .. اما الفضيلة التي ياتيها اصحابها مكرهين ، فكثيرا
ما تكون سحابة صيف لا رسوخ لها ولا بقاء .. وما اكثر ضحايا الخوف من
التقاليد ، والخجل من الناس .. ان فقدان الحرية الشخصية يعني شيوع
النفاق .. فلنمكن اعضاء المجتمع جميعهم - ذكورا واناثا - من حريتهم
الشخصية ..

ويصلصل الاسلام بما انتهى اليه العلم من انه لا فضيلة بلا معرفة ،
فباسم من نكرم عقولنا من ان تعرف كل شيء عن كل شيء ؟ .. افتحوا لعقول
الناس جميع النوافذ لكي يبصروا الفضيلة في ضوء الثقافة الحرة والعلم
المبين ..

ومن هذه الثقافة ان يعرف الناس كيف تنضج شخصياتهم ويتفوقون
على انفسهم ، ويحيون حياة لا تعقيد فيها ولا انحراف ولا اضطراب ..
فيجب ان يكون للمعرفة الجنسية في مناهج التعليم المدرسي والتوجيه
الاجتماعي نصيب كبير .. لتكن التربية الجنسية مادة اساسية في ثقافتنا
المدرسية والاجتماعية .. وقد كان رسول الله يشير في المسجد موضوعات
جنسية يتحدث عنها ويفتي فيها ، والرجال والنساء معا يصفون

◆ الاختلاط

ونحن لا ننكر نشوء علاقات عاطفية وجنسية من جراء الاختلاط ، ولكن
يقابل هذا ان الخطيئة الجنسية تقترب كذلك في المجتمع الانفمالي ..

وان الخطايا الجنسية المثلية ، اى الشذوذ والانحراف ، تسجل فى المجتمع الانفصالى ارقاما قياسية عالية !

وحسبنا ان نوازن بين المستوى الخلقى فى بلد كمصر، ومثله فى اى مجتمع انفصالى من جيراننا الاقربين .. او لنوازن بين الريف المصرى فى الوجه البحرى وبين المدن المصرية .. ان القرى التى ينشأ ناشئوها على الاختلاط الطبيعى بين الجنسين فى الطفولة والمراهقة والشباب والشيخوخة - فى الهقل ، وفى البيت ، وفى السوق - تكاد تتنزه عن الانحرافات الجنسية ، بل والثقائص الجنسية ، تنزها مطلقا .. اما المدن ، فهى لضالة حظها من الاختلاط ، والتردد الذى ينتابها اذ تقدم عليه بقدم ، وتدبر عنه بأخرى ، يعيش أهلها فى فوضى جنسية !

والمشكلة الجنسية هى المنبع الذى يطفح بكافة مشاكلنا النفسية ، ونقائصنا الخلقية .. والدعوة الى مجرد الاختلاط ليست شيئا جديدا بالنسبة لمجتمعنا الذى بدأ سيره نحو الاختلاط فعلا ، ولكن الجديد الذى ندعو اليه هو ان نجعل من الاختلاط شريعة مقررة ومنهج مرسوم ، وليس مجرد نزوة عارضة ، او انسياق لا هدف له ولا موضوع .. بل ليكن فنا .. وفلسفة !

ونحن نرى ان يبدأ الاختلاط المدرسى فى المدرسة لا فى الجامعة ، فبين الرابعة عشرة والسابعة عشرة تقريبا - سن التعليم الثانوى - تزداد الانفعالات الجنسية للفتى والفتاة ، ولذلك نرى اصحاب هذه السن ، لا سيما الذين تكبت انفعالاتهم ، يميلون الى انتقاد الوالدين والمجتمع ، ويأخذهم شغف بالعدوان والتطرف فى مناقشة المسائل الفكرية، ويضيقون بالمنازل ويحاولون نسيانها والهرب منها الى الطريق .. الخ .. بينما اذا نحن حققنا الاختلاط فى هذه المرحلة ، فستقود المدرسة عواطفهم فى تمعن وروية .. وستتحول الرغبات الجنسية الى زمالة فكرية وصداقة انسانية ..

فاذا غادرنا المدرسة الى المجتمع ، اشرنا بالتوسع فى انشاء الاندية الاجتماعية التى تضم الجنسين والتى تكون تحت اشراف توجيهى دقيق ..

◆ العمل الشريف ، والفراغ الممتلئ

ذات يوم وقف عمر بن الخطاب يودع احد ولاته قبل سفره الى الاقليم الذى سيحكمه ، فسأله عما يفعل بالسارق او الناهب ، فأجابه الوالى : « اقطع يده » .. فقال عمر : « واذن ، فان جاءنى منهم جائع او عاطل يشكو ، فسقطع عمر يده أنت ! » .. وتابع حديثه قائلا : « يا هذا ، ان الله قد

خلق الايدى لتعمل ، فاذا لم تجد فى الطاعة عملا ، التمت فى المعصية
اعمالا .. فاشغلها بالطاعة قبل ان تشغلك بالمعصية «
يا لله ما أروعه ! .. ان العمل وقاية ضد الرذائل والزلل ، ومن هنا
يبرز واجب المجتمع .. وقد قلنا فى عنوان هذا الحديث «العمل الشريف» ،
لان المهنة أو الحرفة التى نمارسها تنعكس خصائصها وملابساتها على سلوكنا
وأخلاقنا .. ولقد تعودنا ان ننظر الى حقوق العمل كشيء يساعد تحقيقه على
بث السكينة الاجتماعية فى العلاقة بين العامل وصاحب العمل .. ولكن الامر
أجل من هذا ، فبين تزكية حقوق العمل وبين الاخلاق علاقة وثقى ، ليس
لأنها تطارد رذائل الحقد والتربص والخيانة فحسب، بل لان الارتفاع بالحرفة
ارتفاع بالبشرية التى تحترفها .. وهذا يقتضينا ان نرتفع بمستوى المهنة
والحرفة فى المجتمع عن طريق ترشيدها ، ودعم مكانتها وحقوقها ..
واذا كان العمل غير الشريف خطرا يهدد الاخلاق ، فالفراغ غير الهادف
كارثة محققة .. وقد ذكرنا ان مجتمعنا عاطل ، لأنه لا يعمل الا لياكل ،
لا ليحيا .. والانسان الذى لا يعرف كيف يعمل ليحيا يعيش سقيم
الوجدان غائم النفس .. فلمنلا فراغ اليد بالعمل ، وفراغ النفس بما تتطلبه
من زاد روحى جليل .. والوسائل كثيرة وميسورة ، فتيسير الانتساب
للمعاهد والجامعات وسيلة ، ونشر الاندية الرياضية والاجتماعية وسيلة
أخرى .. الخ

◆ المساواة ، أو المباراة المتكافئة

ان العلاج الذى يقينا شر مساوىء المباراة غير المتكافئة يتلخص فى هذه
العبارة : « المساواة .. أو المباراة المتكافئة » .. اما كيف نظفر بالمباراة
المتكافئة ، فيتلخص فى ضرورة الأخذ بـ « الاشتراكية التعاونية » أى بنظام
« الانتاج التعاونى » الذى يجعل الانتاج من المجموع وللمجموع ، ويبقى
المجتمع شرور المبالغة فى تكوين الثروات الفردية ..

◆ احترام الحياة :

قلنا ان الانسان لا يولد فاضلا ، ولا يولد رديئا ، وانما هو يولد فحسب
.. ولسنا ننكر اثر الوراثة ، وانما نلقى أكثر المسئولية على البيئة ، وعلى
الطريقة التى نستجيب بها فيما بعد للبيئة وللوراثة معا .. وهنا يطالعنا
عنصران من أهم العناصر التى تجعل الاستجابة سوية فاضلة : هما الارادة ،
والمثل الأعلى .. فالمثل العليا جذور الفضائل .. وهى حين توجد تلتقط
ارادتنا التائهة فى أعماقنا .. ونحن لا نعثر على الارادة والمثل الأعلى فى
مجتمعنا الا قليلا ، لاننا نبحث عنهما فى السماء ، وهما معنا فى الأرض !

ونحن كامة لم يكن لنا الى زمن قريب مثل أعلى رشيد .. وان كان عندنا كثير من المثل العليا الزائفة ، والويل لنا منها اذا طال مكثها بيننا ! .. ولقد ضرب العدل التاريخى للعالم فى هذا الصدد مثلاً برجلين : احدهما وهب أمته مثلاً أعلى زائفاً ، فدمرها به تدميراً - وهو هتلر .. والثانى أعطى أمته مثلاً أعلى صادقاً ، فاحياها - وهو غاندى .. ألا ما أعظم الفارق بين الوطن الذى تركه هتلر مستعمرة .. والمستعمرة التى خلفها غاندى وطناً !

فعلى ضوء هذه المثل والعبر ، أقترح أن يكون مثلنا الأعلى : احترام الحياة .. فان البقاء اليوم للقوى الانسانية التى يدفعها احترام الحياة الى العمل الايجابى من أجل رخاء الانسان وسلامه ، ومن أجل ثراء عقله ، وعافية نفسه .. والفرد الذى يجعل احترام الحياة مثله ورائده والهامه ، لا يكاد يرتكب اثماً !

واحترام الحياة كمثل أعلى لنا ، سيفضى بنا الى المثل الأعلى الذى تلتزمه الحياة نفسها .. وهو الواجب .. فالحياة بكل أشتاتها تؤدى واجبتها على نحو مدهش ، والواجب عندها هو القانون .. فالشمس تشرق على الكون ، والنحلة تخرج الشهد ، والأرض تنبت الحب .. وكل ذلك باسم الواجب ، دون انتظار لجزاء أو شكور ..

واحترام الحياة كمثل أعلى سيصوغ أخلاقنا فى قالب مبادئ الحياة ذاتها ، ويدعونا الى تكييف سلوكنا حسب المفاهيم الجديدة والصداقة للفضيلة .. فلا نرى فى الاختلاط وزراً ، ولا فى الفنون عاراً .. والتكيف مع الحضارة يحمى الانسان من الانقراض والذوبان !

مصلحة البلديات

تقبل العطاءات بمصلحة البلديات (بوسنة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٧ - ٦ - ١٩٥٤ ، عن توريد مواسير ومنشونات زهر لبعض المجالس . وتطلب الشروط والمواصفات من المصلحة على ورقة دمغة فئة الخمسين مليماً مقابل دفع مبلغ ٣ جنيه خلاف اجرة البريد وطوابع المهن الهندسية وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢ فى المائة لا يلتفت اليه .

مصلحة البلديات

تقبل العطاءات بمصلحة البلديات (بوسنة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ١٠ - ٦ - ١٩٥٤ عن عملية توريد وتركيب مواسير وقطع زهر لتوسيع شبكة مواسير البسدارى . وتطلب الشروط والمواصفات من المصلحة على ورقة دمغة فئة الخمسين مليماً مقابل دفع مبلغ ١ جنيه خلاف اجرة البريد وطوابع المهن الهندسية وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائى قدره ٢ فى المائة لا يلتفت اليه .

مصلحة البلديات

تعلن مصلحة البلديات « بوسنة قصر الدوبارة » ان المناقصة العامة التي كان محددًا لفتح مظاريدها بالمصلحة ظهر يوم ٢٢ - ٥ - ١٩٥٤ عن عملية رفع المجموعة S.L.M, قوة ٤٠٠ حصان القديمة وهدم أساسها الخرساني وتركيب المجموعة الجديدة S.L.M, قوة ١٢٠٠ حصان بمحطة كهـرباء الاسماعيلية قد تأجل ميعاد فتح مظاريدها الى ظهر يوم ٢٢ - ٦ - ٥٤. وتطلب الشروط ومواصفات من المصلحة على ورقة دمغة فئة الخمسين مليما مقابل دفع مبلغ جنيهان خلاف اجرة البريد وطوابع المهن الهندسية وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائي قدره ٢ في المائة لا يلتفت اليه .

٧٧٤٥

وزارة الصحة العمومية

تفتيش صحة مديرية الفوادية
تقبل عطاءات بتفتيش الصحة بكفر الشيخ ، لغاية الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ١٧ - ٦ - ١٩٥٤ لتوريد الاغذية اللازمة لعام ١٩٥٥-٥٤ لولايات الوزارة بكفر الشيخ ، دسوق ، فوه ، بيلا ، وتطلب قوائم المناقصات من المستشفيات المركزية بهذه البلاد مقابل ١٥٠ مليما يضاف اليه ثلاثون مليما اجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة دمغة فئة خمسين مليما

٧٦٨٤

وزارة المعارف

تقدم العطاءات بعنوان السيد سكرتير عام وزارة المعارف العمومية بشارع الفلكي بالقاهرة بالبريد الموصى عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميها في داخل الصندوق المخصص لذلك في ادارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة الثانية عشر من ظهر يوم السبت الموافق ٢٦ / ٦ / ١٩٥٤ عن توريد أدوات الرسم لسنة ١٩٥٤ / ١٩٥٥ ويمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة المذكورة من مراقبة التوريدات لشئون المشتريات بشارع صفية زغلول (الانشا سابقا) بالقاهرة نظير دفع الثمن وقدر ٥٠ مليم (اربعمائة وخمسون مليما) خلاف اجرة البريد ٧٧٥٤

وزارة الصحة العمومية

مستشفى الامراض التناسلية والجلدية بالقاهرة

تقبل العطاءات بمكتب المستشفى بشارع قدرى رقم ٢٢ بالسيدة زينب لغاية الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ١٩ - ٦ - ١٩٥٤ لتوريد الاغذية اللازمة للمستشفى لعام ٥٤ - ١٩٥٥ وتطلب القوائم من المستشفى على ورقة تمغة فئة ٥٠ مليما وثمن القائمة الواحدة ١٥٠ مليما يضاف اليه ٣٠ مليما اجرة البريد

٧٧٤١

عزيزى القارىء ..

فى الاعداد الستة الاولى من (كتابى) قدمت لك فى هذا الباب قصة الحياة الخاصة ليفكتور هوجو ، كما كتبها اديب من أسرته وذوى قرباه هو « ليون دوديه »

وفى كتابى الممتاز الاول قدمت لك فى نفس الباب « اعترافات جان جاك روسو » وهو الكتاب الذى فتح فى الادب « الشخصى » فتعا جديدا ، اذ كان اول كتاب يتحدث فيه اديب عن نفسه ، « فيشرح » عيوبه قبل حسناته بصراحة وجراة لم يكن للناس عهد بهما من قبل ..

ثم قدمت لك فى الاعداد من ١٨-٢٦ الكتاب الممتع الذى اصدره الاديب العالمى « اندريه مورا » منذ اسابيع ، وروى فيه حياة الادبية والملهمة الخالدة «جورج صاند» ، بالقلم البارع الذى قدم للعالم من قبل قصص حياة كل من : شيللى .. دزرائيل .. بيرون .. تورجنيف .. فولتير .. ديكنز .. شاتوبريان .. الخ

واليوم اقدم لك فيما يلى قصة حياة وماساة الفنان الفرنسى الخالد « هنرى دى تولوز لوتريك » .

خلف النوافذ المخلقة



عباقرة الإنسانية في حياتهم الخاصة



ينيلير لأمور

الظاهرة الحراى!

مأشاة حياة
الفنان الفرنسى الخالد
«هنرى دى تولوز-لوتريك»

قصة من ((مونمارتر))

انها قصة باريس ، المدينة العريقة الخالدة .. مدينة النور والضحكات

قصة فنان نابغة عظيم ، ولد في بيت مجد و ثراء ، ولكنه اوتى وجهها وشكلا من القبح بحيث كان الناس يشيخون عنه بسببهما اشمئزا ، والنساء ينفرون منه تقززا !
ولكن ليس كل النساء .. فعندما واثته الشهرة والمجد وجد المرأة التي نسيت قبح خلقتها ، وفتنة أنوثتها ، فمنحته كل شيء .. كل شيء الا قلبها !

انها قصة تثير الأحاسيس وتهز المشاعر .. قاسية في صراحتها ، مفاجئة في واقعيتها ، زاخرة بانفعالاتها العاطفية التي سجلها - بل أرخها - المؤلف « بيير لامور » في كتابه الرائع هذا ..

قصة خالدة ، باقية ما بقيت تتألق على مسارح باريس راقصات « الكانكان » اللاتي يتحدرن الحياء بحركاتهن المشرفة للشهوة ، الباعثة للنشوة ، في ظلال « الطاحونة الحمراء » التي اخذ الكتاب عنها اسمه ..

الطاحونة الحمراء

♦ وقفت مدام « لوبيه » في صباح أحد أيام شهر أكتوبر من عام ١٨٨٥ ، في نافذة مطبخ المنزل رقم ٢١ بشارع « كولينكور » ، تحتسى قهوتها المزوجة باللبن ، وتشهد يوما آخر يبرز عبوسا ممطرا ، من أحشاء ليل منصرم ..

وتنهدت فترجرج خذاها المكتنزان ، وهتفت لنفسها : « يا لمونمارتر من مكان ! »

وظلت برهة جامدة في وقتها ، وقد تعلق يدها في الفضاء حاملة القدح ، وبصرها يحدق في زجاج النافذة وقد انسابت عليه خيوط من ماء المطر .. ثم ارتشفت آخر قطرة من القهوة في قدها ، وتهالكت على مقعد



هنرى دى تولوز لوترىك

بجوار النافذة ، اعتسدت أن تقضى فيه معظم وقتها ، وإن ترقب منه ما يجرى فى الطريق ، وهى تتحدث بين آن وآخر الى «ميمى» .. القطة الصفراء التى كانت صديققتها الوحيدة ومستودع أسرارها .. ثم سوت الوسادة القائمة خلف ظهرها ، ولم تلبث أن استسلمت لاغفاءة ..

.. حتى اذا استيقظت ألفت المطر قد انقطع ، والسحب الفائضة قد تسلخت عن بقع زرقاء من السماء .. وسمعت قرقرة عجلات عربية تقترب ، فأوسعت فرجة بين الستائر ، لترى خلالها سيدا ذا لحية سوداء - وقبعة من الجوخ ومعطف - يهبط من العربية معتمدا على عصا قصيرة تنتهى بطرف من المطاط .. فشهقت فى عجب وهى ترقب القادم يسمى نحو دارها ،

وهتفت بالقطة : « الا انظرى القزم ياميمى ! » .. ثم بادرت تفتح له الباب ، وقالت فى تأدب أخفى ما كان يجول بنفسها : « أى نعم سيدى ! » وخلع الغريب قبعته فى احترام ، فلمحت شعره .. كان قصيرا ، ولكنه نسق الى جانب من رأسه فى عناية .. وتساءل الرجل : « هل لك فى أن ترينى المكن المشتمل على الرسم الذى اعلنت عنه فى اللافتة المثبتة خارج الدار ؟ »

وتأملت قامته التى لم تكن تتجاوز أربعة أقدام ، وهو يتطلع اليها بنظرات باسمة من وراء منظار أنيق بدون اطار .. فقالت فى لهجة معتدرة : « بالتأكيد ياسيدى .. ولكنه فى الطابق الرابع .. ودرجات السلم فى وضع شبه رأسى ! » .. ورمقته بنظرة مشفقة ، ثم لمت أطراف ثوبها وراحت تصعد السلم ، وهو يتبعها معتمدا باحدى يديه على «الدرايزين» ومتكئا باليد الاخرى على عصاه ، ليتمكن ساقيه القصيرتين من أن ترفعا جزعه الذى لم يكن يتناسق فى حجمه وطوله مع الشكل العام لقامته ! .. حتى اذا بلغا الطابق الرابع ، تلاحقت أنفاسه ، وتلالا العرق على خديه ، فأخذ يمسح وجهه بمنديل وهو يقول : « انه سلم وعر حقا .. كأنما الصاعد عليه يتسلق الألب ! »

ولاحظت أن أسنانه بديعة ، وإن عينيه مفرطتا الاتساع ، تلوح فيهما نظرة «صبيانىة» فى فضولها وتطلعها .. وتبينت أنه أصفر مما توحى لحبته ،

فسأله ان كان فنا ، واذا شفتاه القرمزيتان العريضتان تنفرجان عن ابتسامة وهو يقول :

- لا .. لست بعد فنا ، بل ما زلت تلميذا ، وقد بدأت العام الثالث من تتلمذى على الاستاذ ((كورمون)) ، واوشك ان ابدأ فى رسم اللوحة التى اتقدم بها لمسابقة التخرج .. ومن هنا نشأت حاجتى الى مرسوم خاص .. ونظرت اليه فى تردد .. او تقبل فى دارها فنا آخر ؟ .. ومع ذلك فقد يكون على غير شاكلة سواه ، اذ يبدو صغيرا ، مؤدبا .. وادارت المفتاح ، ثم دفعت الباب ، فصاح الغريب فى فرح طاغ : « او .. و .. وه ! .. انه مرسوم مثالى ! » .. ووقف بضع ثوان عند العتبة وقد فغر فاه اعجابا بالغرفة الخاوية الرحبة ، بجدرانها الرمادية الباهتة ، وموقدها الفارغ الذى كان يتوسط الحجرة .. ونافلتها العالية .. وحجل فى الغرفة ثم ارسل بصره خلال النافذة الى قمم البيوت والمداخن التى كانت تطل عليها ، والتفت قائلا : « ما أجمله من منظر ! .. لا بد ان فى وسع المـرء ان يرى قبة «نوتردام» فى الايام الصحوه » .. ثم استدار الى سلم ضيق يفضى الى شرفة ذات سياج حديدى ، وسأل السيدة : « هل أستطيع ان ألقى نظرة على ما فوق السلم ؟ » ..

فقالت وهى ترشده : « ان غرفة النوم الى اليسار » .. وسمعته وهو يدخلها يردد عبارات الاعجاب .. ثم دفع بابا جانبيا وهتف : « يا الله ! .. حمام ! » .. فقالت : « أجل ياسيدى .. ولكن من حـقك على ان انبئك بأن المرحاض معطل ، اذ اعتاد واحد الفنانين ان يلقى الجبس فيه .. على ان ثمة مرحاض آخر بديعا فى نهاية الردهة تستطيع ان تستعمله ريشما أصلح هذا .. ثم ان حوض الحمام معطل ايضا ، وان كنت على استعداد لاصلاحه اذا كان السيد يود »

نزىل ارستقراطى !

وعادا يهبطان فى مشقة وصمت ، وهى ترقب الرجل يتحسس الدرجات بعصاه القصيرة ، فتشفق ان يهوى يوما على السلم فيدق عنقه .. وما ان بلغا الطابق الاسفل حتى بادر الرجل متسائلا فى لهفة عن أجر المسكن فى العام ، فقالت وهى تتأهب لسماع الاحتجاج والمساومة المألوفين : « اربعمائة فرنك وعشرين »

وبهتت حين قبل المبلغ على الفور .. فأخرجت السجل الذى كانت تثبت فيه أسماء النزلاء ، وفقا لتعليمات البوليس ، وسأله عن اسمه ، فقال : «(تولوز .. هنرى دى تولوز)» ..

= لم أسالك عن مسقط رأسك .. انما اردت اسمك

وعبثا حاول أن يقنعها أن « تولوز » اسمه وليس اسم بلده ، فهي لم تكن تسلم بأن الناس يتسمون بأسماء المدن .. وقالت أخيرا فى اصرار : « الآن ، املنى اسمك ، ومكان مولدك ، وفى أى السنوات ولدت .. » وفى اناة أخذ يملئ عليها : « هنرى مارى رايمون دى تولوز لوترك .. ولدت فى آلبي ، فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٦٤ .. » وقضت مدام لوبيه يومها كالمعتاد .. أعدت غداءها وتناولته وحيدة ، وتحذت الى ميمى ، وكنت السلم ، وذكرت عددا من نزلاء بيتها بقيمة الإيجار ، وداست عددا من الصراصير ، ثم أوقدت مصباح الغاز ، واستقرت فى مقعدها لتقرأ الصحيفة .. واذا ذاك سمعت صوت عربة تقترب ، فأزاحت الستارة وتأملت الشارع المعتم ، واذا بعينيها تتسعان فى دهشة اذ رأت عربة أنيقة ، ارتدى حوزيها ثوبا ينم عن أنه فى خدمة أسرة غنية من ذوى الحسب والمكانة .. وأخذت تراقب فى فضول وانفعال الحوضى وهو يهبط فيفتح الباب لتبرز منه سيدة نحيلة ، ذات شعر أشيب ، رمقت المنزل فى تساؤل ، ثم تقدمت ، فاستقبلتها مدام لوبيه فى ترحاب وحفاوة وقد أدركت أنها سيدة رفيعة القدر .. وآثرتها بمقعدها الوثير وأصرت على أن تسوى الوسائد حولها .. ثم جلست ويدها فى حجرها ، ترتقب .. وما لبثت السيدة أن قالت :

— انبأنى ابنى أنه استأجر مسكنا فى هذا الصباح .. فلم تتمالك مدام لوبيه أن هتفت : « ابنك .. القزم » .. ثم سدت فمها بيدها ، واستدركت متلعثمة : « أغفرى لى ياسيدتى ، فما قصدت .. »



الكونتيسة دى تولوز لوتريك
والدة الفنان .. بريشة ابنها

وامتقعت شفتا السيدة ، واكفهر وجهها أسى ، ثم مضت تروى لها كيف كسر « هنرى » ساقيه فى طفولته ، وكذا المرض الغريب الفاسض الذى انتابه ، والعمليات الجراحية التى أجريت له دون جدوى ، ونوبات الحمى الاليمية التى تصيبه .. وكانت مدام لوبيه تنصت وهى لا تتمالك أن تن فى اشفاق من آن الى آخر .. وعند ما انتهت السيدة الى مصارحتها بانها جاءت ترجوها أن ترعاه ، وان تبادر باخبارها اذا مسه ضير ، هتفت وعينها

تفرورقان ، ثم تغالبها عواطفها فتبكي : « لا تقلقى ياسيدتى ، سارعا كما لو كان ابنى .. ولن انبئه بانك جئت ، فانا أعرف شعور الأبناء فى هذه السن »

واذ رافقتها الى الباب عند انصرافها ، سألتها : « هل لك قبل أن تنصرفى ان تخبرينى باسمه الحقيقى ؟ .. لقد ذكر انه يدعى «تولوز» ، ولكنى أعرف انه يمزح .. »

— بل هو « تولوز » فعلا ، فان أباه هو الكونت الفونس دى تولوز —
لوترك ..

— كونت !؟ .. اذن ، فهو الآخر كونت ؟

— أجل ، ولكنه لا يستخدم لقبه ..

فتاة الحانة

◆ دهش سكان شارع «كولينكور» حين شهدوا بعد أيام «جنازة» من نوع غير مألوف .. فعلى عربة جنازية ، تراكت بعض قطع الاثاث ، وثلاثة حوامل مما يقيم عليها الرسامون لوحاتهم ، ومنضدة للرسم ، وسلم طويل ، وكومة من الاشياء المتباينة .. وكان يقود العربة شاب ضخم الجثة ، راح يضرب الهواء بسوطه وهو ينشد احدى أغنيات الفنانين ، ويتوقف بين مقطع وآخر ليسوى من وضع غليونه بين فكيه ، وليبادل سكان « مونمارتر » بعض الدعابات والنكات .. وخلف العربة سار أربعة شبان مشعثو الهيئة ، أدركت مدام لوبيه وهى ترقبهم من وراء نافذتها انهم من الرسامين ..

وهكذا وفد اثاث «هنرى» الى مسكنه الجديد .. وما ان عاونه رفاقه فى نقله وترتيبه ، حتى أعربوا عن ظمئهم .. فاقترح «راشو» — وهو أقربهم الى قلب هنرى — ان يقلهم فى عربة الموتى ذاتها الى حانة «الانوفيل» .. بينما بقى هنرى ليتم تنسيق مسكنه ، واعداد بان يلحق بهم بعد حين ..

واذ فرغ ، أجال بصره فى المكان .. أخيرا أصبح له مرسوم خاص ! .. لسوف يسعد هنا .. انها فاتحة حياته الجديدة .. ولن ينسى هذه القاعة الرحبة ، ولا الشرفة ، وغرفة النوم ، والحمام .. حتى اذا صار رساما ذائع الصيت !

ولم يلحق بصاحبه «راشو» فى تلك الليلة الا بعد موعد العشاء .. وكان مطعم «لوتامبوران» شبه خال من الرواد حين قصده ليصيبا بعض الطعام ، اللهم الا من شيخ مسن لم يلبث ان انصرف ، وشقراء مليحة القسمات من فتيات الطريق ، راح هنرى يرقبها وهى تدخن بعد ان فرغت من تناول حسائها ، وقد ساعد ضوء المصباح الفازى على اجلاء ملامحها ولون شعرها الذهبى .. وساله راشو فجأة عن الموضوع الذى اختاره للوحة ،

لذكر انه فكر - فى البداية - فى ان يختار موضوعا من التوراة ، ولكنه وجد ان اخراج مثل هذا الموضوع عسير ، ففكر فى احدى قصص الاغريق .. قصة «ايكارس» الذى هرب من قصر التيه ، وحاول ان يطير بجناحين من الشمع ، لكنه طار على ارتفاع بسيط من سطح البحر ، فصهرت الشمس شمع جناحيه وسقط فى اليم .. فقال راشو :

- لست ادرى مدى صلاحية هذا الموضوع .. لم لا تضع رسما جديدا لفينوس او ديانا ، فهما من الموضوعات السهلة التى تصيب توفيقا .. آه ، وجدتها ! .. لم لا ترسم قتالا بين فرسان .. ومن السهل ان تنقل من «اللوكسمبورج» احدى لوحات «دوتاي» الحربية ، ثم تعدل وتغير بعض معالمها .. ثم .. هناك دائما موضوع الاسرة ..

- اعرفها .. منظر الصغيرة تبكى عروسها المهشمة .. او الطفل الذى يسرق المربى ..

- اذا كان هذا شعورك ، فارسم اذن «ايكارس» .. ولكن ، احرص على تنسيق خطوطه ، فانت تدرى كيف يهتم الاسـتـاذ «كورمون» بالخطوط المناسبة ..

ثائر على تقاليد الفن !

وفطن فجأة الى ان هنرى لم يكن ينصت له .. فهتف : «فيم شرودك ؟» .. فاشار هنرى برأسه نحو الفتاة قائلا : «الا ترى لها وجها مشريا ؟ .. انظر الى الظلال الخضراء على عنقها !»

وكانما انتبهت الفتاة الى انها كانت موضوع حديثهما ، فاطفات سيجارتها وبادرت بالانصراف .. وتسائل «راشو» موجسا : «ماذا دهاك ؟» - لا شيء .. انها موضوع طيب .. فهناك وجوه كالجدران صماء ، وهناك وجوه شفافة كزجاج النوافذ ، تستشف ما وراءها ..

- لسوف تزج بنفسك يوما فى ورطة .. ما الذى يفريك برسم هذه الفتاة ؟ .. الآن ثمة ظلالا خضراء على عنقها ، ولانها اوتيت وجها كزجاج النوافذ ؟ .. وهب انك رسمتها ، فماذا تراك فاعلا بها ؟ .. هل ستبيعها ؟ .. ولن ؟ .. او ستعرضها ؟ .. واين ؟ .. مندا الذى يرغب فى لوحة بنى من بنات «مونمارتر» ؟

- قد لا يحفل بها احد ، ولكنها مع ذلك اكثر استحقاقا لان ترسم من فرقة فرسانك الفزاة ، او من الطفل الذى يسرق المربى .. الم ترسم يوما لمجرد لذة الرسم ؟ .. لقد كنت لا اكف فى صفرى عن رسم الصور لأمى .. لقد سئمت تلك الرسوم التقليدية عن «فينوس» و «ديانا» التى نرسمها فى «الاتلييه» .. واصبحت اضيق بالقواعد التى يفرض علينا ان نتقيد بها !

فصاح «راشو» هادرا : « لأنك ملزم بأن ترسم ما يريدك «كورمون» على أن ترسمه ، والا فلن يسمح لك بالاشتراك فى المعرض .. واذا لم تشترك فى المعرض ، تكون قد انتحرت كفنان ! »

نماذج « حية » من مونمارتر

♦ وشرع هنرى يرسم لوحة الأثينى الطائر «ايكارس» ، الذى بات يسيطر على ذهنه فى الايام التالية .. كانت حياته الفنية ، بل حياته كلها تتوقف عليه .. وفى صبر صار يصعد السلم ويهبطه أمام اللوحة يبين خطوط الرسم ، ويوضح الظلال .. بيد أنه كان يضيق أحيانا بهذا التكلف المفروض ، فيصر على أسنانه غيظا ويواصل العمل وهو يذكر تحذير «راشو» له ، ويلعن كل خط تجرى به فرشاته !

ولكنه كان يتمرد فى بعض الاوقات ، فيقيم لوحة صغيرة على أحد الحوامل ، ويرسم أحد مناظر «مونمارتر» : غاسلة ثياب تسير فى شارع «كولينكور» ، وسلتها عالقة بذراعها .. أو وجه غانية لمحها فى الطريق أو فى أحد المشارب .. أو منظر إحدى الراقصات ينقله عن بعض خطوط سريعة رسمها فى الليلة السابقة فى قاعة «ايلي» .. قاعة الرقص العتيقة ، الرخيصة ، الدائمة الضجيج والمرح .. واذا ذاك ، كان التعب والسأم ينجبان عنه بسحر ساحر ، فيستأنف العمل ..

وزاره أبوه يوما فأعجب بم رسمه ..
وراح هنرى يرقبه وقلبه يخفق
اشفاقا .. كان المسكين يتمنى ابنا
يستطيع أن ينطلق معه لصيد الوعول ،
ويجيد ركوب الخيل ! .. وبالطبع لم
تثر لوحة «ايكارس» اهتمام الأب ،
لكنه وهو يهم بالانصراف ، لمح صورة
راقصة «الكانكان» فاذا هو يتجه اليها ،
وينحنى يتأمل ذيل ثوبها الهفهاف ،
وساقيها اذ تشقان الهواء ، ثم قال :
« ستفجع أمك لو عرفت أى نوع من
السفاسف ترسم ! »



فسالة .. من باريس
بريشة « تولوز لوتريك »

حنين .. الى النساء !

♦ وانتهت عطلات عيد الميلاد ، فعاد هنرى الى لوحة «ايكارس» والى حياة الطالب ، بما فيها من جد وما فيها من انطلاق .. وكان كلما أوغل فى الرسم ، ازداد ضيقه بقواعد الرسم التقليدية العتيقة . وبهت اذ تبين - عقب العطلات - ان ضيقه قد بلغ حد التقزز والثورة .. وتساءل عما دهاه ؟ .. كان ثمة تغير قد ألم به .. حتى رفاقه لاحظوه عليه .. ولكن ، أى تغير هو هذا ؟

وقفز الى ذهنه اسم «جولى» ! .. قفز فى تسلل مسترق ! كانت «جولى» - نموذج صديقه الرسام «لوكا» - فاتنة ، هيفاء ، شقراء ، وكانت هى سر التطور الذى أصابه ، فقد أخذت تطفئ على حسه وفكره .. صار طيفها يلاحقه مذ رآها فى تلك الليلة التى اصطحبها فيها «لوكا» لأول مرة الى مرقص «ايل» .. وكان حبها لذلك الرسام النورماندى يبدو فى كل بادرة تبدر عنها ، وفى كل نظرة .. وفى تلهفها على أن تتلمس يده من تحت المائدة ! .. كان من المخجل ان يرى المرء هذا الفزل العلنى السافر ، الذى أثار فى نفس هنرى حنينا غريبا ، أحس منه بالنشوة والألم فى وقت معا .. كان حنينا الى المرأة ، وقد تمثلت فى طيف «جولى» الذى راح يلح عليه فى يقظته ومنامه .. فى عمله وفى فراغه .. حتى انتهى المسكين أخيرا الى أن من الضرورى أن تكون له فتاة .. فتاة حقيقية ، من لحم ودم ، يطارحها الهوى .. وما كان أسهل هذه الامنية منالا فى حى «مونمارتر» الزاخر بالفتيات المتسكعات ، التواقات الى أن يحببن وأن يكن موضع حب .. الجائعات الى الحنان ، المتعطشات الى الثياب الأنيقة ، والمآذب الشهية فى المطاعم الكبيرة .. والى المال !

وعزت عليه المقاومة ذات مساء ، فهبط الى مشرب للبيرة فى ميدان «كليشى» يدعى «مانسى» .. وما أن ولجه حتى أدرك انه جاء الى خير مقصد يجد فيه بغيته ، اذ كان المكان حافلا بالنساء .. فراح يتأملهن ويفاضل بينهن .. وجرع كأسا من «الابسينت» أعقبه بآخر .. ودبت الخمر فى عروقه فأحس بخفة عجيبة وانطلاق .. منذ الذى يقول عنه انه مشوه الخلقة ، عاجز ؟ فليحاول من شاء أن يختبر خفة حركته أو قوة عضلاته ! وجلست الى المائدة المجاورة غانية شقراء ، ذات فم قرمزي شهى ، ووجه كأنه وجه دمية .. ورآها تشعل سيجارة ، ثم تتناول من حقيبتها خطابا وتستغرق فى قراءته ، ودخان السيجارة يرفع على وجهها نقابا خفيفا .. فمال نحوها ، ودعاها هامسا الى كأس من الشراب ، فاذا بها تتأمله لحظة ، ثم تقول : « لو كان لى وجهك القبيح وساقاك المشوهتان ، لأخفيت نفسى عن الأنظار ! »

وسرت كلماتها في كيانه مسرى الكهرباء .. وخيل اليه انه يوشك ان يموت ، فأغمض عينيه .. حتى فتيات الطريق كن زاهدات فيه ! .. وليس من فتاة تشتت فيه ؟ .. لقد كتب عليه ان يعيش العمر .. وحيدا !

صدمة في فنه .. وصدمة في قلبه !

♦ وعاد بعد هذه الصدمة يعيش بين احضان امه في قصر «دومالرومي» .. لا سيما حين فجع في دراسته الفنية وضيع على نفسه فرصة الاشتراك في المباراة بعد ان انفجر في استاذة كورمون ذات صباح ، وجاهره برأيه فيه وفي فنه ! .. وكان طيلة الوقت يدرك انه يهدم مستقبله، وينتحر كفنانه ، ولكنه لم يحفل بشيء في غمرة اللهب الابيض الذي كان يصهر روحه .. لهب الغضب !

وعاد اخيرا الى داره وامه .. ولم يك يبدو قلقا ، بل انه كان اقرب الى السعادة منه الى أى شيء آخر .. ولعله راض نفسه في النهاية على الرضى بنصيبه من القدر ، فاقبى من هذا لونا من السعادة أخذ يستمره .. وذات اصيل ، كان يضطجع في مقعد طويل بشرفة القصر الظليلة ، وامه الى جواره ، حين اقبل الخادم يحمل بطاقة على صفحة فضية ، لم تكد عينا الكونتة تقعان على الاسم المطبوع عليها حتى شهقت غير مصدقة ، ثم قفزت ناسية كل تحفظ ، وهرعت الى الباب الخارجى للقصر ، وهى تصيح : « يا لله ! انجليك ! »

والتقط هنرى عصاه ، ونهض الى المائدة فقرأ على البطاقة اسم « مدام البارونة اندريه فرونتناك » .. وفيما كان يسعى وراء امه ، تذكر صاحبة الاسم : كانت زميلة امه في الدراسة ، وصديقتها الحميمة ! .. ودخلت سيدة بدينة في اوسط العمر ، فاحتضنت امه وراحا تتبادلان القبلات وهما تبكيان .. وشغل هنرى بالمنظر عن ان يلمح فتاة في السابعة عشرة او الثامنة عشرة من عمرها ، في ثياب الحداد - كالسيدة - وقد رفعت بيديها اطراف ثوبها في رشاقة وهى تهبط من عربة فخمة من طراز قديم .. كانت الفتاة «دنيس» ابنة البارونة .. ولكى يفسح المجال للبارونة كي تتبادل الذكريات مع الكونتة وتحدثها عن حياتها مع الزوج الذى فقدته من عهد قريب ، دعت ابنتها الى ان تصحب « هنرى » فتسمعه شيئا من عزفها على «البيانو» .. وكانت تحسن العزف حقا .. وجلس هنرى يرمقها وقد جلست الى المعزف تتكسر عليها اشعة الشمس الغاربة المناسبة خلال النافذة .. ولم تنقضى عشر دقائق حتى كانت الالفة قد ربطت بين الشابين .. وسأل هنرى صاحبه ان كانت قد جاست خلال الريف ، فقالت : « اننا لم نصل الا منذ ايام قلائل .. او ترى في استطاعتنا ان ننزله معا في العسيرة

ياهنرى ؟ .. ما أظن من المحرم على من كانوا فى حداد أن يتنزهوا ..
وغمزت بعينها وهى تقول : « ثم ان هذا سيتيح لنا فرصة البعد عن مراقبة
والدتي .. اليس كذلك ؟ »

من ذلك اليوم أصبحت البارونة فرونتناك تفد مع ابنتها الى قصر
«مالروميه» فى كل أصيل ، فتنطلق «دنيس» مع «هنرى» فى نزهة طويلة ،
بينما تنصرف والدتهما الى الحديث .. وبدأ الشاب يتذوق صحبة الانوثة
.. وشغلت الفتاة باله عن الحشرات التى كانت تتنابه اذ حطم مستقبلة
الفنى ، وهفت بأحاسيس الرجولة المبكرة التى كانت تستيقظ فى كيانه ..
لا سيما وانها لم تكن من غانيات «مونمارتر» ، بل كانت من نفس طبقتة
الارستقراطية .. كانت تشاركه دنياه ، وتقاليده ، وعاداته ، مما زادها
قربى اليه ..

واقبل أكتوبر بطلائع الامطار الغزيرة ، فلم يعد بوسعهما أن يخرججا
للنزهة .. لذلك شرع هنرى يرسم لوحة لفتاته ، كى يستبقى صحبتها فى
الاصائل .. وأصبح مرسمه فى القصر يضمهما فى ساعات الاصيل ، فاذا
تعبت من اتخاذ الوضع الذى كان يرسمها فيه ، كف عن الرسم وجلسا
يثرثران ويضحكان ويشربان الشاي ..

وبدأت الخيالات العاطفية التى كانت توحى اليه بأحلام غراميات الفنانين
تنجاب عن رأسه ، فيتصور نفسه - دون أن يفطن - يحيا حياة الموسر
صاحب الأراضى والمزارع ، الى جوار زوجة حنون ، كان يتمثلها فى خياله فى
صورة «دنيس» .. وبدد هذا التطور راحة باله . كان يحس أن الفتاة تميل
اليه .. ولكن ، أ يصل هذا الميل الى المدى الذى يجعله يطمع فى أن تحبه وأن
تكون له زوجة ؟ .. ولم لا ، اليس بين الفتيات من تزوجن من عجزرة
ومشوهين ؟

مفاتيحة .. بالحب !

ورأى فرصته سانحة ذات مساء ، وقد أقامت أمه حفلة ساهرة ، بدت
فيها «دنيس» فى أبهى فتنة .. واستمد «هنرى» من الخمر جرأة حملته
على أن يستدرجها الى الرسم فى الطابق العلوى ، فيجلس ملاصقا لها على
أحدى الارائك ، ثم .. شرع يقول لها فى صوت خفيض وكلمات متسارعة :
- اننى أدرك ياعزيزتى ان ليس لى أن اطمع فى أن تحبينى ، ولكنى
سأنفق العمر فى اسعادك .. أقسم لك أنك لن تندمى على الزواج منى ..
سوف أتيح لك كل ما تشتهين ..

وحملت فيه مبهوته ، وقد انعكست على وجهها امارات الدهشة
والحيرة ، ثم قالت : « ولكنى .. لا أحبك ياهنرى » .. وحين مضى

يحاورها ، أردفت وقد شرعت تتمالك نفسها : « انك لا تفهمنى .. اننى لا أحبك ، وانى لأسفة لهذا .. دع يدى فان قبضتيك تسببان لى الما ! » .. وأخذت الأمور تتطور بسرعة .. وكان عقله يسمح فى فيض «(الشمبانيا)» التى شربها .. وأحست الفتاة بذعر ، وقد بدأت عضلات وجهه تتوتر ، وملامحه تزداد - تحت الضوء - بشاعة .. وهتفت : « انك معتوه .. اننى لم أحبك .. ولن أحبك قط .. ان الفكرة فى حد ذاتها سخيفة ! » وأربد وجهه فازداد بشاعة .. واشتدت قبضته على معصمها ، وقال : « لماذا ؟ .. الأننى مشوه ؟ .. الأننى عاجز ؟ » .. وفى غمرة الألم ، صرخت الفتاة : « أجل .. لانك عاجز .. ولأنك بشع .. انك أبشع رجل رأيته ! »

ولم يدعها تتم عبارتها ، بل ضمها اليه فى عنف وأطبق بشفتيه على شفتيها .. وأحس بظهرها يتقوس ، وبثدييها يضغطان صدره ، وبأظافرها تغوص فى لحمه .. وبجهد اليأس استطاعت أن تفلت منه ، فاندفعت الى الخارج صارخة : « أيها الاحمق القبيح البغيض .. لن تتزوجك اية فتاة ما عشت .. أسمعت ؟ »

ولم يرها وهى تخرج .. ولكنه سمع وقع قدميها على الدرجات ، والضجة التى ثارت فى الطابق السفلى ، ودوى الجرس ، وأصوات العجلات وهى تتحرك مبتعدة عن البيت .. ثم ساد البيت صمت شامل .. بينما كان الليل يعول فى الخارج وينتحب !

لا جدوى من المكابرة يا أماه

ووجد أمه تجلس وحيدة الى جوار المدفأة فى الطابق الأسفل ، جامدة واجمة .. ولم ينبسا بكلمة ما فترة من الزمن ، ثم شرع يقول : « أعرف انك كنت تدركين اننى لن ألث ان ارتكب حماقة تصحك الناس منى ! .. وكنت فى أعماق أعماقى موقنا من ذلك ، ولكننى حاولت أن أقنع نفسى بأن «(دنيس)» تختلف عن غيرها .. وأفلحت فى محاولتى ففدوت أو من بذلك ! وليست لديك اية فكرة يا أماه عن السهولة التى يستطيع الانسان بها - اذا كان عاجزا مشوها - أن يخدع نفسه .. انه يقنع نفسه تدريجيا بأنه شاب وجيه ، مقبول ، لا قزم مبتور الساقين ! .. انها الحقيقة يا أماه ، فلم المراوغة والانكار ! »

ورأى شفتيها ترتجفان ، وهى تضم قبضتيها فى الم .. واستطرد يقول : « يجب أن أعود الى مونمارتر .. اغفرى لى ما أسبب لك من الم ، ولكن هذا هو الحل الوحيد .. لن أستطيع أن أدبر لنفسى حياة فى غير مونمارتر .. وهناك ، سوف أجنيك ما تعرضت له الليلة من الم ! »

وانحدرت الدموع من عينيها وهى تقول : « ولكنك ستكون وحيدا .. »
 - ان الوحدة لن تتخلي عنى فى اى مكان .. لا تبكى يا اماء ، فكل منا
 بحاجة الى الشجاعة .. ولسوف أزورك .. ولا تنسى قط ، مهما حدث ،
 اننى احبك ، وسأظل احبك بكل قلبى ..

الخمير ملجأه وملأذه !

◆ وعاد الى باريس ، والى مرسمه فى دار مدام لوبيه .. واقبل على
 العمل يفنى فيه كل وقته وجهده .. وأخذ ينشغل فى رسم عدة لوحات فى
 وقت واحد ، بسرعة مطردة ، ويد ثابتة .. بينما كانت مدام لوبيه تجلس
 فتقرأ له الصحيفة ..

ولكنه كان اذا ما حل الغروب يحس بالوحدة .. بل كان يسمعها تهمس
 اليه بذكرىات تعذبه .. كانت الذكرىات تهاجمه من كل جانب ، فكان يفر
 منها الى الطرق يهيم فيها على غير هدى ، ثم ينتهى الى مشارب
 «بوليفار كليشى» ، حتى أصبحت له ملاذا وملجأ .. واكتشف أن الخمير
 كانت تفرق وحدته ، وهمومه ، وعجزه ، وقبحه .. وتثير فى خياله أبداع
 الاحلام ثم تبين أنه لا يفقد الوعي مهما ملأ جوفه منها !

وانقضى عام وبعض العام عليه فى حياته الجديدة .. وفى احدى
 الامسيات ، كان فى ملهى «لومبرليتون» ، حين طلب اليه ان يرسم غلاف
 كتيب يتضمن أغنية جديدة ، فاذا الرسم ينجح نجاحا باهرا ، أطلق أقلام
 النقاد فى امتداح مبتدعه ..

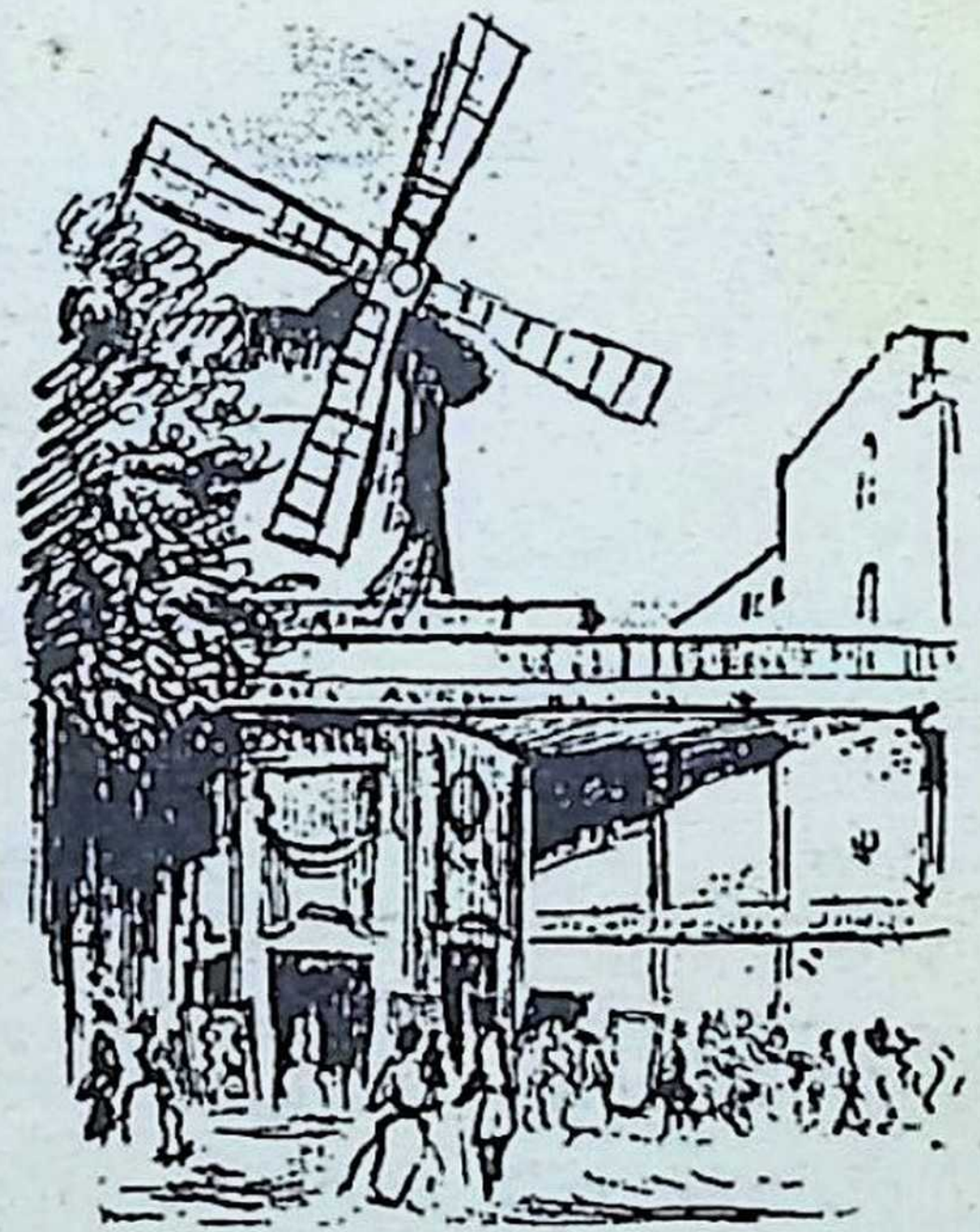


ورسم «سكيتشات» لاغان أخرى ..
 ولمجلات جديدة .. وذاع اسمه ..
 وأصبح يقابل باحترام فى كل مكان ،
 ويسمع الاطراء من أغراب عرفوه دون
 ان يعرفهم ..

واقبل صيف سنة ١٨٨٨ ، وهنرى
 فى سعادة لم يحظ بمثلها من قبل
 .. وذات مساء ، كان يتلهى فى مرقص
 «ايل» برسم احدى راقصات
 «الكان كان» العاريات ، حين اقحم
 غريب عليه نفسه ، فذكر له انه يدعى
 «شارل زيدلير» ، وانه اذ راقبه وهو
 يرسم فتاة «الكان كان» ، وجد فيه

راقصة «الكانكان» بشيائها
 التقليدية بريشة «تولوز لوتريك»

ضالته المنشودة ، فان هؤلاء الراقصات
يثرن اهتمامه هو الآخر ، ولكن ..
من ناحية تجارية .. فهو قد قضى في
الوسط المسرحي عشرين عاما انتهت به
الى ان يصبح مديرا لاعظم « سيرك »
في باريس ..



وباح زيدلير لهنرى بمشروعه الذى
يطوى عليه جوانحه : كانت باريس
تأهب للمعرض الذى سيقام فى الربيع
التالى ، والذى سيقبل لمشاهدته
آلاف مؤلفة من الناس .. ومن ثم فقد
اعتزم ان يقيم مرقصا يكون الاول من
نوعه فى العالم .. ولما كان الناس لا
يرقصون طيلة الوقت ، فسيقوم فى
وسط ساحة الرقص مسرحا يقدم عليه
برنامجا مبتكرا ، يبدأ بمفنية تفوح

ملهى «الطاحونة الحمراء» بباريس
بريشة « تولوز لوتريك »

منها ريح البراءة والطهر ، لتلقى اغان
يندى الجبين خجلا مما تثيره فى
النفس من غرائز ! .. ثم يتيح للرواد بضع رقصات ، يفاجئهم بعدها
بعائشة .. التى تذكى وقدة غرائزهم برقصة البطن ! .. ولن ينسى النساء ،
وقد اعد لهن برنامجا يؤديه «بهلوان» من البارعين .. ويعود الرواد الى
الرقص الذى تتخلله بعض «النمر» .. حتى اذا اوشكت السهرة على
ختامها ، عرض عليهم راقصات «الكان كان» ليبهر ابصارهم !

واذ ذكر له هنرى ان مونمارتر تزدهم بالملاهى ، هتف الرجل متحمسا :
« ليس بينها ما يشبه ملهى .. بل انه لا مثيل له حتى فى امريكا ..
لسوف يكون فدا ، حتى فى مبناه .. سيكون على شكل طاحونة .. وسيطلى
باللون الاحمر ، خارجه وداخله .. فليس فى باريس بناء واحد احمر ..
فضلا عن ان اللون الاحمر من الالوان المستحبة ، لا سيما بالليل ، اذ يخلع
على النساء رواء ، ويشير الظما فى نفوس الرجال .. وستكون للطاحونة
مروحة ذات اذرع متحركة مضاءة بتلك الانوار الكهربائية التى وردت الينا
حديثا من امريكا ، بحيث تظهر على بعد عشرة اميال .. وسأدعو هذا الملهى،
بالطاحونة الحمراء .. « المولان روج » .. فتذكر هذا الاسم ياسيدى »

.. ولم يعد لهنرى بعد افتتاح «المولان روج» من مكان يقضى فيه سهراته
سوى هذا الملهى الذى كان يلقي فيه معاملة خاصة ممتازة ، لا ينالها اى

انسان آخر .. وكانت راقصات «الكان كان» يتبارين فى الجلوس الى مائدته ، وسرد مغامراتهن الغرامية عليه .. وهكذا انتهت سنة ١٨٨٩ .. الرائعة !

امراة .. من الطريق !

♦ وفى ساعة مبكرة من صباح أحد الايام ، كان هنرى يتخذ طريقه الى مسكنه منصرفا من الملهى ، والهواء البارد يصفعه ، حين سمع وقع قدمين تعدوان وراءه ، ثم رأى فتاة تقترب منه هاتفة فى ضراعة وانفاس متهدجة : « أرجوك ياسيدى .. قل اننى فى صحبتك ! »

كانت إحدى فتيات الليل ، وقد فاجأها بوليس الآداب وهى تحاول اصطياذ أحد الرجال .. واستطاع «هنرى» أن يفرر برجل البوليس ، وأن يقنعه بأن الفتاة كانت ترافقه من بداية الليل ، وأنه رأى فعلا فتاة أخرى تندفع مهرعة الى شارع آخر ، ولعلها هى التى كان رجل البوليس يطاردها ! وسارت الفتاة الى جواره ، والصمت يلفهما .. وكان يبذل جهدا مضنيا ليجاريها فى السرعة التى كانت تسير بها .. وتوقف اذ أنهكه التعب ، فقالت له : « ألا تستطيع أن تسرع ؟ » .. ثم انتبهت الى ساقيه ، فهتفت : « ما بال ساقيك ؟ .. اولدت هكذا ؟ » .. ولم يكن فى تساؤلها اثر للاشفاق .. ولا للاشمئزاز .. بل ولا للفضول .. لا اثر لشيء سوى التبرم ببطء خطاه .. واثار ذلك غضبه ، فدعاها الى أن تفارقه اذا شاءت .. ولكنها ظلت تسير الى جواره ، حتى اذا بلغا ناصية شارع «كولينكور» اشار لها الى منزل لتأوى اليه .. ولاول مرة فطن الى شكلها : كانت شقراء ، فى حوالى التاسعة عشرة على الاكثر .. لها عينان خضراوان ، قد تبدوان فى ضوء النهار لازورديتين .. وكان ثوبها الرخيص يلتصق بجسدها ، ويكشف عن بروز نهديها .. كانت بغيا ، محترفة ، رخيصة ، خطيرة .. ومع ذلك فقد كانت شهية ، مرغوبة !

وقالت فى رجاء اثار رعشة من السرور فى نفسه : « دعنى اقضى الليلة عندك ، ولن اسبب لك أى تعب ، بل سأغادرك فى الصباح .. هل معك سيجارة ؟ »

وقدم لها حافظة سجائره الذهبية ، فتأملتها وتحسستها فى فضول ، ثم سألته أن يشعل لها السيجارة .. وعلى ضوء الثقاب ، تبينت وجهه ، فقالت : « يا لك من قبيح الشكل ! » .. وامتقع وجهه فصاح فيها : « اغربى عنى .. اذهبى ! .. لست أريدك ! » .. لكنها أجابته فى هدوء : « بل تريدنى .. اننى أقرأ رغبتك فى عينيك .. لم تفضب ؟ .. لن أحفل بمجزك أو خلقتك المشوهة ! » .. ومضت تسير الى جانبه وهى تنفث دخان سيجارتها فى الهواء ..

وحين وصلا بهرهما دفء الرسم وضوؤه ، وما تبدى في جوانبه من آثار السعة التي يعيش فيها صاحبه .. وجلست على الأريكة تخلع ثيابها .. وراقبها مأخوذا .. كانت أول امرأة تقضى ليلتها في مرسمه .. وكانت رائعة !

وهتفت به : « لم تحقق في هذا ؟ .. ألم تر فتاة تخلع ثيابها من قبل ؟ » .. وأحس بغيرة وهو يفكر في عدد من تقلبت في أحضانهم من الرجال .. هذه الفتاة ابنة التسعة عشر عاما !

وسأله ان كان يريد الضوء ، فلما طلب اليها ان تطفئه ، نفخت فيه وهي تقول ساخرة : « أتخشى أن أرى ساقيك ؟ »

واستشاط غضبا .. وصاح يطردها ، ولكنها اندست بين الاغطية وهي تقول : « لا تصرخ والا أيقظت الناس .. ماذا يعني من ساقيك ؟ .. لا يهمني ان كنت عاجزا أو مشوها .. لقد وعدتك أن أكون رقيقة اذا آويتنى ! »

تبيعه الهوى .. فيشتري

♦ كان تولوز - لوتريك يقف أمام منضدة الرسم حين استيقظت «مارى شارليه» - كما كانت فتاة الطريق تدعى - في الصباح التالي ، فانفلتت من بين الاغطية عارية ، تسأله سيجارة .. وغازله منها تبذلها .. وقدم لها السيجارة ، ثم أمرها ان ترتدى ثيابها ، ولكنها ظلت جالسة تدخن وتأمل اللوحات المتناثرة في جنبات الرسم ..

واذ فطنت الى أن في المسكن حماما ، هتفت وفي صوتها فرحة الطفل الملهوف : « أرجوك .. دعنى استحم ! » .. وقالت وهي تستسلم للماء الدافئ : « ان شئت عدت اليك الليلة .. وسأكون رقيقة لينة مرة أخرى » .. وكان الاغراء قويا ، بعث حرقة في حلقه ، وأذاب عظامه ..

وعادت في الليل ! .. فلما كان الصباح التالي ، قالت له : « ان أردت ان أعود ثانية ، كان عليك ان تنقذنى اجرا .. فان شئتنى ليلة بأكملها ، فعليك ان تدفع عشرة فرنكات ! »

وأحس انها لم تصدر في ذلك عن طمع ، وانما عن طبع البغي التي تتخذ من جسدها سلعة تتجر فيها ، ولا تبيع لنفسها ان تدعه يستقل دون اجر ! .. وعرض عليها بعد أيام ان تصحبه الى المقهى الذي اعتاد ان يجتمع فيه بزملائه ، ولكنها رفضت .. كما ابت أن ترافقه الى « الطاحونة الحمراء » ، فاضطر الى أن يهجر هذا الملهى .. وأخذت صلتها تتركز وتبلور في صلة طابعها الكتمان عن الاصدقاء والمعارف ، حتى لقد أصبح يقضى معها معظم الوقت في حانة «كارمن» ، حيث لا يعرفهما أحد ، وحيث كانا يصرفان

الساعات فى شراب وتدخين ، لا يكادان يتكلمان .. وهما يترقبان الليل ليعودا الى الرسم ..

وكان يسائل نفسه فى الاسابيع الاولى عما دعاه الى أن يقبل هذه الحياة التى فرضتها عليه .. وكان يهتف بنفسه غاضبا : «ماذا دهانى ؟ » .. ولكنه لم يفكر فى التحرر .. كانت الفتاة قد أصبحت بكل شبر فى جسدها الفارع الملتف ، ملكا له ، ينتشى كل ليلة بتلمسه ..

وحدثته عن نشأتها .. عن أبويها اللذين لم يكونا يفيقان من الخمر الا ليضرباها .. وروت له فى غير خجل أو استحياء صلاتها البدائية بأبناء الجيران .. واضطرارها الى الهرب من الحى عقب معركة حامية مع فتاة أخرى من أجل رجل ! .. ثم تشردها ، وجوعها ، وتهربها من البوليس .. ونومها فى فراش الاغراب .. ووفودها على «مونمارتر» .. ولأول مرة ، لس هنرى فى لهجتها عرفان الجميل له وهى تذكر كيف أنقذها من البوليس ..

لكنها مع طلائع الربيع بدأت تتغير .. ولم تهدىء من روحها المشاكسة معاملته المترفة ، ولا الهدايا التى كان يفمرها بها .. وكانت قد أدركت ان الإشارة الى عجزه تثيره ، فأخذت تكررها لتملى عينيها من معالم الألم التى كان يختلج بها وجهه ! .. وشرعت تثير مشاجرات تجعل الجيران يفتحون أبوابهم ليتفرجوا - حتى لقد كانت «مدام لوبيه» تبكى اشفاقا من أجله ! - ثم ، وبلمحة من اللطف كانت ماري تسترضيه ..

وكان لكل شئ لديها أجر .. حتى حين استبقاها فى الرسم ليرسم صورتها ، كانت تتقاضاه الأجر كأي نموذج محترفة .. وكثر غيابها خارج المسكن ، متعللة بأنها تتردد على أخت لها .. ولم يعد يخدع بهذه العلة ، اذ استشف كذبها من تضارب أقوالها ، وكشف أنها عادت تجدد صلاتها القديمة .. ولكنه كان يتظاهر بأنه يصدقها !

وبدا يفقد ميله للعمل .. ودب الفتور والاهمال الى اللوحات الاعلانية التى كان يرسمها لبرامج «الطاحونة الحمراء» .. وأخذ يضيق بالوقت ، ويتبين مدى ما فى تبديده من عناء ..

تفر منه مع عشيقها .. ثم تساومه على العودة !

◆ وازداد تأخر «ماري» فى العودة .. واستفحل جشعها واستهتارها فى آن واحد .. وكانت تثور اذا سألها ، ويتعذب هو وهو يجلس الساعات فى انتظارها ، تكويه الغيرة بلهبها .. وأخيرا ، تداعت أعصابه ، فصار يثور عليها .. وأصبحت لياليهما مشاجرات وشتائم يتبادلانها وهما ثملان !

وتبين أنها عادت الى العشيق الذى فرت من دار أهلها من أجله ..
وانها كانت تبتز نقوده لتنفقها على هذا العشيق ، وتقضى أوقات غيابها عن
المسكن معه .. ومع ذلك ، فان هنرى حين طردها من مسكنه بعد احدى
معاركهما ، راح يبحث عنها كالمجنون ، حتى اذا اكتشف الوكر الذى لازت به
مع عشيقها ، توسل اليها فى ذلة أن تعود .. ولكنها لم تقبل العودة الا
اذا تقدمها خمسة وسبعين فرنكا عن كل ليلة .. وقبل !!

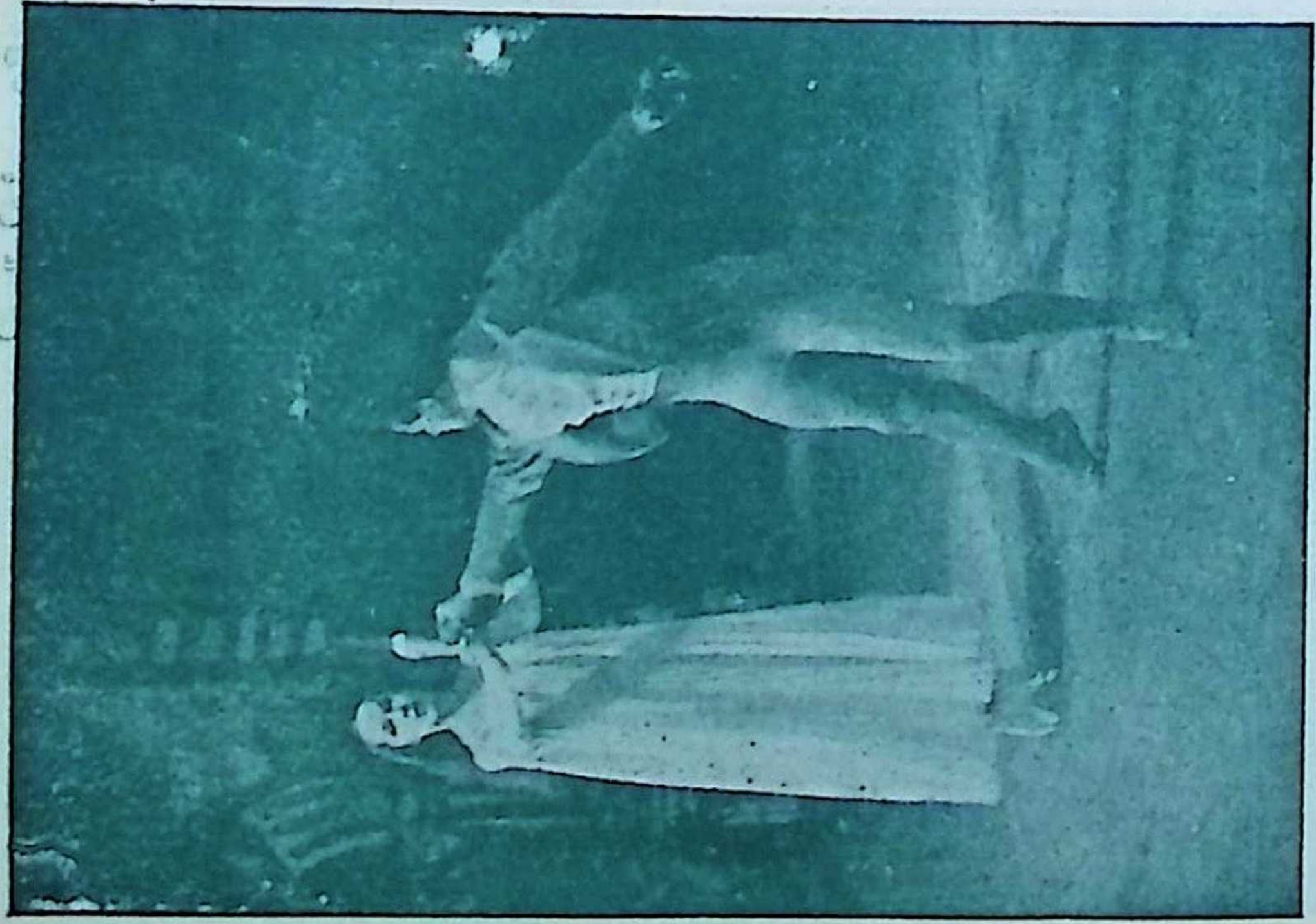
ولكنه سرعان ما تبين انها لم تعد حرة فى جسدها .. لم تعد صاحبة
ذلك الجسد ، وانما كانت تتصرف فيه وفقا لأوامر عشيقها « بيير » ..
وفى أحد الايام عرضت عليه أن تقف نموذجا أمامه ليستعين بها فى رسمه ..
وأخذت تبدى الإعجاب بفنه .. وعجب لتطورها ، وظن انها سياسة جديدة
ليبير تنفذها .. وزاد عجبه حين تطوعت للإقامة معه والعناية بمسكنه
وأعداد طعامه ، ومقابلة أصدقائه .. والانصياع له ! .. ورافق هذا التطور
انقلابا فى علاقاتهما الجنسية .. فقد غدت تبدى له فنونا من الخلاعة
المثيرة .. ولكنه كان موقنا فى قرارة نفسه من أن كل ذلك ليس سوى
زيف كاذب !

وشرع يتبين تدريجيا ان اشتهاه اياها أخذ يفتر ويضمحل .. وبدأ
يرسم خطة الخلاص منها : لقد تعلم ان المخلفات التى تتركها وراءها هى
التي تجعله لا يقوى على ابعادها ، فعزم على ان يطهر المسكن منها .. ولكن ،
ماذا يكون مصيرها ؟ .. قد ينبذها « بيير » هو الآخر اذا أيقن من أنها لم
تعد تجتلب له مالا ! .. وقد تجد نفسها بلا مأوى ، ولا مال ، ولا حب ..
فينتهى بها الامر الى البغاء الرخيص ، ثم الى السجن ، وربما الى ملجأ
البغايا !

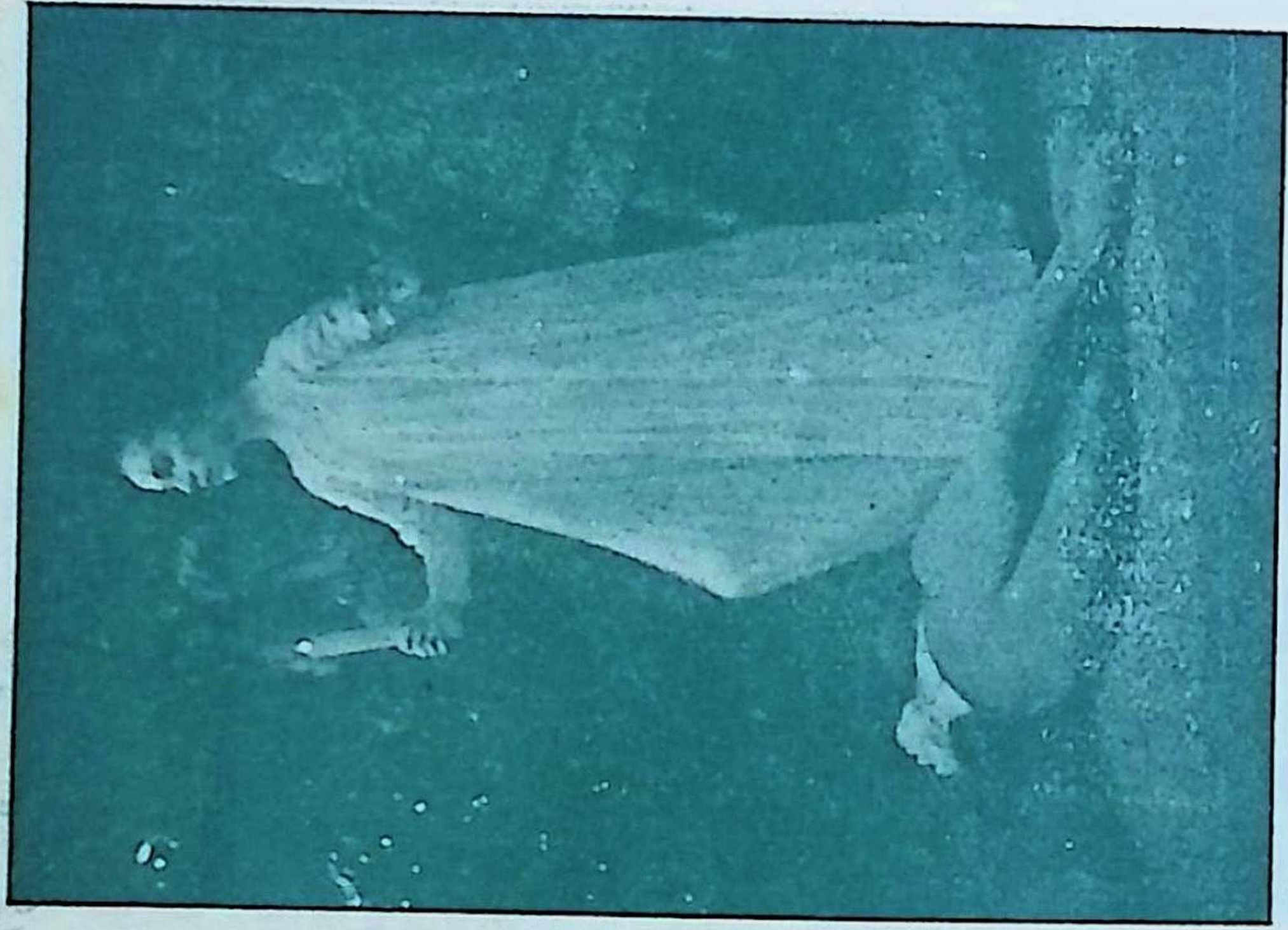
ساعة الانتقام

♦ وفى اصل أحد أيام سبتمبر ، اعلنها بأنه راغب فى أن يفترقا ..
وأخرج من أحد جيوبه ظرفا وقال : « لقد أعددت لك هدية .. »
ولكنه لم يتم عبارته ، اذ رأى وجهها يربد ، وأوصالها ترتجف ..
وأشفق عليها اذ رآها تسأله عن ذنبها ، وتذكره بانصياعها لكل رغباته ،
واقبالها على خدمته .. وكانت فى لهجتها ذلة .. وفى صوتها تهدج وحشرة
.. ثم نسيت وجوده ، واسقطت حذرهما ، وراحت تقول : « ماذا تراه فاعلا
بى ؟ .. ماذا تراه قائلا حين انبثه بانك طردتنى ؟ .. ارجوك يا هنرى ..
لا تطردنى .. سأصدع بكل ما تطلب .. »

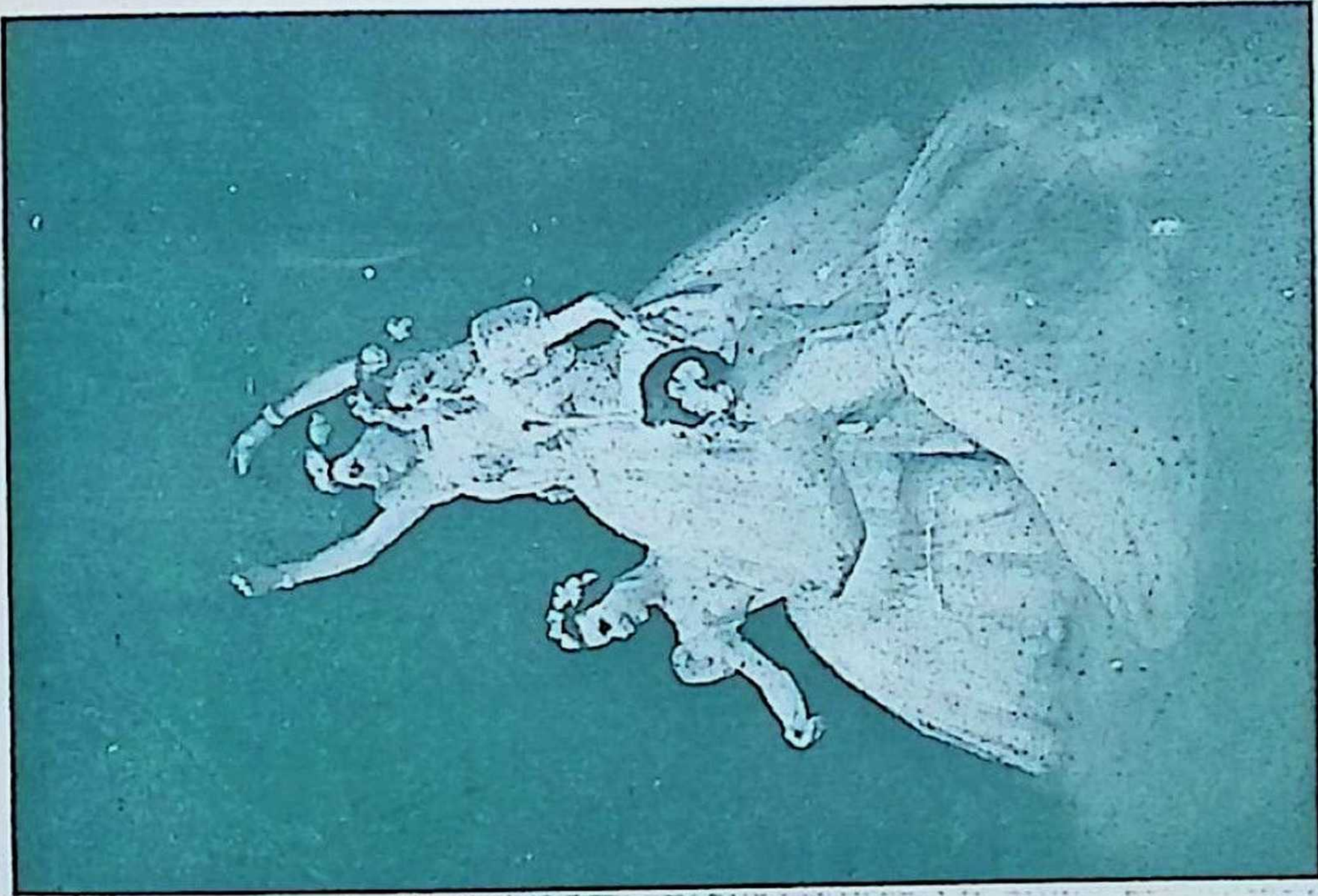
وكانت لهجتها يائسة .. اليمية .. وركعت أمامه تبلل يده بدموعها
وتوسعها لثما .. وأشاح بوجهه فى ألم .. وغطى عينيه براحته وقد خطر



تصوير الامير الای الدكتور ناجی یسی

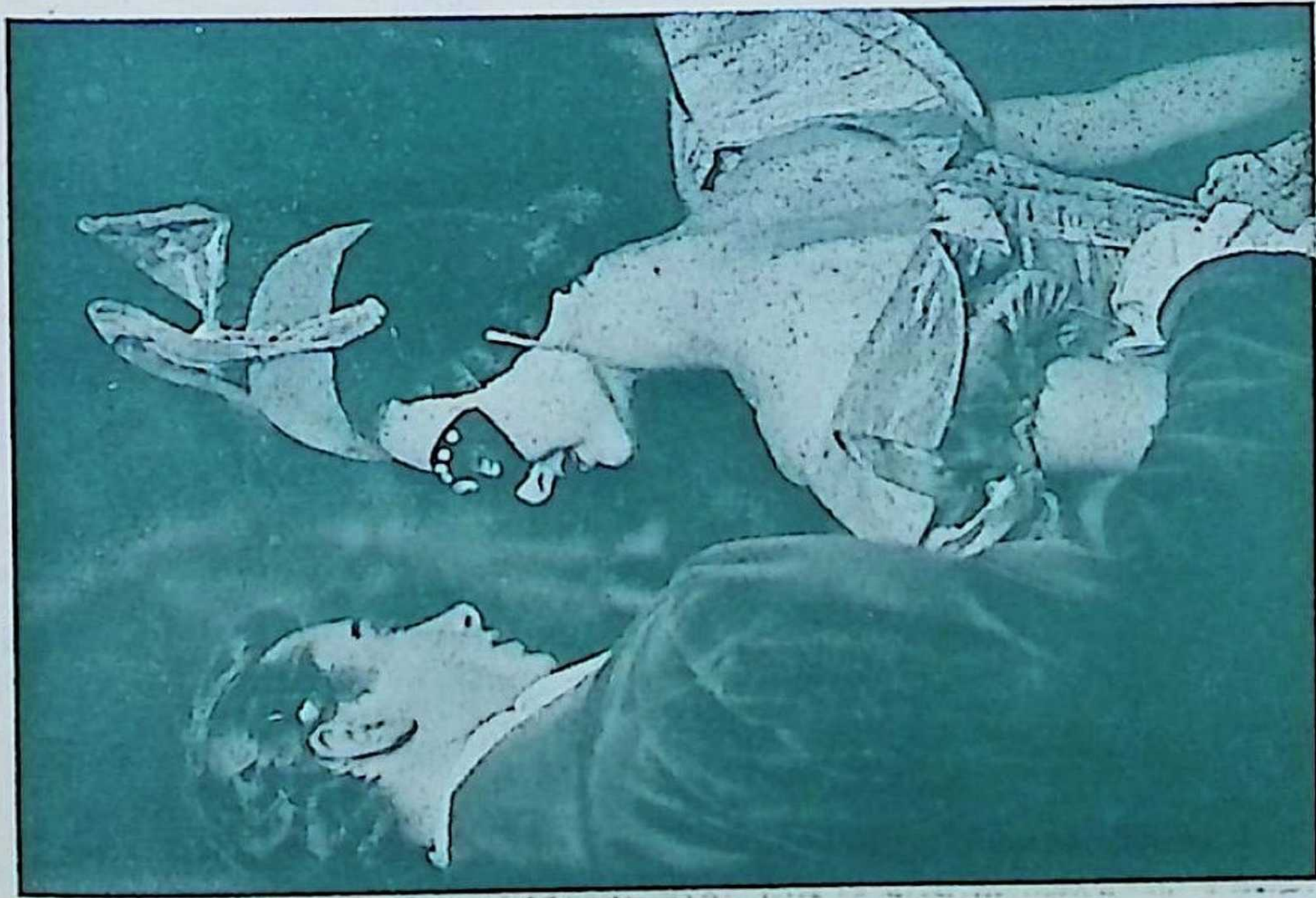


صورتان من بالیه « النائمة الهائمة »
كما مثلته فرقة (كلوفانس) الحالية على مسرح دار الاوبرا



منظر من باليه « رباعى »

تصوير الامير الالى الدكتور ناجى يسي



.. ومنظر من باليه « الرقص المقنع »

له أنها فى منظرها هذا كانت تشبه «مدام دوبارى» لدى المقصلة .. حين ركعت أمام الجلاذ تقبل يده ، وتكشف صدرها ضارعة .. وفجأة ، قفزت واقفة وصرخت : « اننى ابغضك .. وكنت دائما اكرهك .. واكره وجهك القمىء وساقيك المشوهتين .. بل كنت امقتك مذ وقعت عيناي عليك .. حتى حين كنت اقول لك اننى احبك ، كنت فى اعماق قلبى امقتك .. كانت لمساتك تثير قشعريرة فى جسدى .. ولولا «بيبير» ما عدت اليك .. لقد قسرني على العودة .. لكم يسرنى انك عاجز مشوه .. اتسمعننى ؟ .. اننى مسرورة ! »

ولم يردّها الى صوابها سوى ان هدها بأن يستدعى بوليس الاداب .. وجلس الى جوارها فى الارىكة وأمسك بيدها فى رثاء ، وسألها : « هل تعودين الى بيبير ؟ » .. فهزت رأسها ، وانعكس على وجهها ألم مثير وقالت : « لا .. انه لا يحبني ، بل يحب فتاة ذات شعر احمر .. انما يبغى منى أن ازوده بالمال .. »

— من العسير على نفس المرء أن يحب شخصا لا يحبه .. انت وانا نعرف ذلك .. وستجدين بعد فترة ان المرء لا يلبث أن يآلف الوحدة .. وجمد فى مكانه ينصت لوقع قدميها وهى تهبط السلم .. وفجأة ، سادت الرسم سكونة وهدوء .. واخذ الذباب يحوم فى فيض الشمس مرسلا أزيزا .. ورائحة « البودرة » التى كانت تستخدمها ما تزال عالقة بالهواء .. وترنح سائرا الى منصدة الرسم .. ثم عكف يرسم لوحة جديدة .. للطاحونة الحمراء !!

اللوحة التى أثارت باريس كلها !

♦ وفطرت باريس فاهها — بل أفواهاها — مشدوهة لروعة اللوحة الجديدة التى ثبتت على الجدران تمثل احدى راقصات « الكان كان » .. ولم يعد للمدينة من حديث سوى تلك اللوحة .. كانت تحفة نادرة ، اجتذبت الناس فتزاحموا حولها ، حتى اضطر رجال البوليس الى تفريقهم .. وهبت بعض الصحف تصفها بأنها « لوحة شيطانية » وتطالب السلطات بانتزاعها عن الجدران .. فى حين اكدت صحف أخرى انها أول لوحة اعلانية تمثلت فيها روعة الفن الحقيقى .. وراح رجال الدين ودعاة الاخلاق يندرون بأن براءة فتيات باريس فى خطر ، وان النساء لن يستطعن بعد ذلك أن يسرن فى الطرقات دون أن تضرع وجناتهن خجلا .. فانبرى لهؤلاء نفر من الفنانين والناقدين يؤكدون ان الاخلاق فى خير ، وان اللوحة « تحفة فنية اخلاقية » .. وان تولوز — لوتريك قد اتاح لرجل الشارع ان ينعم بالفن .. ولم يذهل احد قدر ما ذهل هنرى .. احس بما يحس به شخص القى

حجرا فى جدول فاذا به يشير سيلا جارفا .. وقال لصديقه موريس جويان - بائع التحف - وهو يحاوره :

- ان الابداع الفنى يجب ان لا يكون شيئا غير عادى فى اللوحات الاعلانية .. ولقد شئت ان اساعد زيدلر على اجتذاب الناس الى طاحونته .. ولكنى فى الوقت ذاته اصدع حياتى .. لم اعد أستطيع العمل ، فان الناس يتدفقون على مرسمى ، كل يريد ان ارسم له اعلانا عن بضاعته .. ما بين صانع « كورسيهات » وصانع عطور ، وصانع معاجين التجميل .. وما بين مديرى مسارح وممثلات .. ثم ان البريد يحمل لى اكسواما من الدعوات ، لا املك سوى ان ادفع بها الى الموقد ..

- لم لا تختلط بالمبرزين من عليا المجتمع المثقفين ؟ ..

- لا اريد ان اختلط باحد .. اننى قانع ، سعيد بالطاحونة الحمراء ، فكل واحد هناك يعرفنى ويتلطف معى ..

ولكن موريس لم يدعه ، بل ما زال به حتى قدمه الى بعض المجتمعات الراقية ، فاذا هنرى يكتشف ان تلك هى الاوساط التى ينتمى اليها حقا ، والتى لا ترى فيه عجزا او قبحا ، وانما ترى فيه « فنانا ، مبدعا ، جريئا » .. كانت شهرته تطبق كل آفاق باريس ، وفى وسعه ان يذهب اينما شاء ، فلا يلقى سوى الترحاب والاعجاب ..

خمسة أعوام .. بين الخمر والفانيات !

وهذا ما فعله فى السنوات الخمس التالية .. كان يقضى ليله فى المجتمعات ، ونهاره فى الرسم ، فلم يعد يحظى بكفاية من النوم ، واصبح حتما عليه ان يفرط فى الشراب ليظل مستيقظا .. كانت أعوام خمسة لم يتذكر منها - بعد انصرامها - سوى رؤى مهتزة ، شاحبة ، لسفاسف تافهة .. حانات ، وفانيات ، وراقصات ، وممثلات .. وغرف الممثلات وراء « كواليس » المسارح .. ومآدب كان يقيمها ويبدى فيها نزواته دون تورع او حرج ، حتى لقد قدم للضيوف مرة لحم القرودة .. ووضع اسماك الزينة فى ماء الشرب ! كان رغم شهرته يشعر بالوحدة ، ويدرك ان الناس الذين كانوا يتقربون اليه ، انما كانوا يتقربون الى اسمه وفنه ونجاحه ، لا الى شخصه .. وكان هذا يدفعه الى الامعان فى القسوة على نفسه ، والافراط فى الشراب ، والاسفاف فى الظهور بالثياب المضحكة .. لقد أصبح يدرك أنه لن يحظى يوما بحب امرأة ، وان تقرب النساء اليه يرجع الى شهرته وحدها !

واخذت صحته تنهار .. ولم يعد يقبل على العمل .. بل ان يده كانت لفرط الشراب تهتز ، حتى ليضطر الى ان يمسكها بيده الاخرى ليوقف ارتجافها ! .. واشفق عليه اصداؤه .. وكانت اكثرهم اشفاقا الراقصة

« جان آفريل » ، التى دعتة مرة الى الغداء لتسأله ان يرسم لها لوحة ..
ولاحظت بقلب آسى ارتجاف يده ، وتداعى روحه ، وتهدم صحته ، فحاولت



« المهرجة ، فى الطاحونة الحمراء » .. لوحة من أشهر
لوحات الفنان « هنرى دى تولوز لوتريك »

ان تنصحه بالاقلاع عن الخمر ، أو الاقلال منها ، ولكنه صدها فى جفاء وخشونة ..

وكانت صداقتهما أعمق من أن تجعلها تحفل بخشونته ، فأشعلت سيجارة ، وراحت تدخن برهة فى صمت ، ثم قالت : « لم تقتل نفسك يا هنرى بهذه .. الخمر ؟ الآنك وحيد ؟ .. لا تحاول أن تنكر .. فأنت وحيد .. ان الضيق بالعزلة مسطور على وجهك » .. واتسعت حدقتها فجأة اذ خطر لها خاطر ، ثم هتفت : « آه ميريام ! .. كيف لم أذكرها من قبل ؟ »

عارضة الازياء الفاتنة !

وان هى الا بضعة أيام حتى استدرجته الى محل فخم للازياء ، وأرسلت تستدعى عاملة من عاملات العرض « المانيكان » تدعى « ميريام هايم » ، فسرعان ما أقبلت فتاة أمسك هنرى أنفاسه اذ رآها ، مبهورا بروعة جمالها .. فتاة سمراء ، فى ثوب أسود جميل ، ذات قامة أقرب الى الطول ، وشعر أسود غزير ، ناعم ، راح يهتز على عنقها وهى تسير فى رشاقة وجلال .. وكان لها وجه بيضاوى جميل .. ولكن أروع معالمها تمثلت فى عينيها فى لون القهوة الداكنة ، متالقتين ، نجلاوين ، كأنما نظراتهما سهام ساحرة .. وقدمت اليها « جان » زميلها ، فلم تتمالك أن هتفت مبتسمة ، كاشفة عن أسنان كأنها الدر المنصود : « لقد ذهبت الى معرضك ياسيدى ، ولكن الازدحام لم يمكننى من أن أرى روائعك .. »

وراح « هنرى » يملأ عينيه من بهائها محسورا .. فلما انصرفا ، سأله « جان » رايه فيها ، فقال فى أسى : « انها رائعة الجمال .. ولكن ، ما قيمة رايى ؟ .. ما الذى تدبرينه فى رأسك الرشيق ؟ »

— انما أردت ان أجمع بينكما ، اذ اعتقد انكما تستطيعان أن تغدوا خير صديقين .. اننى أعرف ان ميريام تعجب بك ، فهى لا تمجد فى الحياة مثل النجاح والشهرة .. ولكنى أحب ان أحذرك ، فان ميريام فتاة غريبة الاطوار .. انها يهودية ، يتيمة ، شديدة الطموح ، وقد حددت هدفها ، فليس للحب مجال فى مشروعاتها .. وانما هى تقضى وقتها الآن فى انتظار الزوج المنشود الذى تتوافر فيه شروطها .. ولن يضيرها الانتظار ، اذ انها لا تزال فى الحادية والعشرين .. لذلك ، فلا يجب ان تطمع فى أن تتجاوز علاقتكما الصداقة .. تذكر هذا .. وان كنت قد لا تصدق ان ثمة فتيات يستمرن صداقة الرجل دون ان يهفون الى مضاجعته .. وشئ آخر .. لا تتوقع أن تطول علاقتكما الى الأبد ، فلن يلبث الزوج المنشود أن يظهر يوما ، وان يتيح لها ما تصبو اليه .. فتهجرها !

صراع .. بين الصداقة ، والحب !

♦ وهكذا .. لم ينقض أسبوعان ، حتى توطدت أواصر الصداقة بين هنرى وميريام ، وأصبح ينتظرها فى عربته مساء كل يوم فى ميدان « فندوم » ، ثم ينطلق واياها الى المسارح و « الأوبرا » ودار السينما التى كانت حدثا جديدا مثيرا .. والى الملاهى والمطاعم .. كما أخذت تفاجئه فى أيام الاحاد فى مرسومه فى ساعات الصباح كى ترقبه وهو يعمل .. وتحولت حياته تحولا غريبا ، فباعد كثيرا بينه وبين الخمر .. كان سعيدا ، والسعيد لا يحتاج الى خمر ! .. واشتدت اللفة بينهما ، حتى تصارحا بأحداث الماضى .. حدثها عن « دنيس » ، بل وعن « مارى شارليه » .. وحدثها عن الوحدة التى لازمتها السنين الطوال .. ومن ناحيتها ، حدثته هى عن فترات حياتها السابقة ..

و ذات ليلة ، صحبها الى حفلة موسيقية .. وراقبها وهى تغمض عينيها ، وتودع حجرها راحتها ، وتنصت الى السيمفونيات فى نشوة رائعة ، وقد انفرجت شفتاها فى شبه نداء للقبل ! .. وفى نهاية السهرة رافقها الى دارها كعادتهما ، فأقبلت تشعل النار فى المدفأة ، ثم أسرع فاعدت قهوة لذيذة .. وقال لها وهى منهمكة فى اعدادها : « كنت فاتنة الجمال الليلة ، وان كنت أراك فى غير حاجة الى المجاملة .. ثم انك تعرفين أنك جميلة فعلا .. فليس من داع لان أخبرك بذلك .. »

فضحكت قائلة : « بل ان المرأة يسرها ان تسمع الثناء ، ولو كانت على علم بمضمونه .. »

وقدمت القهوة ، ثم انطرحت على الارض الى جوار المدفأة .. وراح يرقبها فى وضعها الفاتن .. وفجأة سأله دون ان تلتفت اليه : « مالك تحديق فى ؟ »

— لقد كنت أسائل نفسى ما اذا كنت هنا ، او اننى أتصورك فقط .. اننى أستطيع ان أرى فى خيالى أشياء .. بل اننى أستيقظ أحيانا فى جوف الليل وانا أعتقد ان لا وجود لك ، واننا لم نلتق قط .. أواه يا ميريام .. لشد ما أنا مسرور بتعارفنا ..

— هنرى .. او احببتنى ؟

وأحس بالقدح يهتز فى يده ، وخفق قلبه جزعا : أتراها مقدمة على هجرانه؟ وآثر فى البداية ان ينكر ، ولكنه لم يقو على المضى فى الإنكار ، فقال : « أواه يا ميريام ! .. لست أطمع فى أكثر من صداقتك ! .. اننى أعرف أنك ستفارقينى يوما .. ولكن ، دعينا فى صداقتنا الى أن يحين ذلك الموعد » .. واذا ذاك حدثت فى وجهه متفرسة وقالت : « كم يسرنى ان أسمع

هذا .. أنا أيضا أرغب في صداقتك .. واني لأراها صنيعة فوق كل ماتصور .. أنك لتعرف اننى لا أحبك ، ولا أريد أن تحبنى ، اذ قد تسىء الى نفسك ، ولست أحب أن أؤلمك .. انما أحب أن أسعدك ! »
وتأهب للانصراف .. لكنها قبل أن ينهض كانت قد قفزت الى جواره ،
والصقت شفتيها بشفتيه قائلة : « لا داعى لأن تنصرف يا هنرى »

صيف .. فى الجنة !

♦ وقضيا ذلك الصيف معا فى « أركاشون » على شاطئ البحر ..
يركبان الزوارق ، ويصطادان السمك ، ويستلقيان على سطح المركب مغمضى العينين ، ووجهاهما نحو الشمس ، وأيديهما متشابكة .. يضحكان بغير حساب ، ويشترئران بتلك الحماقات التافهة التى يثرثر بها الناس عادة حين تستخفهم السعادة .. يتناولان الفداء أو العشاء فى شرفة بيتهما ، ثم يخرجان الى نزهة بالعربة فى غابات الصنوبر ، أو يتسكعان حتى يصادفا أحد تلك المقاهى المشرفة على الماء فيجلسا فى شرفته يقشران محار « أركاشون » المشهور ثم يفسلانه بنبيذ (بوردو) الأبيض .. فاذا حان المساء قفلا راجعين الى مخدعهما ، حيث يدثر الليل بالظلام نوبات عناقهما المحموم !

انه لن ينساها قط ، ولا هى تستطيع أن تنساه .. وانما سستظل تذكر مدى العمر ذلك القزم القبيح الذى أحبها بكل تلك الحرارة والعنف ! .. انها لا تحبه ، كانت هى واثقة من ذلك ، وان تحبه يوما .. لقد منحته جسمها ، لا قلبها .. وربما كان يحق له أن يامل فى هذا الحب لو كان أصغر سنا ، وأكثر طيشا ، أما الآن ، وهو فى الثالثة والثلاثين ، ولحيته قد بدأ يدب فيها المشيب .. فانه أمر بعيد الاحتمال !

وود هو لو استطاع أن يقمع حدة غرامه الجارف ، اليأس ، لكنه عجز .. وكانت تلك مشكلته التى عليه أن يواجهها ويحلها ! انه قد كذب عليها ، وسوف يدفع ثمن اكذوبته .. وعندما تحين ساعة الوداع ستكون له الشجاعة والتعقل اللذان يمكنانه من أن يحنى رأسه للأمر الواقع ، ويجنب الفتاة محنة مواساة العاشق الباكي اليأس المتوسل !

وفى أصيل يومهما الاخير على الشاطئ ، جلسا متجاورين يرقبان الشمس وهى تنحدر الى المغيب فى سماء صافية الاديم ، وقد سكن الهواء ، ولم يبق فى الماء غير قلة ضئيلة من المستحمين ، راحوا يفركون الملح عن أعينهم وهم يشقون المياه الضحلة ليخرجوا ..

ومدت ميريام يدها فتناولت يده ، قائلة : « لقد كان هذا الصيف أسعد ما مر بى فى حياتى .. لقد قضينا أربعة أسابيع فى الفردوس ،

بحيث لن أنساها ما حيت ! » .. ففهم وهو يطرق ببصره نحو يدها :
« وأنا أيضا ، سعدت أعذب سعادة .. لذلك يؤلمنى أن أرى نهاية
سعادتى ! »

فقالت ، ولكن فى لهجة جزم ، لا تساؤل : « انك تحبنى ، أليس
كذلك ؟ .. لقد فطنت الى ذلك منذ زمن ، لكنى لم أكن واثقة .. »
وهز رأسه صامتا ، كمجرم يقر بذنبه .. ثم قال : « أجل يا ميريام ..
الواقع اننى أهواك مذ رأيتك لأول مرة .. أحببتك رغم الايمان التى كنت
أبدلها مؤكدا اننى انما كنت انشد صداقتك .. كنت أكذب لاننى لم أكن
أحتمل أن أفقدك ! »

وفى صوت خفيض ، آس ، قالت له : « يؤسفنى أن حدث هذا ..
ولقد كنت مخطئا اذ قلت انك لم تكن تطمع فى أن أحبك ، فكل من يحب
خليق بأن يرجو أن يفدو محبوبا .. وكذلك كنت أنت ! .. لا تكذب ..
ان كل ما كنت تبدى من كرم وسخاء وصبر كان مصحوبا برجاء أن أحبك
يوما .. انك لم تستوعب الدرس قط .. ستظل تمضى فى الحياة معتقدا
أن ثمة فتاة ستقع فى هواك ، وستلقى دائما نفس الخيبة والاسى .. أعلم
اننى أجرح شعورك ، ولكننى بدورى فى نفس موقفك .. كل منا يمضى
فى الحياة ينشد الحب ، وكل منا لن يحظى به .. أنا لاننى نبذته ..
وانت لانك عاجز قبيح الشكل ! »

وكانت كل كلمة تهوى عليه كالطرقة فتحطمه .. ورات الدم يفيض من
وجهه ، ومع ذلك فقد مضت تقول فى ببطء : « أجل يا هنرى .. أنت
عاجز ، قبيح الشكل .. تقضى عمرك محاولا أن تنسى ذلك ، وأن تحمل
الناس على نسيانه ، ولكن .. بلا جدوى ! .. لا يمكن لفتاة أن تحبك كما
ترجو أن تحب .. ولو أن هذا كان ميسورا لكنت أحببتك .. لقد
حاولت ، ولكننى لا أقوى .. ولن أقوى .. لا تقاطعنى .. اتعرف لماذا لم
أحبك ؟ .. لاننى لا أزال أحب ذاك الرجل الذى حدثتك عنه .. ولو انك
منحتنى كل ما أشتهى ، ووفرت لى كل نعيم ورفاهية ، لما أحببتك .. بل
لأبفضتكم .. ولما ظلت خير صديق لى ، لانك عندئذ تمثل فى نظرى مشريا
يريد أن يبتاعنى بما ينفقه على .. اننى أشتهى كل شيء ، ولكنى أؤثر أن
أناله من رجل لم أمل اليه .. لا منك أنت ! »

وافترقا على أن يحاولا المضى فى صداقتهما ما استطاعا ، بشرط أن
لا يتحدثا عن الحب قط !

غيرة .. وهواجس !

◆ وكان من الشاق عليه أن يقنع فى باريس بأن يراها لبضع ساعات
كل يوم - ويرaha بالقبعة والنقاب والقفاز ! - بعد أن كان يرافقها فى

المصيف ليل نهار ، وتستلقى أمامه فى الزورق نصف عارية !.. لكنه كان مع ذلك عند كلمته ، فلم تجر على لسانه كلمة الحب !.. ومضيا فى صداقتهما ، كل يبذل قصارى وسعه لتسير سيرها الاول ، ولكنه كان يحس انه انما كان يخدع نفسه !.. وكان خوف هنرى من أن يفقد ميريام يزيد من تحفظه ، ويدكى من غيرته .. ولقد استنكر ذلك من نفسه ، وحاول أن يغالb اتجاهات مشاعره ، فعاد يلجأ الى الخمر ينشد عونها ..

واخذت الهوة تتسع بينهما ، رغم جهودهما الصادقة .. فقد راح يرهقها بغيرته الهوجاء ، فاذا احتجت رماها بأنها تشفق عليه لانه عاجز وقبيح الشكل مشوه الخلقة .. ولقد سأله مرات أن يكف عن اللقاء ، ولكنهما كانا لا يقويان على القطيعة ..

قلب العاشق .. دليله !

ثم جاء الربيع .. وكان « موريس » قد دبر رحلة لفرقة ملهى «الطاحونة الحمراء» الى لندن ، وأعد العدة لاقامة معرض للوحات «هنرى» هناك ، يحضره «هنرى» نفسه .. وجزع الفنان لفكرة مفارقة باريس وفراق «ميريام» ، فرفضها رفضا قاطعا ، ولكن «موريس» راح يلاحقه ملحا : « ان ثمة عشاء سيقام لتكريمك .. كما ان ولى عهد انجلترا سيحضر افتتاح المعرض .. ولن يقبل القوم على الحضور الا لانك ستكون هناك » .. وانضمت «ميريام» الى «موريس» فى جهوده ، حتى انتهى «هنرى» الى القبول ، قائلا وهو يملأ عينيه بجمال فانتته : « سأذهب ، على أن لا أمكث أكثر من أسبوع .. وعلى أن تكتبى لى يا حبيبتى .. فاذا احتجت الى ، فأبرقى لى ، احضر لفرورى ! »

وكان الوداع مؤثرا ، ورغم قصر فترة الفراق .. ووجد هنرى فى لندن من المشاغل مالم يدع له مجالا للراحة .. وأقبل فنانو لندن يحتفلون به ويكرمونه ، مما حجب اليه الرحلة .. ولكن انقطاع أنباء «ميريام» نقص عليه هناءه ، وبدأت الهواجس تعبت بذهنه ، وتثير قلقه وهمومه .. حتى اذا حان يوم الافتتاح ، كانت أعصابه فى أقصى حالات التوتر ، سيما وانه قضى الليالى السابقة مسهدا فى الفندق ، لا يكف عن الشراب محاولا أن يخفف من حدة هواجسه : ترى ما الذى حل بميريام .. أراحت ضحية حادث ؟.. وكان تارة يتصورها محمولة على محفة الى أحد المستشفيات .. ثم يتمثلها تارة أخرى وهى تحتضر ، فيجن جنونه !

وأصبح يوم الافتتاح وهو شبه محموم ، لفرط قلقه .. فعقد العزم على أن يهرع الى المحطة بمجرد انصراف ولى العهد بعد الحفلة ، فيستقل القطار الذى يبارح لندن فى الساعة السادسة مساء الى «دوفر» ، فلا يلبث فى النهار التالى أن يكون فى باريس .. ويطمئن الى مصير فانتته !

ولكن لا بد لطاقة اعصابه من حدود .. فلما أقبل الأمير ، كان هنرى غائبا عن وعيه .. وعبثا راحوا يهزونه ويصيحون به كى يفيق .. وعندما انتبه الى نفسه فى النهاية ، تمتم وهو يفرك عينيه : « لا بد أن الناس غلبنى .. ولكن .. يا الهى ! .. الأمير ؟ » .. فصاح به منظم المعرض وهو يحرق الارم غيظا : « لقد جاء صاحب السمو وانصرف .. أتسمع ما أقول ؟ .. ولقد حاولنا ايقاظك ، ولكن سموه أمر بأن ندعك فى نومك ! »

وارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة .. وتأمل الحشد الذى كان المكان يزخر به ، ثم هتف فجأة فى جزع كمن تذكر شيئا : القطار ! .. القطار ! .. كم الساعة الآن ؟ .. الخامسة ؟ .. يا الهى ! واختطف قبعته وعصاه ، وقفز نحو الباب .. ثم عاد فانحنى للقوم قائلا فى عجلة : « معذرة سيداتى وساداتى ، فلا بد لى من أن الحق بالقطار ! »

.. وبينما كان القطار يدلف الى باريس ، خطرت له فكرة بهت لها .. ما كان أغباه اذ لم يفتن اليها مبكرا ! .. لم لم يعرض على ميريام الزواج ؟ .. لقد كان فى جزع من أن يفقدها ، أفلم يكن الزواج خير ضمان يكفل له أن لا يفقدها ؟ .. ولعلها كانت تشد هذا ، فقد كان لديه ما يفوق الحب والمال اغراء ، سيما بالنسبة لها .. كان لديه اسمه المحفوف بالمجد والشهرة واللقب العريق .. لسوف يعرض عليها الزواج بمجرد أن يراها ! .. وراح يدبر كل حركة ، ويعد كل كلمة .. سينتهاز فرصة يكونان فيها امام المدفأة فى مسكنها ، وقد تشابكت يداهما .. ثم يسألها أن تصبح « الكونتيسة دى تولوز لوتريك » !

واندفع الى أول عربة صادفته وهو يغادر المحطة ، وأمر الخوذى أن يذهب به الى مسكنه بأسرع ما يستطيع ، كى يغتسل ويستبدل ثيابه ، ويسرع الى « ميريام » ..

المفاجأة المشؤومة !

♦ ولكن القدر كان قد أعد له خطة أخرى ، فانه وجد فى انتظاره لدى مدام لوبيه رسالة تركتها له « ميريام » على اثر سفره .. رسالة بادر بفضها فى لهفة ، وارتابك ، ليقرأ فيها انها قد عثرت على رجلها المنشود .. ورحلت معه !

وكانت الرسالة يد القدر التى اسدلت الستار معلنة نهاية سعادة « تولوز لوتريك » .. اذ كانت السنوات القلائل التى انقضت من حياته بعد ذلك - حتى لفظ آخر أنفاسه فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٠١ - من أفظع

السنوات وأبشعها .. فلقد قضت الخمر على كيانه وعقله ، حتى اضطر
أصدقاؤه الى ايداعه احدى المصحات العقلية .. ومع ذلك فقد كان فنه
يطغى على كل جنون ، وكانت عبقريته تسمو .. حتى وهو فاقد العقل ..
فأخرج فى جنونه أروع اللوحات !

وعاد فى النهاية الى أحضان أمه .. كانت هى كل من بقى له فى الحياة
.. وكانت الوحيدة التى أحبته فلم يفتر حبها قط .. ولقد غمرتها
السعادة - رغم الأسى والحسرات - وهى تجلس الى جوار فراشه ، تمشط
شعره بأصابعها فى حنان ، وتحاول الابتسام خلال الدموع المنهمرة من
مقلتيها .. كانت سعيدة لانه عاد اليها ، ولم يخيب أملها .. وكانت سعيدة
لانه قد آن له أن يكف عن الصراع والكفاح والالام .. سعيدة برغم الأسى
الذى كان يعتصر قلبها وهى تراه يتأهب للرحيل .. فقد كانت رحلته هذه
المرّة بلا عودة ! .. ولكنها لم تحاول أن تتشبث به أو تستبقيه .. بل راحت
تردد له فى حنان ورفق : « نم يا صغرى .. نم يا ربرى ! »

وبدا وجهها الحزين ، الحنون ، يبهت أمام عينيه .. ويبعد .. ويتوارى
وراء حجاب شفاف من الظلام ، رغم أن النهار كان قد بدأ يفزو الحجرة
بطلّاع ضيائه .. كان الظلام يدلهم أمام عينيه .. ولكن النور كان ينبثق
فى أعماقه .. وهو يتمتم فى صوت واهن .. محتضر : « ماما .. ماما ..
وداعا يا ماما ! »

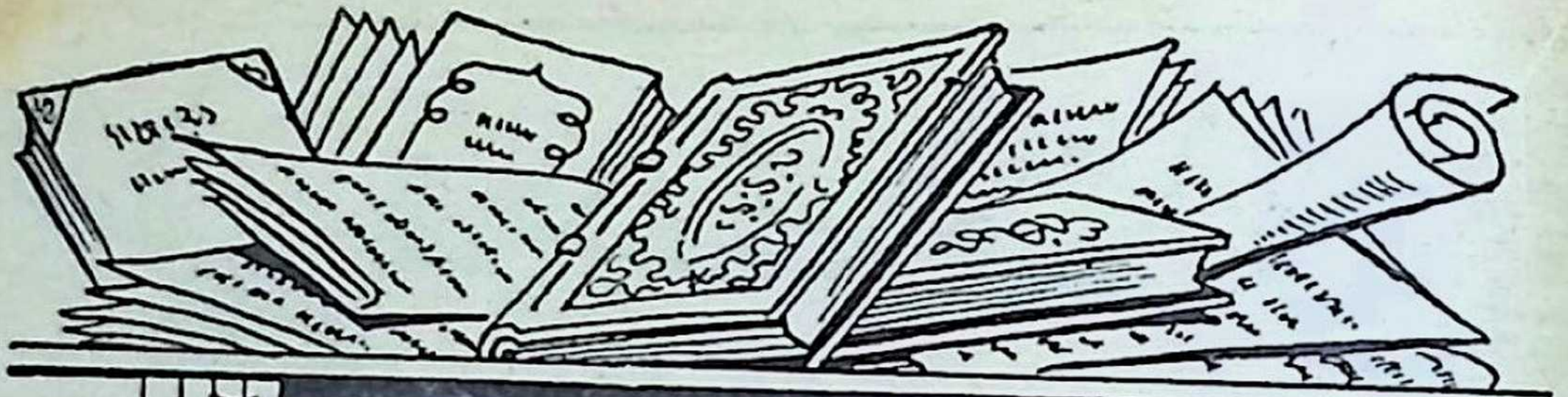
ولم يكن قد تجاوز السابعة والثلاثين !

بنك مصر

يتقدم الى شعب وادى النيل المجيد بالتهنئة الصادقة بعيد الفطر
المبارك ويدعو الله مخلصا أن يعيده على الوادى وهو متمتع بالفرحة
والهناء وعلى الانسانية جمعاء بالخير والسلام .

بنك مصر

أسس شركاته الكبرى التى وطف بها خصائص البلاد
وامتغل مرافقها فإذا بها الدعائم التى قام عليها
التصنيع القومى فى البلاد وكانت السياج المنيع للتحرر
الاقتصادى منذ ٣٣ عاما فدل على الكفاية المصرية
وتفوق الحقل المصرى فى مصمار الحياة العملية



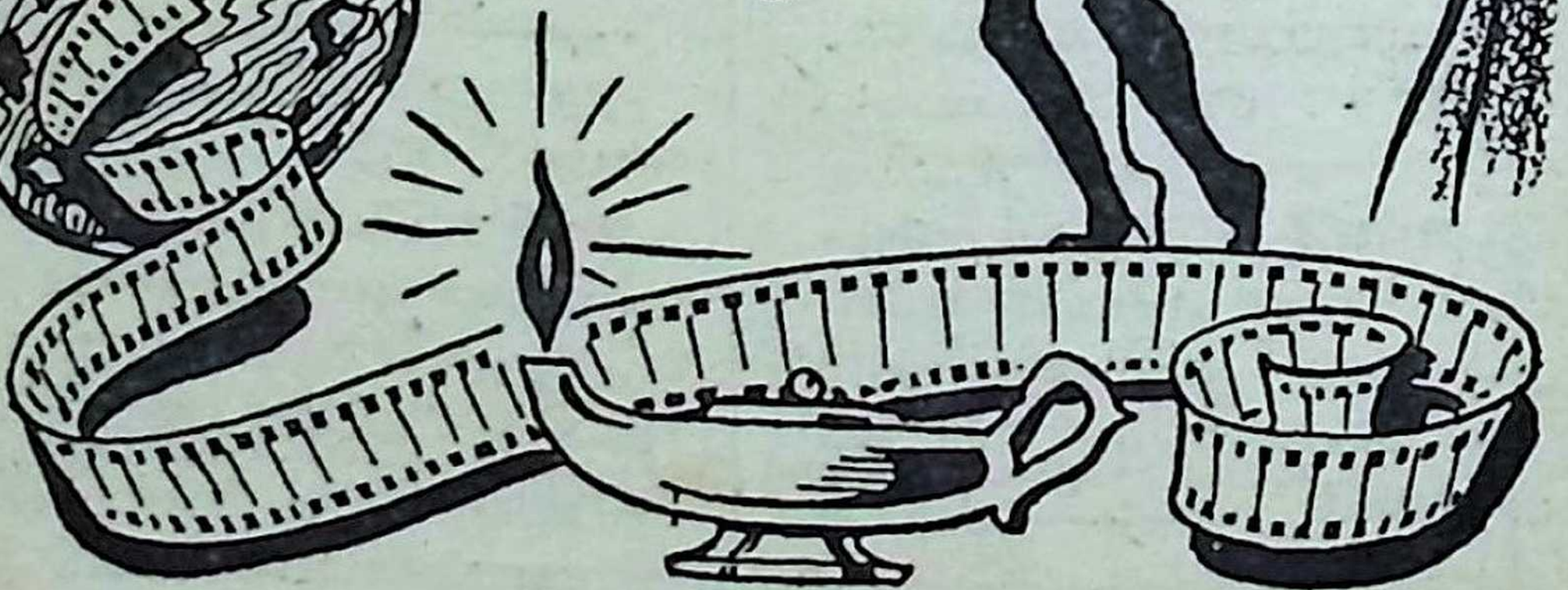
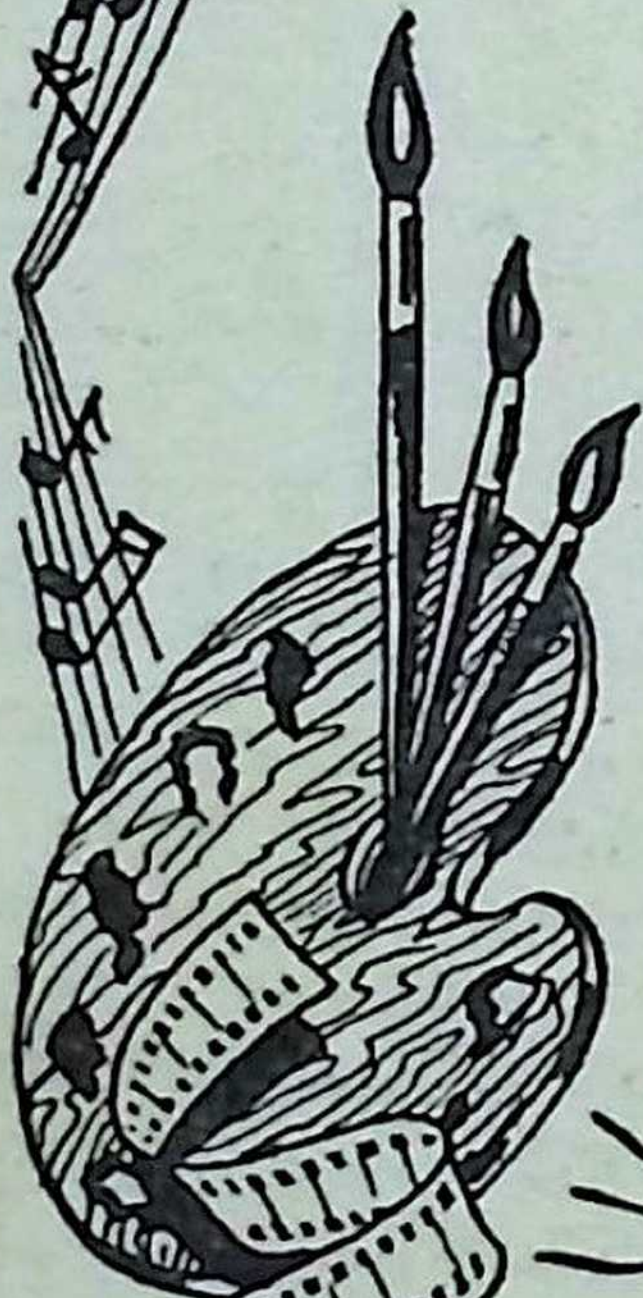
دائرة معارف
الثقافة العالمية

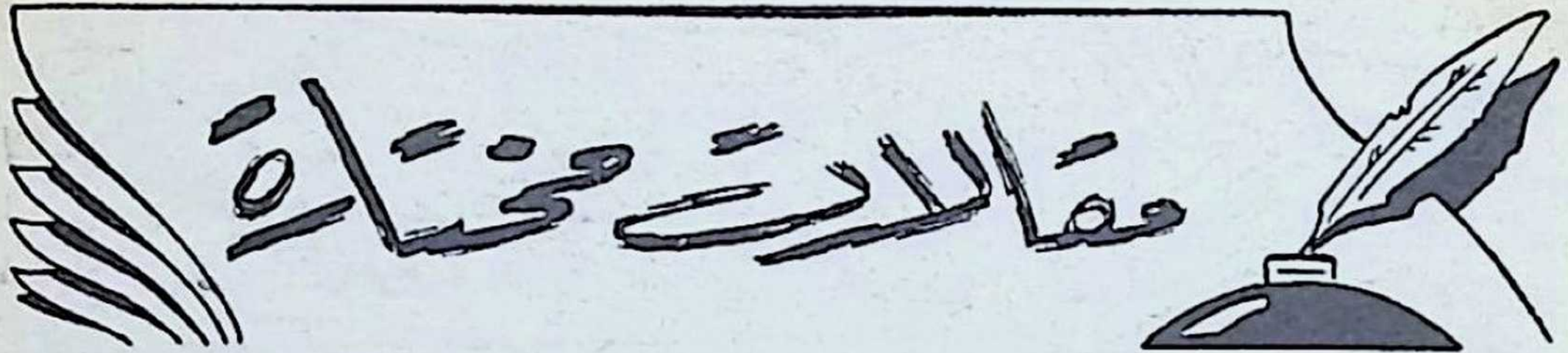
مطالعات

في الكتب والمجلات والموسوعات

ومشاهرات

في المسارح والمعارض
ودور السينما





اليوم ، اذ يودع العالم الاسلامي شهر الصوم المبارك ، يسر ((كتابي)) وهو يقدم تهانئه بعيد الفطر للمسلمين في كافة انحاء العالم العربي، ان يقرن التهنئة بنشر هذا الفصل الطريف عن ((الصوم))، نقلا عن ((دائرة معارف الدين والاخلاق)) Encyclopedia of Religion and Ethics

الصوم

التي كانت تصحب الصوم، ما يدعوها الى ان يمارسه متطوعا من تلقاء نفسه ..

♦ الصوم كمصدر للوحي : من ذلك انه لاحظ ان فترات الصوم القهرى ، كانت تتسم بجلاء الدهن وصفاء النفس ، مما كان يلهمه وسائل التغلب على النوائب .. فأقبل على الصوم متطوعا كلما احتاج الى الهام او وحى من القوى العليا .. ولا يزال هذا التقليد ساريا في قبائل «الزواو» ، حيث يصوم الفرد بضعة ايام اذا شاء ان يستلهم الالهة او ان يحظى برؤيا قدسية .. ايمانا منهم بأن «الجسد المتخمر بالاكل ، لا تتكشف له الاسرار الخفية»

ولقد عرف بنو اسرائيل الصوم كوسيلة للاستلهم او استنزال الوحي . وفي القرآن ان النبي موسى صام اربعين يوما واربعين ليلة على جبل سيناء ، تأهبا لتلقى

♦ الصوم الاضطرارى ..

والصوم الاختيارى : من العسير ان يرد كاتب اصل الصوم الى منشأ واحد ، فان بعض الدراسات القديمة تبين ان الصوم كان يتخذ وسيلة فى بعض الاحيان للاستعداد لبعض الولائم الدينية ، اذ كان الانسان - فى بداية معرفته بالعقائد - يصوم اياما قبل الاعياد، لينزل لحم الاضحيات القدسية - اذا ما تناوله ليلة العيد من الكهنة - على جوف طاهر نظيف .. ووجد بعض العلماء ان الانسان الاول كان يصوم لاغراض دينية .. ولبعض الطقوس الخاصة بالسحر .. وللحداد والحزن .. وكان الصوم - اول ما عرفه الانسان - حالة قسرية يجبر عليها ، وذلك فى الفترات التى كان يعز عليه فيها الحصول على القوت .. وعلى مر الزمن استطاع الانسان ، على ضوء تجاربه وخبرته، ان يجد من الفوائد

ومرد ذلك الى اعتقاد الانسان الاول أن الاكل قد يخلق تأثيرات «شريرة» على الجسم ، كعسر الهضم والمرض من ناحية ، وكالاحلام المزعجة من ناحية أخرى ، وكيقظة الفرائز الجنسية من ناحية ثالثة ، وكلها أمور كانت تعزى الى حلول الارواح الشريرة في الجسم ، فلا سبيل الى التخلص منها الا بالصوم لطرد تلك الارواح .. (واساطير اليونان الاقدمين حافلة بذكر هذا اللون من الصوم !)

◆ الصوم عند قدماء المصريين:

ولقد ذكر المؤرخ «بلوتارك» أن قدماء المصريين عرفوا الصوم كوسيلة للزهد والتقشف ارضاء للالهة .. فكانت مصر بأسرها تحتفل باليوم الاول من الشهر التاسع للعام ، وتستقبله بالسولائم والاسراف في الشراب والطعام ، لاسيما السمك .. ولكن كهنة « ايزيس » كانوا يحتجبون في ذلك اليوم ويلوذون بالمعابد ، منقطعين عن كل اكل وشراب !

◆ الصوم عند بلوغ المراهقة :

ولا تزال بعض القبائل - التي تعيش حتى اليوم بعيدا عن أضواء العلم والحضارة - تفرض الصيام على ابنائها اذا ما وقفوا على أعتاب مرحلة البلوغ والمراهقة .. فيحتم على الصبي في القبائل الاصلية في « نيو ساوث وايز » و « نيو هبريد » و « نيوجينيا » و « اندامان » أن يصوم يومين كاملين عن كل

الالواح .. ويحتم هنود امريكا الحمر على من يريد منهم أن يصبح طبيبا أن يصوم فترة محددة من الزمن ، يخلو فيها الى الارواح الطيبة يستلهمها العلم .. وشبيه بذلك ما يفرضه «الاسكيمو» على من يريد أن يصبح كاهنا ، اذ يجب أن يعتزل الناس ويصوم الى أن تتجلى له الارواح التي ترشده وتقوده ..

◆ الصوم للتكفير عن الذنوب:

حدس الانسان الاول أن الالم قد يرضى القوى العلوية التي كان يؤمن بوجودها وراء الطبيعة .. ووجد في الصوم لونا من الالم المقبول ، فأخذ يصوم متطوعا كلما اراد أن يسترضى الالهة وأن يكفر عن ذنوبه ويتوب ..

وقد عرف بنو اسرائيل الصوم لهذا الغرض ، ولعلمهم أخدوه عن الفراعنة ، اذ كان شائعا لديهم .. كذلك أخذت به المسيحية والاسلام ، فالمسلم يصوم ثلاثة أيام اذا اراد أن يكفر عن يمين حنث فيها .. وفي القرآن أن الساعى الى الحج اذا ما خرق بعض طقوس الحج، وجب أن يصوم ثلاثة أيام في الاراضى المقدسة وسبعة اذا رجع !

وعلى العموم ، فإن الصوم قد رافق تاريخ الانسان كوسيلة للتطهر والتقرب الى الله - أو الالهة ، أو القوى العلوية ، حسب المعتقدات المتنوعة لكل جماعة من البشر - أو التأهب لبعض الطقوس الدينية ..

شيء عدا الماء ، اذا ما بلغ هذه المرحلة ..

أما الهنود الحمر الأمريكيون ، فيفرضون على الصبي عند البلوغ أن يعتزل الناس ويلزم الصيام حتى تتجلى له - في منامه أو أحلام يقظته أو تخيلاته - الروح الحارسة التي سترافقه حتى نهاية عمره ، تصده عن الشر وتهديه الى الخير - وهي فكرتهم البدائية عن «الضمير»!

صوم النساء في الحيض :

وتحتم قبائل سكان « كولومبيا البريطانية » الأصليين على الفتاة أن تصوم اربعة أيام عن الاكل اذا حاضت - وانتهى العادة الشهرية - للمرة الاولى .. وأن تمتنع عن اللحوم الطازجة كلما وانتهى بعد ذلك ، طيلة حياتها !

وكان الشاب والفتاة - لدى أهل الصين القدماء - يصومون عن الطعام اياما قبل الزواج ، تطهرا وزلفى الى الالهة لتكتب لهما السعادة في حياتهما الجديدة ..

♦ **الصيام أثناء الحمل :**

وقد يكون الصيام جزئيا ، أى ينصب على بعض اصناف الطعام والشراب فقط ، اذ كان الانسان الاول يعتقد ان للاكل تأثيرا مباشرا على كيانه ، بل وتكوينه البدائي قبل مولده .. فكان الاب والام يحرمان نفسيهما من بعض اصناف الطعام أثناء فترة الحمل وتكون الجنين .. وهو اعتقاد ناشئ عن خرافات السحرة الاقدمين، ولا يزال

سائدا لدى بعض القبائل ، لاسيما جزر «الميلانيز» .. وتصوم المرأة من عشائر « الكويتا » - في نيوجينيا - عن اكل السمك وبعض اصناف الخضر اثناء فترة الحمل ، ويشاركها زوجها هذا الصوم .. كما تمتنع الحامل في بريطانيا الجديدة - « نيو بريتين » - عن تناول بعض انواع السمك ، ايمانا بأن لها تأثيرا مباشرا على اخلاق الجنين وتكوين شخصيته .. وتمنع الحامل في جزر « اندامان » عن اكل لحم الخنزير والسلاحف واصل النحل ، فترة قبل الوضع ، وفترة مماثلة بعده ..

♦ صيام الزوج أثناء حمل زوجته:

وتفرض قبائل «كوروادوس» - بأمريكا الجنوبية - على الزوجين أن يمتنعا عن تناول اللحوم بجميع انواعها خلال فترة حمل الزوجة ! .. أما «الاكسينجو» - وهم من عشائر الهنود الحمر - فيحرمون على الزوج وحده السمك واللحوم والفواكه أثناء حمل زوجته .. وكذلك تفرض قبائل الاسكيمو التي تعيش حول البحر الكاريبي ، على الاب أن يصوم اربعين يوما قبل مولد ابنه واربعين بعدها ، وان يمتنع بعد ذلك عن بعض اصناف الطعام في فترات متفاوتة ، حرصا على حياة ابنه !

ومن أغرب انواع الصوم ، ذلك الذي يفرض على أبناء قبائل

◆ الصيام حزنا وحدادا :

والصيام فى حالات الحزن والحداد ، تقليد خالط تاريخ الانسان فى كثير من مراحلہ .. ويعزوه البعض الى رغبة الحزين فى مشاطرة روح فقيدہ الحرمان من الطعام خلال ايامها الاولى فى عالمها الجديد .. بينما يرى بعض آخر انه يرجع الى الخوف من ابتلاع اى شىء تعرض لجو سرى فيه الموت !

واقتران الصيام بالحزن شائع جدا فى ايامنا هذه لدى قبائل جزر اندامان ، ونيوجينيا ، وفيجي ، وأورورا ، وسولون (جزر سليمان) .. ولدى قبائل «يوروبيا» الافريقية ، وهنود امريكا الحمر ..

« نيوجينيا » .. اذ يحرم عليهم فى مرحلة الشباب بعض انواع المأكولات ، والا حاقت بهم أسوأ الاحداث .. وتؤمن قبائل «واجوجو» - بشرق افريقيا - بأن بعض انواع اللحوم ، كالكبدة والكلب والقلب ، محرمة فى مرحلة الطفولة ..

◆ الصيام وقت المرض :

كذلك تعتقد هذه القبائل - وتشاركها قبائل «التينا» فى «الاسكا» - على ما بين الاثنتين من تباعد - ان الصوم اثناء المرض يساعد على الشفاء .. ولا يزال الطب الحديث ينصح بالصيام من الطعام فى بعض حالات سوء الهضم واختلال الامعاء

لكل رسالة قصة



◆ فى هذا الباب ، ازمع ان اقدم لك بين الحين والآخر رسالة من الرسائل المشهورة الماثورة من عظماء التاريخ ، فى شتى مناسبات حياتهم ، مع التقديم لكل رسالة بكلمة عن شخصية صاحبها والمناسبة التى كتبها فيها .. وفيما يلي الرسالة الاولى ، وهى لمدام دى بومبادور :

ابوها انها ليست أهلا لغير ملك ، فعنى بتعليمها ، ثم دفع بها الى احضان زوج غنى .. وتنبأت لها

◆ كانت « جان انتوانيت بواسون » مسوقة منذ حداثتها لان تكون عشيقة لملك .. فلقد رأى

فتنزل عن نزواتها ، لتبقى الحاكمة المطلقة على فرنسا .. ومن ثم مضت تشجع الملك في مبادله ، حتى لقد كانت تقود اليه الحليلات بنفسها ! وكما عنيت بدنياها ، فانها اهتمت بخلاص روحها من الادران ، فكتبت الى البابا « بنديكت » الرابع عشر ، هذا الخطاب الذى سردت فيه ما فعلته للتكفير والتوبة ، آملة أن يقر أفعالها ويباركها ..

من مدام دي بومبادور الى البابا بنديكت الرابع عشر

♦ « فى اوائل سنة ١٧٥٢ ، رايت تحت دوافع لا داعى لتعدادها هنا ، أن لا اكن للملك سوى الشعور بالجميل وسوى اظهار العواطف ، واطلعت جلالته على عزمى ، راجية اياه فى الوقت ذاته ان يامر اطباء « السوربون » بأن يجتمعوا معا للتشاور ، وأن يكلف الاب الذى يتلقى اعترافاته بأن يتبادل الراى مع سواه ، سعيا وراء الوصول الى وسيلة يتسنى لى بها، وفقا لمشيتته، أن ابقى الى جواره ، دون التعرض للريب فى خطيئة لم أعد أقارفها .. » ولما كان الملك يعرف اخلاقى وطباعى ، فقد شعر بان لا امل فى أن انكث بما صممت عليه ، ومن ثم اذعن لرغباتى ، فكلف الاطباء بالاجتماع للنشاور ، وكتب الى الاب « (بيريسو) » يستشيريه ، فطالبه هذا بأن يحقق بيننا انفصالا تاما ..

عرافة عجوز بأنها ستغدو عشيقه ملك فعلا ، فأخذت الفتاة تبحث عن هذا الملك ! .. وسرعان ما أصبحت من نجوم المجتمع الراقى ، وهى سادرة فى البحث عن بغيتها ، حتى قدر لها أن تلتقى أخيرا بلويس الخامس عشر فى احدى الحفلات الراقصة فى سنة ١٧٤٤ ..

وفتنته لتوعا ، فأعرضت عن زوجها ، وغدت عشيقه الملك .. رسميا ! .. وسرعان ما أصبحت تدعى « الماركييزة دي بومبادور » ! وكان لها من الذكاء مثل ما لها من الجمال ، فلم تقنع بالحب وحده .. بل راح الطموح يدفعها ، فلم تلبث ان أصبحت الوحيدة التى تقض بريد الملك ، والتى يسعى اليها وزراؤه أولا ، والتى تتوقف على موافقتها قراراته .. وتبادلت الرسائل مع الديبلوماسيين الاجانب، وكبار مشاهير العصر ، وقادة الجيش .. وضربت فى فن الحفر بسهم وافر، وكرمت الكتاب والفنانين الموهوبين .. واستغلت الاموال الطائلة التى كان الملك يقدحها عليها ، فى مساعدة الفتيات الفقيرات ، والرجال المسنين ، وفى تعمير القرى المخربة ..

ثم قدر لغرام لويس الخامس عشر أن يفتر ، فاستبد القلق بـ مدام دي بومبادور ، وانتهت الى أن قررت أن تقمع شخصية العشيقه فى نفسها،

ولكن الملك اجاب بانه لا يمكن ان يقبل مثل هذا الاقتراح، وانه ما سعى الى اجراء لا يدع للعامة اى مجال للريب، من اجل نفسه، وانما لارضائى وحدى .. اذ اننى ضرورة لازمة لسعادته، ولتصريف اموره على الوجه السليم .. فانا الشخص الوحيد الذى جرو على ان يجاهره بالحقيقة، وما انفعها للملوك !

« واجاب الاب الطيب بنفس رده الاول، لم يغيره، املا فى ان يزحزح الملك عن اصراره .. وكان اطباء السوربون كفيلىن بان يجيبوا بردود تمكن من تدبير وسيلة، لولا ان « الجيزويت » رفضوا منهم هذه الموافقة .. وتحدثت فى ذلك الوقت الى عدة اشخاص ممن كانوا حريصين على خير الملك والدين، فحذرتهم من ان الملك لن يحجم - اذا عزف الاب بريسو عن تحقيق امنيته - عن ان ينغمس فى حياة يلحق عارها بكل فرد ! .. ولكننى اخفقت مع ذلك فى مساعى لاقناعهم، ولم يلبث ان اتضح سراعا، اننى لم اكن مخطئة فيما قلت ..

« ثم، توالى تفكيرى فى النوائب التى كانت تطاردنى حتى فى اوج حظى .. وايقنت ان خيرات هذه الدنيا لا يمكن ان توفر السعادة لانسان، لاننى نلت كل الخيرات ومع ذلك فقد عجزت عن ان اسعد .. وزهدت فى الوان اللهو التى كانت

توفر لى المتعة فيما سبق .. فتكاثفت كل هذه العوامل لتلهمنى بان لا سعادة الا فى الله .. فتوجهت الى الاب « ساسى » كرجل تغفلت فى نفسه هذه الحقيقة، وكشفت كل ما فى نفسى له، فعمد فى تكتم الى اختبار اخلاصى، من شهر سبتمبر حتى نهاية يناير سنة ١٧٥٦ .. ثم اقترح ان اكتب لزوجى رسالة، ما زلت احتفظ بمسودتها التى سطرها هو بنفسه .. ولكن زوجى رفض ان يرانى ثانية .. فدفعنى الاب الى ان انشد منصبا فى قصر الملكة، صونا للمظاهر، وان ازيل السلم المفضى الى جناحى بحيث لا يعود الملك يستطيع ان يفد الى خلال الحجرة المتصلة به .. وبالايجاز، وضع لى خطة للسلوك، اتبعتها فى دقة واعتداء ..

« واحداثت هذه التطورات ضجة فى البلاط وفى المدينة .. وآلت الهيئات النشيطة من كل طبقة على نفسها ان تتدخل، فاذا بالاب « ساسى » يتعرض بسببى لكثير من الحملات، حتى انبأنى آخر الامر انه سيرفض منحى بركاته طالما بقيت فى البلاط ! .. ولقد اطلعت على كل الادلة التى تنم عن اتباعى لكل ما فرضه على، واثبت له ما صارت اليه حقيقة علاقتى بالملك وفقا لما رسمه لى .. فانتهى الى ان افضى لى بان الناس قد سخرت يوما من الاب

.. وشرح أحد الآباء الروحيين من أصدقائه (وكان رجلا أوتي من العلم والذكاء قسما كبيرا) ، موقفي لرجل على شاكلته أوتي كل مايؤمله لأن يصدر رأيا سليما .. فاجمع الاثنان على أن مسلكي بات يوحى بالتوبة والتكفير .. وكان من نتائج هذا أن عمد الأب الذي يتلقى اعترافي الى وضع حد للظلم ، بعد فترة جديدة من الاختبار ، فسمح لي بأن أتلقى البركة .. ومع أنني أشعر في دخيلة نفسي بشيء من الألم إذ أرى من الضروري أن أكون على حذر حتى لا ياخذ الأب بالوشايات الشنيعة التي تحاك حولي ، إلا أنني أجسد في هذا الألم عزاء كبيرا لنفسي .. «

◆ وسواء كان البابا قد صفح عن تصرفات مدام دي بومبادور أو لم يصفح ، فإنها ظلت « الملاك الحارس » الذي يرشد لويس الخامس عشر ، ولو أن عبقريتها كانت في الواقع نذير نحس لفرنسا : فبفضل جهودها وقعت فرنسا معاهدة فرساي ، متحالفة مع روسيا والنمسا .. ورفضت فرنسا - أو مدام دي بومبادور - تجديد اتفاقية الحياد مع بروسيا ، لأن فردريك الأكبر نظم بعض الشعر الذي يشينها ويكشف فضائنها .. وكان الحلف الثلاثي سببا مباشرا لحرب السنوات السبع .. الخ

الذي يتلقى اعتراف الملك ، عندما قدم الابن غير الشرعي « الكونت دي تولوز » الى هذه الدنيا ، وأضاف انه لا يبقى أن يجد نفسه يوما في مركز كهذا ! .. وافحمني مثل هذا المنطق ، ولكن الرغبة في أن أؤدي واجباتي دفعتني الى المجادلة ، حتى إذا استنفدت كل حجة خلتها كفيلة باقناعه بأنني إنما أصدر عن حوافز دينية ، لا عن تأمر ودس ، كفتت عن مقابله ..

« ثم حل يوم ٥ يناير المقيت ، وتبعته الدسائس كما حدث في العام الماضي .. وبذل الملك كل ما في وسعه لاقتناع الأب ديماريه بصدق ولائه الديني .. ونشطت للعمل نفس الدوافع القديمة ، وانتهى الامر الى عيّن الجواب السابق .. واذا الملك المتحمس في رغبته لاداء واجباته الدينية يحرم من هذه الواجبات ، وينحدر - بعد فترة وجيزة - الى نفس الاخطاء السالفة ، التي كان من الممكن انتشاله منها لو أنهم عاونوه بنية طيبة ..

وعلى الرغم من الصبر المتناهي الذي اظهرته خلال الثمانية عشر شهرا التي اخذت فيها بتوجيهات الأب «(ساسة)» ، إلا أن قلبي راح يتمزق للظروف التي كنت اعانيها، فلجأت الى استشارة رجل أمين اثق فيه .. وتأثر لحالي. فتلفت حوله يبحث عن وسيلة لوضع حد لشقوتي

حتى انهارت .. فانهى بها المطاف
الى فراش الاحتضار وهى بعد فى
الثانية والاربعين .. وفيما كانت
تلفظ آخر انفاسها ، قالق نجم
خليلة اخرى للملك ، فاقتهى فى
المبازل واستغلال النفوذ .. تلك هى
« مدام دي بارى » ! (ولها هى
الاخرى قصة ورسائل سوف نشرها
فى عدد قادم)

وعلى الرغم من هذه النكبات ،
فان مدام بومبادور ظلت متشبثة
بمركزها ، وتذكرت ما لقيته من
صعاب فى الحصول على الغفران من
اليسوعيين « الجيزويت » فانضمت
الى العلماء والوزراء فى مهاجمتهم ،
مما انتهى الى حل طائفتهم فى فرنسا
فى ذلك الحين ..
ثم اخذت شئون الدولة ونشاطها
الزائد فى المجتمع يؤثران على صحتها

روضۃ الشعـر

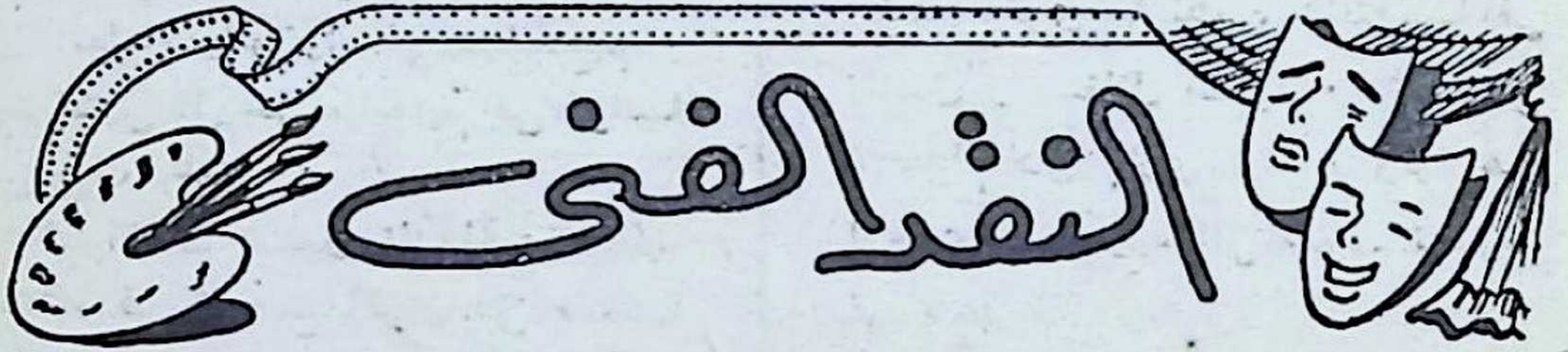


ثم انقض على البجعة من شامق
نسر محلق جارح
ومن البجعة السكرى بالعبور
وبانوار الشمس
سالت دماء زكية
كست المياه بالارجوان الملكى
وعندئذ غردت البجعة
(والبجعة تفنى دائما قبل موتها ..
كما تقول الاساطير)
غردت وملا نشيدها المفاور
وانشدت تراتيل النهار وبهاته
وهامتها متوجة بالبياض
وبكى القمرى فى السماء
وبكت الورود والبلابل
ولكن الحمير صاحت بصوتها البليد
(ما هذا المرتل الملعون ؟ !
(فناؤنا اشجى من غنائه !)

فى سنة ١٨٦٧ ، أصدر الشاعر
الفرنسى الكبير « تيودور دي بانفيل »
ديوانه (المنفيون) ، الذى قال
عنه : « اذا كتب لى أن يبقى شيء
منى ، وددت أن يكون اثرى هذا
الكتاب » .. ومن أروع مقطوعات
الديوان هذه القصيدة التى اطلق
عليها « ذنوب البجعة » :
كانت البجعة تسبح
على البحيرة ذات المراة الفضية
وحام حولها قربان السود
وشتموها بلهجة عدوانية :
« اختفى يا لابسة العاج والزنبق
« يا حامله الثلج على جنبك
« كما يرتدى اللاعبان ثوب التهريج
« ان فى اللون الاسود وقارا
« ونظافة وحلاوة ومرحا
« والاسود رداء القضاة »

هى جوقات الملائكة
وكل ملاك يمر بالبجعة التى تحتضر
يلقى على أخته تحية المساء ..

... ثم اهتزت القابة
وفى جوها المسحور
مرت فى السماء ذات الستائر الخضراء
أسراب مجنحة من عالم آخر



بقلم : كمال الملاح

الجميلة أن يتجنبوا اقامتهما فى
هذه الايام ، ودرجة الحرارة الخائفة
كفيلة بأبعاد أى جمهور عن زيارة
معرض من معارض الفن !.. أقول
هذا ومعرض صالون جمعية محبى
الفنون الجميلة قد افتتح أمس -
فقط لا غير ! - أما معرض الربيع
الذى ينظمه اتحاد كلية الفنون
الجميلة ، فموعد افتتاحه عند
ربى !

واعتقد أن لا علاج لكل هذه
الفوضى غير أن ترسم سياسة
محترمة للفنون فى مصر .. أما
أن تترك هكذا ، فهذا أمر سيسير
حتما بالفنون الى مستوى لانرضاه
لبلادنا !.. وقبل أن أنتهى من هذه
النقطة أود أن أوضح أن العيب
ليس كله عيب الجمعيات القائمة
بأمر تنظيم هذه المعارض ، ولكن
هناك مشكلة المكان ، وهو غالباً
ما يتبع جهة أخرى بعيدة كل

... كل شئ هادىء فى ميدان
النشاط الفنى ، فى هذه الايام ..
بل هو أقرب الى الركود .. فلا
شئ يثير الوجدان ولا النظر ..
ولا حتى السمع !.. فالمعارض
فى نوم عميق ، تبحث عن
ينسقمها ! وليس فى افلام السينما
شئ يستحق النقد والتحليل -
الا افلام تعد على أصابع اليد
الواحدة .. أما المسرح فهزيل ،
ويبدو لي كالعجوز « المتصابى »
حين يخلد الى الذكريات فيستعيد
لنفسه أكثر من مرة ، ليحزن من
اجلها أكثر من مرة .. ويضحك
لنكته أكثر من مرة ! .. وهكذا
فقد مجده وأبعد جمهوره .. بيده
لا بيد عمر !

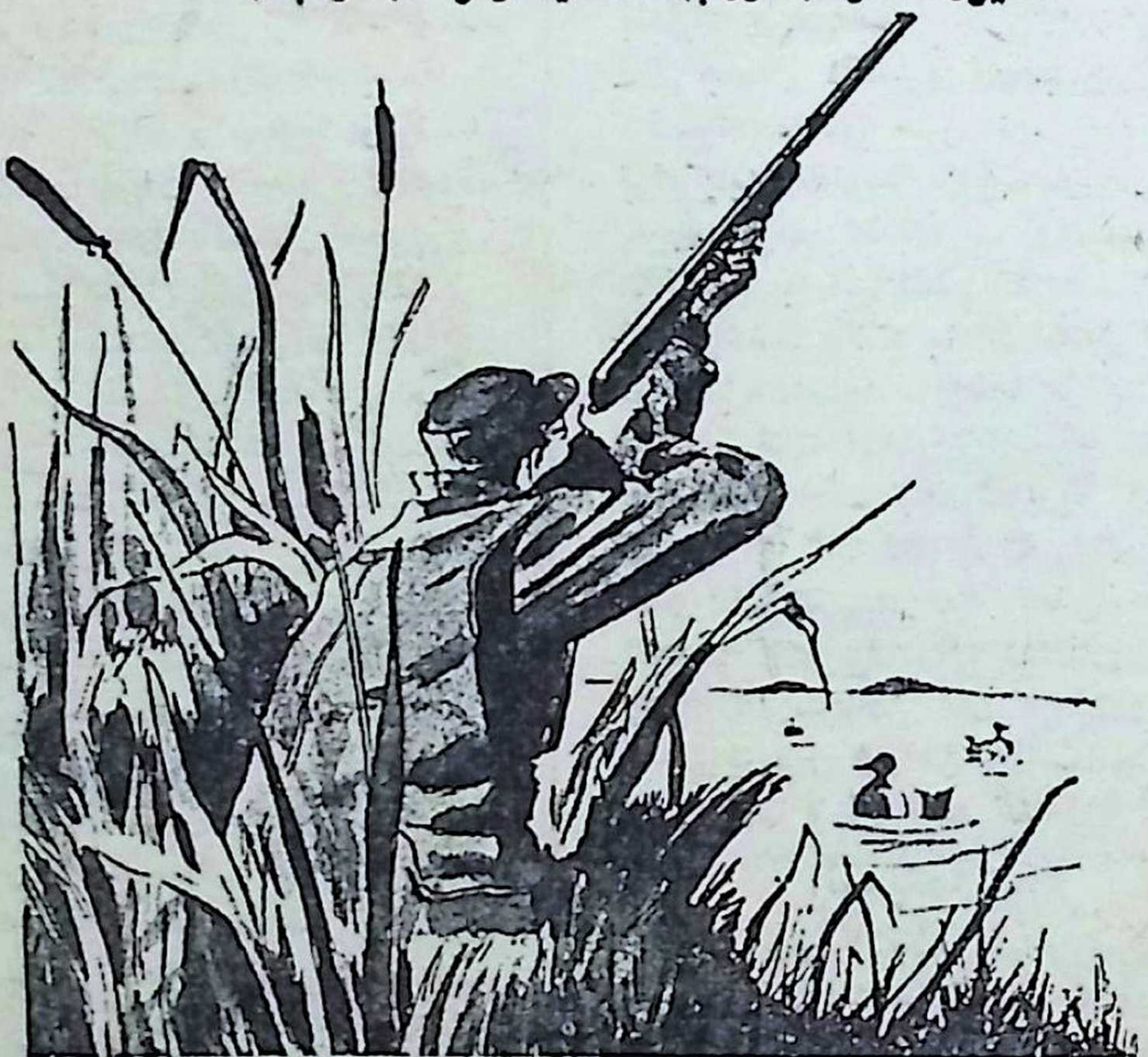
التصوير والنحت

♦ لا أعرف ، ولا أدري كيف
فات المشرفين على تنسيق معرض
« الربيع » و « صالون » الفنون

رؤوف خيرى

يقدم لقراء المكتبة العربية
الكتاب الاول من نوعه
مع الطيور وبندقية الصيد

◆ بنادق الصيد : انواعها ، تجاربها واستعمالها
◆ الطيور : انواعها ورتبها العلمية ومواطنها وطباعها



الثمن ٢٥٠ مليما ويطلب من محال بيع الاسلحة والمكتبات
التوزيع في خارج القطر المصرى : شركة فرج الله للصحافة
صندوق بريد ١٥٢٥ القاهرة - فى سوريا ولبنان : شارع بيكو - بيروت
فى العراق : شارع السنك - بغداد

البعد عن الفن كالجمعية الزراعية التي تمنح مثلا مبانها بالجزيرة كما تشاء ، ولن تشاء !



♦ ولعل من أهم الأحداث الفنية الداخلية في هذه الايام ، « المعرض الدولي الاول لفن السياحة » ، وهو ما يزال مقاما بنادى المعلمين بالجزيرة .. وقد اشتركت فيه ١٨ دولة اجنبية ، من بينها أمريكا واسبانيا وفرنسا وايطاليا واليونان وانجلترا والهند والنمسا ، ودول الستار الحديدي كتشكوسلوفاكيا ورومانيا والمجر و.. عدا مصلحة السياحة المصرية وأفراد من المصورين الفوتوغرافيين المصريين ، الذين أعدت لهم مسابقة خاصة ذات جوائز مالية ، كان الفائز الاول فيها أنيس رزق الله ، والثاني جميل حلمي ، والثالث يوسف عبد الشهيد (الذي نحلى «كتابي» بلوحاته الجميلة بين الحين والحين) .. هذا عدا مسابقة ثالثة موضوعها استعمال الصور الشمسية في التذكارات السياحية ، وقد فاز بالاولوية فيها خليل كامل وأنيس رزق الله (مشاركين) ، وبالجائزة الثانية جورج أسعد .

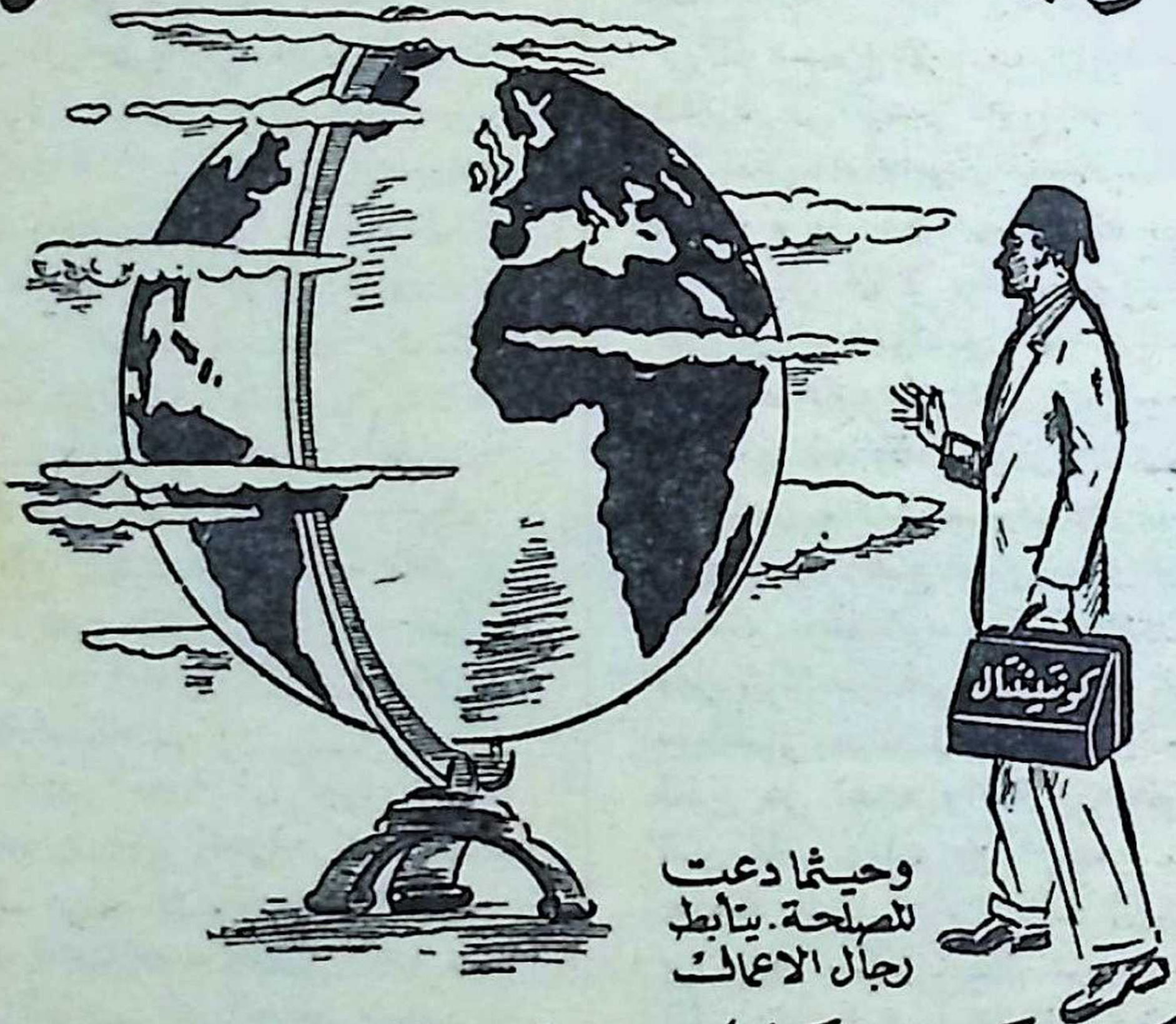
وقد منحت مصلحة السياحة كأسها الى جناح اسبانيا ، لحسن تنسيقه .. اما جوائز جمعية الفنون الجميلة التي اشتركت مع

مصلحة السياحة في تنظيم نفس المسابقة ، فقد فازت بها سويسرا ثم اسبانيا فالنمسا .. (هذا وقد انسحبت تركيا في آخر لحظة قبل الافتتاح ، فلم تعرض شيئا) وقد لاحظنا الانسجام في تنسيق هذا المعرض الدولي الاول ، الا انه فشل من ناحية جذب الجمهور ، بسبب فرض سعر معين للدخول ، مما جعل الكثيرين يحجمون عن دخوله ، في حين كان الواجب ترك بابه مفتوحا بالمجان ، مع تقديم موعد اقامته - وهذا ما نطالب به في العام القادم - كما ننقد بشدة وضع بعض الدول التي لم تمثل نفسها ، وانما مثلتها بعض شركات الطيران التابعة لها ، مما أضفى صبغة تجارية بعض الشيء على اجنحتها ، في الوقت الذي لم تشترك فيه بعض دول الجامعة العربية مثل لبنان .. وهو بلد سياحي كان من الاوفق له ان يتعاون في هذا المعرض الدولي .. لا ان يبعد عنه

السينما :

♦ ومن الافلام المعدودة التي رأيناها في الشهر الماضي { افلام تستحق الاهتمام وهي : « فيفا زاباتا » ، و « ألوان من الحب » ، و « ممر خيبر » و « الدائرة المستديرة » .. غير افلام أخرى سنمر بها سريعا كالمثلة أو « الشهرة والمال »

رفيقة الاسفار في الحبل والترحال



وحيثما دعت
للصلحة يتأبط
رجال الاعمال

كوتنيتال

"البورتاتيف"

الآلة الكاتبة العربية في الصناعة الألمانية
الموزعون للشركة

محلات التجار



٦٢ شارع ابراهيم باشا - القاهرة

٥٢

◆ « فيفا زاباتا » : أو « يحيا

زاباتا » ، هو فيلم عن صراع شعب أعزل ، الا من ايمانه بحريته ، حول أرضه وأرض أجداده ضد غاصبيها من كبار الملاك والحكام المستبدين الطفاة . . والقصة كتبها الكاتب الامريكي المعاصر « جون شتاينبيك » - قبل ان يغير آراءه - وأخرجها للسينما المخرج الأرمني « ايليا قازان » ، دون تزويق ولا ألوان . . واعتمد في اخراجها على المناظر الخارجية الواقعية ، فاستغل الأسلوب الايطالي الحديث - وان فاقه في هذا الفيلم في الحركة المستمرة - على ان عيبه كان انه لم يتحكم في اختصار الحوار .

وتدور القصة في أجواء الريف المكسيكي قبل الحرب العالمية الاولى ، أو في عام ١٩٠٥ على وجه التحديد ، حين يتقدم جمع من الفلاحين الى الحاكم يشكون له كبار الملاك الذين اغتصبوا أرضهم . . ويريد الحاكم ان يخدعهم بالوعود الكاذبة . . ولكن واحدا منهم « زاباتا » يقاومه بالحجة . . ويرجع الى بلده فيلتف حوله أهل قريته الذين رأوا فيه زعيما - وان كان جاهلا حتى بمبادئ القراءة والكتابة ! - ولكنه لا يلبث ان يتعلمها . . يتعلمها على يد من عشقته ورفضته في البداية حين لم يقبل والدها ان يزوجهما من فلاح فقير مثله . . ولكنه الآن

زعيم . . زعيم رفعه الشعب وولاه قيادته ، فرحب به أهل الفتاة الآن بل سعوا اليه ! . . على ان قصة هذا الحب والزواج ثانوية في الموضوع كله . . وانما عماد الفكرة أن الزعيم قد تجنب أخطاء من سبقوه ، فأبى أن تنسيه المناصب مبادئه ، بل وضحي بحياة أخيه في سبيل أن لا يخذل مواطنيه الفلاحين ، ويواصل كفاحه الصارم ضد أصحاب الاراضي الفاصبين . . ولكن الطفاة لا يتركونه آمنا ، فيدبرون له مقتلا وموعدا مع الموت ، وينخدع هو بطيبته فيمضي اليه ، برغم توصلات زوجته ! . . ويأبى الشعب ان يصدق ان كفاحه سينتهى بموت زعيمه ، فيقرر المضي على نهجه واتمال رسالته التي عاش ومات من أجلها . .

وقد مثل « زاباتا » (مارلون براندو) . . وكانت بساطة اخراج الفيلم سببا قويا في نجاحه ، الى جوار تعبير الممثلين وقوة القصة - وان كان المكياج في بعض المواقف يبدو مفضوحا - ومما يذكر ان مخرج هذا الفيلم قد سبق له ان اشترك مع ممثله الاول (براندو) في فيلم « عربة اللذة » ، الذي فاز مند عامين بجائزة « اوسكار » ، والذي مثلت بطولته النسائية يومئذ النجمة « فيفيان لي » . . وقد كان ذلك الفيلم سببا في تألق نجم مارلون براندو ، فأسندت اليه بعدئذ عدة أدوار ممتازة ، لعل

يونيكرز

سخان المياه
ذو الشهرة العالمية

يدار بخار شل بوتاجاز
أو بخار الاستصباح

جودة - ضمان - متانة

الموتى للوميد بالقطر المصري :

فتحى ا. شنودة
شارع عماد الدين القاهرة

موديل
١٩٥٤
دى لوكس

صنع
المانيا

كس

الدراجة
البخارية



الكمية
محدودة

تباع بتسهيلات في الدفع

• الدفعة الأولى ١٠ جنيه فقط

• والباقي يقسط على ١٥ شهرا

على ائتمنى الشراء الباردة بالهجز

الوكلاء الوميدون لشركة مصر للهندسة والصناعة ٧٦ شارع ابراهيم باشا - القاهرة
للقطر المصري : ٥٣٣٥٦ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠

تسكنه عائلة موظف فقير هو «سبنسر تراسى» ، الذى ينحصر كل تفكير ابنته الوحيدة «جين سيمونز» فى أن تصبح ممثلة ، ومن هنا ترفض أن تتزوج من جار غنى شاب أغرم بها وأحبته ! كما تعارض رغبة والدها الذى ينصحها بتعلم هوايته المحببة - الرياضة البدنية - لكى تكون مدربة للالعاب فى مدرسة بلدته .

أما الأم (تريزا رايت) فانها تشفق على رغبة ابنتها وتحاول أن تقنع زوجها بتحقيق أمنية ابنتها .. ومن ثم يدور كل حوار الفيلم فى جو خائق على هذا المنوال لمدة ساعتين ! فاذا ما اقتنع الوالد ورحب فى النهاية بتحقيق حلم ابنته ، اسدل الستار !.. فلا يرى الجمهور الابنة وقد نجحت وتالقت على المسرح كما أرادت ، وكما انتظر الجمهور بدون جدوى ، بعد أن ضاق بالحوار الذى يجرى طول الوقت على محاسبة الزوج لزوجته عن ثمن اللحم وفاتورة البقال ومصاريف الغاز والفحم ! والفيلم كما ترى لا يصلح الا للمسرح . ولا نبالغ اذا قلنا أن المنظر كان واحدا لم يتغير تقريبا داخل المنزل . أما ما انتظر أن يراه المتفرجون من ابداع (سبنسر تراسى) وفن (جين سيمونز) فلم يبال به المنتج بل اكتفى بأن يخدع الجماهير بشهرة أسماء الممثلين !.. ثم زاد الطين

أهمها فيلم يوليوس قيصر الذى اضطلع فيه بدور « مارك أنطونى » **المثلة .. أو « الشهرة والمال »** : ذهب الجمهور ليرى فيلم « المثلة » - أو كما ترجم : « الشهرة والمال » !.. الشهرة التى عرفها المتفرج عن « سبنسر تراسى » و «جين سيمونز » بطلى الفيلم .. والمال الذى أراد المنتج جمعه من المشاهدين ، بدون مجهود كبير !

أما القصة فقد الفتها المثلة « روث جوردن » لآخراجها على المسرح .. فجميع حوادثها - أن كانت هناك حوادث ! - تجرى فى داخل منزل قديم صغير



تيرون باور فى فيلم « ممر خير »

للحصول على جمال جديد
... استعمرى من الآن

بودرة

الوجه

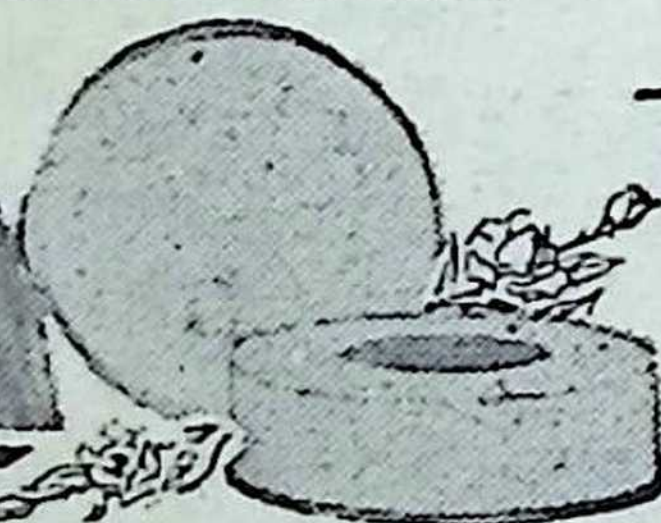
ماكس فاكتر

هوليوود

★



آفا جاردنر
كوكب فيلم م.ج.م الملوك
بالستينا سكوت
فرسار الماشة المستديرة
بداري سينما مترو
القاهرة - الاسكندرية



٤٦
٤٤
٦٤

الوان خلابة ابتكرها ماكس فاكتر... نفوسنا زيناها نفوسنا الحرة...
... ذرات ناعمة خفيفة... كل هذه العناصر تتجمع لتمنحك جمالا من نوع جديد
! انها توضع بسهولة... تغطي بشرة الوجه تماما... وتلائم كل الملامح
... ونتيجتها سوف تبهرتك! فاكتر خصصنا لسد حاجتنا جمال نجوم
لقد ابتكرت بودرة الوجه ماكس فاكتر خصصنا لسد حاجتنا جمال نجوم
السينما... انت بودرة ماكس فاكتر مطلوبة من اجمل نساء العالم...
الست تريد ان ارضيهم اليهن استعمال بودرة ماكس فاكتر هوليوود اليوم
جرب بودرة ماكس فاكتر هوليوود اليوم

ماكس فاكتر هوليوود

Max Factor Hollywood

يباع في جميع المحلات الكبرى ومخازن الادوية والصيدليات ومحلات العطور
الموزعون: ت.ت.ديكو الشركة الاهلية للتوكيل والتوزيع
فيستاد شركاه ش.ت. ١٠ القاهرة س.ت ٣٣١٣

باستغلال المناظر استغلالا كافيا
 الا في الخمس الدقائق الاولى لبداية
 الفيلم ، والتي يسرد فيها أسماء
 من قاموا به !.. أما بعد ذلك فقد
 رأينا حوادث الفيلم (غير موصولة)
 من ناحية « المونتاج » ، وكان
 مقصا قد داعب حوادثه وانسجابه
 أكثر من مرة .. وان كنت لا اعتقد
 ذلك ، وإنما هو ضعف «المونتير»
 وعدم سيطرة المخرج على تنقية
 خيال المؤلف في سرد القصة
 .. التي تدور حوادثها بين مسالك
 الجبال في الهند ، في عهد الملكة
 فيكتوريا - أو في أشد أيام
 الاستعمار البريطاني لها - حين
 يبدو كابتن كنج (تيرون باور)
 الضابط في الجيش الانجليزي
 المستعمر ، وهو يقود فصيلة من
 جنوده أغلبهم من الهنود ، ليؤدب
 أميرا هنديا شابا معتصما بالجبل ،
 لكن البطل الهندي سرعان ما يرد
 القائد البريطاني الى ثكناته ، بعد
 ان ينقذه أحد الهنود الخونة !..
 وبرغم ان كابتن كنج ضابط في
 الجيش البريطاني فان زملاءه في
 المعسكر يتجاهلونه ويعاملونه معاملة
 غريبة بعيدة عن المساواة .. والسر
 ان دمائه ليست سكسونية نقية
 وإنما هي خليط من دم أمه الهندية
 وأبيه الانجليزي !.. وتتعلق به في
 المعسكر ابنة قائده ، التي تحتج
 على معاملته ، ولا من مجيب ! وتدور
 بينهما بعض مغامرات حب تافهة ،
 ثم لا يلبثان أن يضللا الطريق في

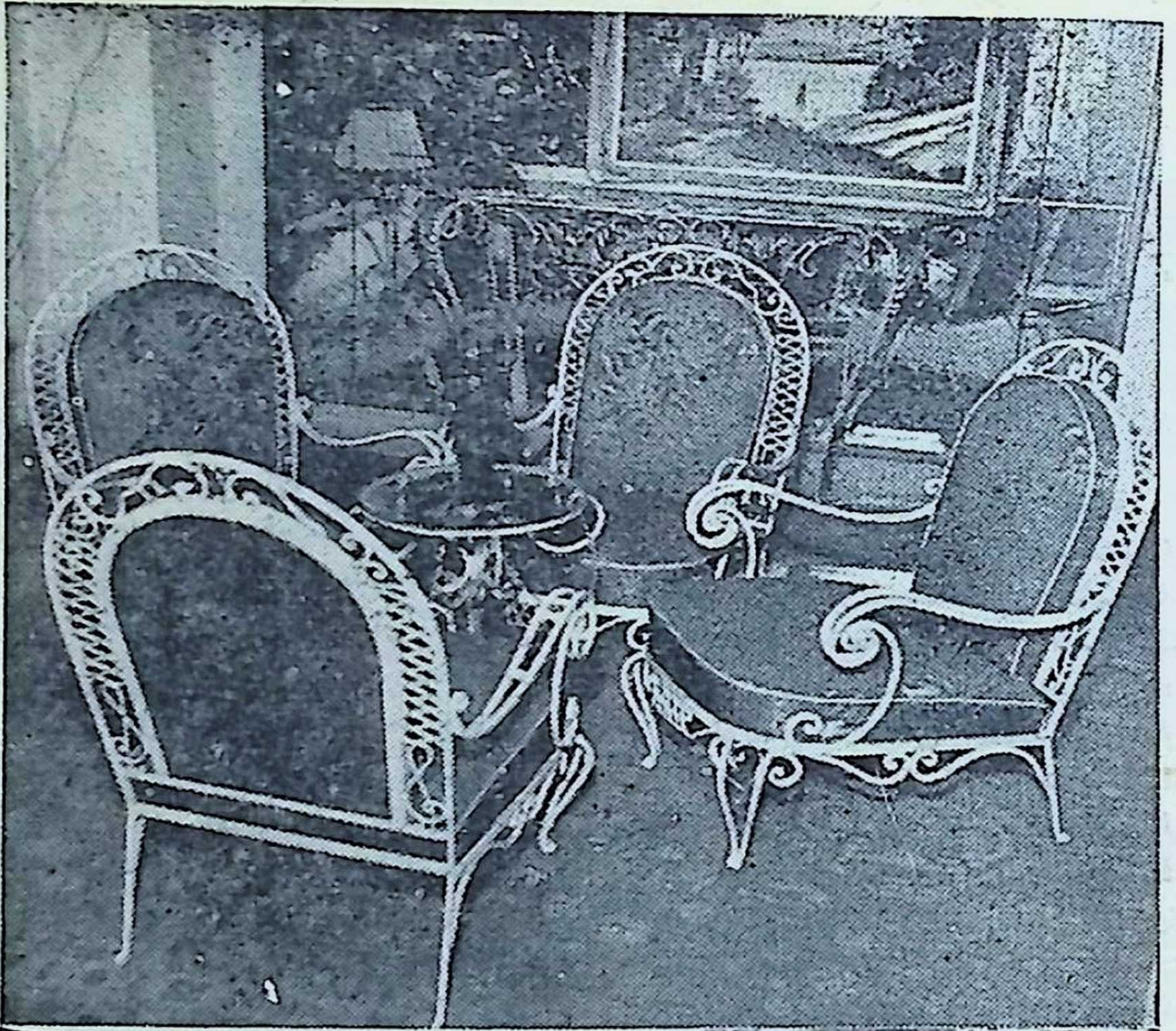


النجمة الجديدة تيرى مور ، بطلة
 فيلم « ممر خيبر »

بلة ان الاخراج بدوره كان عاديا
 جدا واقرب الى الاخراج المسرحي
 منه الى السينما !

♦ ممر خيبر : يتهاافت
 الجمهور على حجز مقاعده لمشاهدة
 « فرسان ممر خيبر » . ومع ذلك
 فالفيلم متوسط في اخراجه ،
 ضعيف في مناظره ، عادى في
 تمثيله !.. وقد قام بأدواره الاولى :
 « تيرون باور » و « تيرى مور »
 و « مايكل ريني »

وقد اغتر النظارة واندفعوا الى
 رؤيته بحكم انه فيلم «سينماسكوب»
 ملون ثائر .. ومع ذلك فلم نحس



هاشم ودرهما

٢٤٥ شارع الملكة عمرة
تليفون ٧٤٥٠٦

مصلحة الاملاك الاميرية

تبيع بالمزاد العلني ثمار أشجار الفواكه الموضحة بعد الموجهة
بحديقة مزرعة وردان محطة أبو غالب - حيث يمكن معايشتها وهي :

اسم الصنف	الوحدة	عدد
عنب بناتي ورومي	فدان	١٢
مانجو أنواع	فدان	٤
كمثرى بلدي	شجرات	٥
رمان	شجرات	٩
ليمون مالح	شجرات	٥١٤

وذلك بالجلسة التي ستعقد بالمزرعة يوم ٣٠ يونيو سنة ١٩٥٤
من الساعة العاشرة صباحا الى الساعة الثانية عشر
وتطلب الشروط والاستعلامات من المزرعة او ديوان المصلحة

ان الامير يعود من جديد على رأس
فصيلة هندية ويحاول الانتقام من
عدوه .. وينتهي الفيلم باصابة
الاثنين !

والفيلم كله كما ترى .. يصور
ويمجد الاستعمار !

والحبكة الروائية فيه خائبة ..
والتصوير عادى .. والحركة
بطيئة .. ولا استغلال هناك
لفكرة السينماسكوب . حتى مناظر
الهند الغنية قد ظهرت فاترة ! أما
« المونتاج » فكان مفككا . وكان
يصح للمشرف على تنفيذ هذا الفيلم
استغلال الموسيقى أكثر ، ولكنه لم
يفعل .. فيما عدا أغنية سخيفة
ورقصة ليس فيها شيء من فن ولا
سحر الشرق أو الهند !
وحتى التمثيل .. كان متوسطا !

الصحراء ، وتهب عليهما فجأة
أعاصير من رياح الهند العاتية ،
يفيد منها الهنود فيحاصرونهما في
أحد الاطلال الهندية القديمة ..
ومن ثم تقوم الدوريات للبحث
عنهما ، حتى تجدهما في الصباح
التالى ! غير أن بعض هذه
الدوريات يقع في أسر الهنود ،
فتدور المعارك من جديد .. بينما
تقنع الفتاة آخر الامر بأن تنتقل
الى بلدة أخرى ، بعد أن تتفق مع
الشاب على متابعة غرامهما وإتمام
الزواج فيما بعد .. ثم يهرب
تيرون باور الى الجبل كي يخدع
الامير أو الزعيم الهندى الشاب ،
ويحاول قتله بالفعل ، ولكن عاطفة
أنهما كانا أخوين فى الرضاع تمنع
كليهما من المضي فى الصراع .. ولو



بونكر دوده

جهاز المطبخ
ذو الشهرة العالمية
يدار بغاز شل بوتاجاز
أوبغاز الاستصباح
جودة - ضمان - سانة

المنتج الوحيد بالفطر المصري =

فتحى . شنودة
١٥ شارع عماد الدين القاهرة

لذيذة ومنعشة

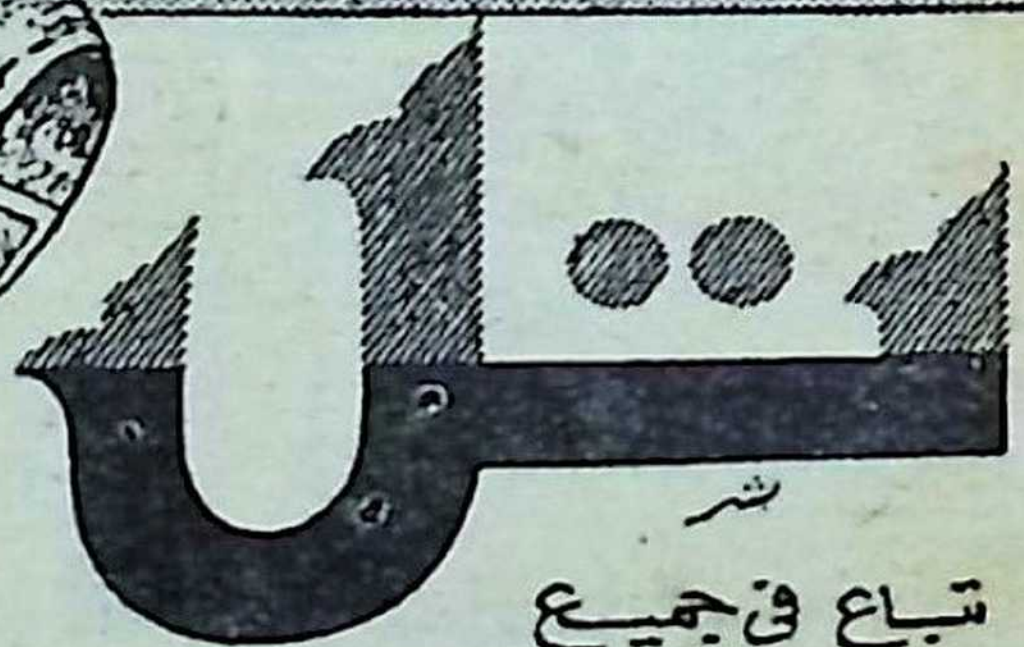


أصعاب امتياز التعبئة : مصانع تعبئة سيكو

س.ت. ٢٣٠٩٦

405/SEP-Ag.

الساعة العالمية المفضلة



تباع في جميع
محلات الساعات

الوكيل العام
ادوار يارتيكان ص.ب. ٥ بمصر الجديدة

٣٥٥١

محتويات الكتاب

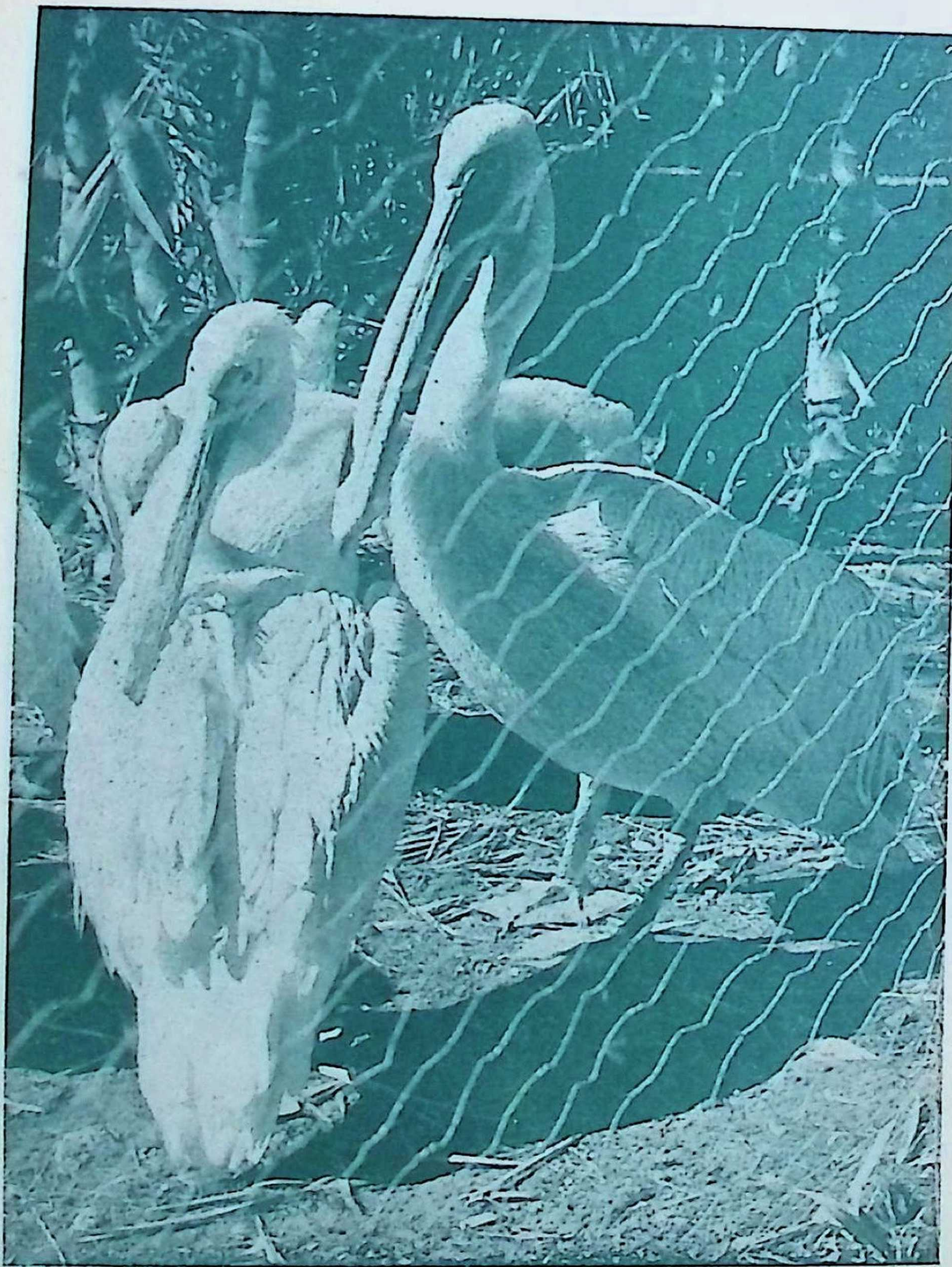
الموضوع	الصفحة
الرمال العاشقة : قصة مصرية ، بقلم الاستاذ محمد بدر الدين خليل	٩
فن الحب : من كنوز الكتب القديمة ، للأديب الرومانى « أوفيد »	٢٥
التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر : ويلفريد بلنت	٥٥
الزوجة والعشيقة (شيرى) : للروائية الفرنسية المعاصرة « كوليت »	٧٩
الحياة نفاق (ست شخصيات تبحث عن مؤلف) : قصة تمثيلية كبرى للروائى الايطالى «لويجى برانديلو»	١٠٧
جريمة حارة التونى : من قصص المحاكمات المصرية ، عرض وتعليق : المحرر	١١٧
هذا .. أو الطوفان : أحدث كتاب لخالد محمد خالد الطاحونة الحمراء : قصة حياة ومأساة الفنان الفرنسى الخالد « هنرى دى تولوز لوتريك »	١٤٩
مقالات مختارة : الصوم	١٨٠
لكل رسالة قصة : مدام دى بومبادور تستغفر البابا عن خطاياها	١٨٣
روضة الشعر : ذنوب البجعة ، لتيودور دى بانفيل	١٨٧
النقد الفنى : بقلم كمال الملاخ	١٨٨...

ترقب .. قريبا

الكتاب الرابع من « مطبوعات كتابى »

الحياة

أروع قصة عالمية طويلة تحلل مأساة الخيانة الزوجية ، بقلم روائى عالمى معاصر ، هو ؟؟؟



تصوير الاستاذ
يوسف عبد الشهيد الحامي

ضيغان جديان بحديقة الحيوان

كتابي

مشكلة الجنس

« .. لكي يتستر المجتمع على جرائمه فيقتل وظواهره كاذبة مضللة حول شيء ما يشغل به الأذهان عن خطاياهم .. ولما كنا نحمل استعداداً موروثاً للهوس الحاد بالخطايا الجنسية ، فقد افترها لتكون "البائقات" التي يأتي دراهم آثامه ! والانسانية منذ آلاف السنين تكافح الخطيئة الجنسية بالمواعظ والزواجر ، فما يزيد لها ذلك الاضراما .. ماذا كانت عاقبة الموعظ التي اطلقتها المسيحية مخدرة الرجل من المرأة والمرأة من الرجل ؟ كانت العاقبة ان تحول النساء باري الأمر الى عاهقات ، أو ساحرات ، أو عذارى فرج الى الدبر .. حتى اذا دقت الساعة معلنة قدوم عصر النهضة ، لعبت الأباكية الجنسية اعصارا .. وصار البابوات والقساوسة على رأس أئمة العريضة ! .. وحدث في الإسلام رد فعل مشابه لهذا .. فمن منتصف القرن الثاني الهجري الى منتصف القرن الخامس ، جاوزت الأباكية نطاق الرشد ، وراج الشذوذ الجنسي .. وكان بعض خلفاء العباسيين لهم الرواد !

وزعم المجتمع الانفصالي من الخطيئة الجنسية لا يحول بينه وبين شر ألوان هذه الخطيئة ، الا وهو الكبت .. والآثار التي يخلفها الكبت فظيمة : عشق الذات أو العادة السرية .. عشق المثل أو الشذوذ الجنسي .. أمراض النفس كالقلق والجنون ! والكبت موجود فعدي مجتمعا رغم الظاهر الخادعة ، ولا يكمن فطره في تدبير أخلاق ضحية وصب ، بل ويهدد سلامة الأمة . »

فالد محمد فالد

اقرأ كتابه « لهذا .. أو الطوفان » مخصصا في هذا العدد